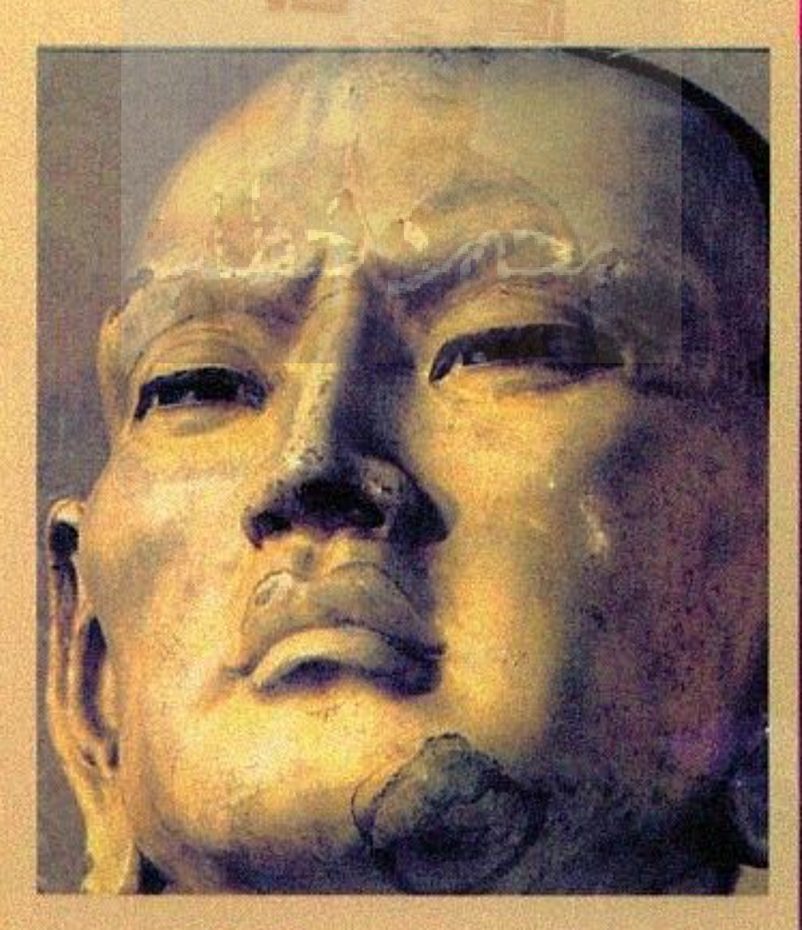
مُحاورات كونفوشيوس

تحقيق: ليوجون تيان - لين سونغ - بولكيون



ترجمة: محسن سيّد فرجاني

190

المجلس الأعلى للثقافة

المشروع القومي للترجمة


محمد خطاب

المشروع القومى للترجمة



محاورات
كونفوشيوس

ترجمة

محسن سيد فرجانى



٢٠٠٠

论　语



四 书 全 译

刘俊田　林　松　禹克坤　译注



شكــر

يتوجه المترجم بالشكر إلى الأستاذ . جمال الغيطانى ، فهو صاحب الدعوة إلى ترجمة الكتاب عن الصينية إلى العربية مباشرة ، لأجل إثراء المكتبة العربية بالمنقول والمترجم من التراث الأدبى والفكرى الصينى القديم .


محمد خطاب

إهداء المترجم إلى

القلب العربى الأخضر ، الصامد فى جوف الصحراء ....

قلعة بلادنا العربية الوارفة بالظلال ....

مسلك العابرين من الشط إلى البر ...

العيون العربية الحلوة المشحونة بالأمل والضياء والأحلام ...

فى العرايشية ، والمعدية رقم « ٦ » ،

المحطة ، وزايد ، فى الجلاء والفردان ...

فى المنشية ... ، والشجرة ...

وكل شبر من الرمل والأسفلت والدم ، حتى مياه القنال المالح ...
فى مدينتي .... مدينة الإسماعيلية !


محمد خطاب

مقدمة المترجم

« محاورات كونفوشيوس » هي مجموعة من التسجيلات الكتابية لتعاليم كونفوشيوس وتعليقات تلاميذه ، وقد تم تدوينها بوصفها أقوال ومواعظ مناسبة لحلقات الفكر والدراسة ، وكان هذا هو السبب وراء اختيار عنوان الكتاب « المحاورات » وكان واحد من تلاميذه - تسنغ شن - هو الذي جمع الأقوال المتناثرة وضمها بين دفتي كتاب ، وذلك أثناء فترة مهمة في التاريخ الصيني ، هي عصر الدول المتحاربة (٤٧٥ ق.م - ٢٢١ ق.م) وكانت القاعدة العامة في المدارس والاتجاهات الفكرية والدراسية حينئذ تلجأ إلى تدوين الأفكار كتابيا ، إلا أن كونفوشيوس وهو صاحب اتجاه فلسفي « الكونفوشية » رفض التدوين الكتابي لأفكاره زاعما أنه مجرد « وسيط » وليس «مبدعا» مجرد «مجتهد» وليس «مكتشفا» وكان ذلك صحيحاً إلى حد بعيد !

فقد كان الزمن الذي ظهر فيه كونفوشيوس يشهد الانتقال من نظام الاقطاع العشائري (أسرة يين الإمبراطورية) إلى نظام الملكية الأوتوقراطية (الدول المتحاربة) وبطبيعة فترات الانتقال المفصلية الحادة ، وسط ظروف تعج بفوضى إعادة الترتيب ، من نظام قديم انهارت دعائمه إلى نظام جديد لم تثبت جدرانه ، فقد برزت الكونفوشية نتيجة ، وليست سببا ومن وجهة نظر ما ، قل إنها كانت المشعل الحضاري الذي عبر متوهجا بالروح الحضاري الصيني التقليدي من أطلال عصر « أسرة يين جو » ليلم أطرافه وينثر أنواره في جنبات كيان جديد على هدى أفكار ارتأت أن المجتمع الإنساني عبارة عن جسد جمعي نمطي يتحدد سلوكه بمعيار الأخلاق والتراحم سعيا للسلام

والرفاهية لكل الناس ، يتشكل قوامه من معايير قيمية يلتزم بها الفرد ، تتمثل فى ثقافة أخلاقية متجردة بالإخلاص والولاء والتراحم والاحترام والتبجيل والإيمان والحكمة والشجاعة والصبر .... تلك التى صّبت جميعا فيما عرف بالمنهاج ، الطريق .. « الطاو » الذى امتد عبر الأفق فى مسارين أساسيين : الإيمان – والصبر .

تلك ، بتلخيص أو تركيز شديد ، هى الكونفوشية .. قلب الثقافة الصينية ، نواتها كما كانت قديما ، وهى أيضا الأساس لما عرف فى ملفات الحضارة الصينية بـ «المدرسة الكونفوشية» ، الـ « روجيا» العتيدة العريقة ، بلفظها الحىّ فى اللغة الصينية ، والتى انقسم .. أو انشطر مبحثها النقدى العام ، مع طول التجربة وعمق المجرى وثقل الوزن الحضارى إلى قسمين : أحدها انتقادى ، يراجع بالبحث والدراسة ، موضوعيا ، مقولاتها منتقدا عنصرها الاقطاعى البارز ، والآخر ، مذهبى يعترف ويسلم بجوهرها الثقافى الإصيل ورمزها الباقى للتقاليد التاريخية الصينية ، ودار الجدل على محاور كثيرة :

* فى المحتوى النظرى للكونفوشية : كان الفكر الإقطاعى والاستبداد موضع انتقاد ، بينما التلميحات القليلة إلى التقدمية والتنبؤ بالديمقراطية ، موضع إشادة .

* فى الجانب السياسى : انتقد الباحثون الاستعلاء الملكى السيادى ، والسلطة الملكية (الكارزمية) وهتف المذهبيون لإشارات تحترم الرأى

العام وتنادى بالمساواة .

* فى الجانب الاجتماعى : انتقدت بوصفها دفاعاً عن الأوتوقراطية الملكية ، قبلت كقيمة نظرية وفلسفية تحتل موقع الصدارة فى التاريخ الثقافى للصين ، وبوصفها موضوعا للدراسات التراثية ذات قيمة بحثية عالية .

كان لكونفوشيوس مكانته الشخصية ومركزه فى الثقافة الصينية الكلاسيكية من حيث أنه :

– حافظ على الإرث الثقافى الصينى من الضياع ، وذلك بتحقيقه وتصويبه لأهم كتب التراث فى الصين القديمة مثل : «كتاب الاغانى » ، «كتاب التاريخ» ، «كتاب التغيرات» .

– ولأنه كان الأول فى التاريخ الصينى كله الذى دعا إلى إتاحة فرصة التعليم للعامة والبسطاء ، ليكسر احتكار الموظفين والوجهاء للعلم وكانت دعوته الشهيرة لأن : « يكون التعليم كالماء والهواء للجميع دون أية فروق طبقية » ، و« أن يراعى التخصص فى التعليم بحسب استعداد الطالب وميوله وقدراته الشخصية وأن يكون التنوع والترفيه وسيلة لاكتساب المعرفة .. وغيرها من مبادىء ترسخت فى التربويات الصينية العريقة ، والتى يضمها جميعاً « كتاب المحاورات » وهو أشهر وأهم الأوراق الكونفوشية على الإطلاق .

ففى أسرة « الهان » الامبراطورية – زمن المجد القديم – كانت هناك ثلاث طبعات من الكتاب ، اتخذت مادة أساسية للدارسين فى كل مراحل التعليم ، وفي عهد أسرة « تانغ » الملكية سجلت نسخة من الكتاب رسمياً بوصفها واحدة من أهم اثنتى عشرة مدونة تراثية فى

التاريخ الثقافى الصينى ، وفى عهد أسرة « جين الغربية » الحاكمة (٢٨٥ ميلادية) دخل الكتاب إلى اليابان ، وقيل فيما بعد (بمبالغة واضحة) إنه كان أول كتاب يقرأه اليابانيون فى حياتهم !

والنسخة التى اعتمدتها للترجمة إلى العربية ، هى نسخة الماركيز الصينى « جانيو » ، التى حققها بنفسه فى أواخر عهد أسرة هان الغربية الأمبراطورية (٢٠٦ ق.م – ٢٤ ميلادية) .

ومحتوى كتاب « المحاورات » يسجل بوضوح ما تبقى فى ذهن كونفوشيوس من رؤى تتعلق – فى جوهرها وربما هذا هو دافع كثيرين لتصنيفها فى إطار الموضوع الدينى – بالتدبير الإلهى المتحكم فى مصير البشر والعالم كله ، والمتسبب فى بلائه خيرا ، وشراً ، ... يعنى فكرة الإيمان بالقدر السماوى ، لكن من المهم الانتباه إلى أن رؤية كونفوشيوس للسماء /الإله لم تكن قاطعة محددة ، فهو أحيانا يراها غير قادرة على التفريق بين الخير والشر أو السعادة والشقاء (تزيد الأشقياء شقاء ، وتمنح السعداء كل الخير !) وأحيانا أخرى يراها عادلة مقسطة ، تعطى لكل بحسب ما يستحق .

وفى خلاصة ، لم تكن رؤى كونفوشيوس متجاوزة للإطار الفكرى السائد فى الإقطاع العشائرى ، ومن ثم جاءت موعظته تحث على الرضوخ الاتكالى ليد القدر ، والقبول – سلبا – بنمط الإخلاص والقيم الاجتماعية السائدة ، وكان هدفه الأساسى هو التوجه بأفكاره إلى المثقفين والدارسين الذين تجاوزتهم فرص الانتخاب المناسب للترقى والتقدم ، فبقوا فى أسفل السلم الاجتماعى مع القطاع العريض من الشعب الصينى تنتظر مصيرها تحت سيف القدر المسلط على الأعناق ولقد فقدت نظرية القدر وظلالها الدينية قيمتها عند المدارس الكونفوشية اللاحقة .

لكن ، كان يمكن لفكر المدرسة الكونفوشية أن يستمر ويؤثر ويلاحق – تاريخيا – مجتمعا صينيا معاصرا ، فلم يكن فى جوهره فكرا دينيا متساميا ومستقلا عن العالم الدنيوى (مثل المسيحية) – راجع فشل الاختراق التبشيرى للصين ! – ولم يكن نمطا فلسفيا للتأمل الفنى الجمالى – بمعناه المطلق ! – لكنه « نظام عقيدة يمتزج بالجمالى والمعرفى معاً » لذلك ، لم يكن غريباً أن يزدهر البعث الكونفوشى فى صين التسعينيات ، رغم أن صين أول القرن العشرين (٤ مايو ١٩١٩) أسقطت الثقافة الكونفوشية من حسابها ، وهى تخطو إلى عتبات القرن فى تيار التحديث العنيف (العلم ، الديمقراطية) إلا أنها تعود الآن ، فكيف ذلك ؟ !

– الحق ، أن موقف النقد الظاهرى للكونفوشية ، كان – ربما فى باطنه – مصحوبا باعتراف ضمنى ثابت بقيمته الروحية ، وكان هناك فى خلفية مفكرى الاستنارة الصينية جذور تعليم قديم ينهل من الجذر الكونفوشى ، فكان من السهل عليهم – تقريبا – انتقاد مقولات كونفوشيوس ، لكنه لم يكن سهلاً أبدا نبذ التقاليد الكونفوشية .. والفرق واضح !

والحقيقة ، أن الصين المعاصرة ، تفتح – بطريق غير مباشر – الباب واسعا للبعث الكونفوشى ، فالظرف التاريخى الآن يشهد طغيان مظاهر العصر الدنيوى : أضواؤه الباهرة ، سرعة تقدمه الخاطف ، تحولاته العنيفة ، أسعاره ، أوراقه المالية ، أبراجه السكنية العملاقة ، سياراته ، نجوم غنائه .. ألخ ، وهو يعنى .. فاصل آخر بين عصرين ، يهدد الروح الصينى ويضغط على انسجامه الداخلى ، ويسمح بإعادة إنتاج ظروف الكونفوشية الأولى ، ويستدعيها من مكمنها .

والشائع ، أن البعض يردد بأن الكونفوشية حققت تطبيقاً جزئيا فى إحداث نقلة تطورية هائلة فى اليابان وكوريا الجنوبية وسنغافورة

وجنوب الشرق الأسيوى بنموره ، وسلاحفه .. لكن .. هذه بالذات مسألة معقدة جداً تحتاج لتفصيلات أوسع لاتفى بها مساحة المقدمة العاجلة هذه .

والموضوع كله أصعب مما يطرح عرضا واستسهالاً .. ذلك أن عودة الروح للمدرسة الكونفوشية كانت مرهونة دائما بمدى وملائمة شروط التعبير العصرى فى خلفية ثقافية وتاريخية جديدة تماماً تجعل من البحث عن نقطة بداية جديدة واعدة بالاستمرار والنضج عملاً شاقاً ، لأن الخطر والتحدى الحقيقى يأتى من تفاصيل الحياة ذاتها وليس من النقد التنظيرى (التعميمى) المريح . ثم إن مواجهة التحدى والتغلب على الخطر لايعنى تمكين الكونفوشية من استعادة مكانتها الفريدة أو اعتلائها مسرح الايديولوجيا مرة أخرى . فالمسألة تكمن فى تفعيل دور الكونفوشية بوصفها مرجعا روحيا قادرا على الحياة والتواصل والتأثير إيجابياً وسط ظروف ثقافية متعددة الروافد وعناصر التلقى ، ولكن :

* هل صحيح أن الكونفوشية ستنتعش وتمتلك ناصية القرن الواحد والعشرين ؟

– الكونفوشيون الجدد يتنبأون بأكثر من ذلك ، بل ويريدون تأسيس المملكة السماوية الثقافية والفكر الإنسانى كله على النمط الكونفوشى وحجتهم أن مستقبل الثقافة العالمية سينهض على تعميم تيار العلم الكونفوشى الذى تتكون عناصر معادلته من :

$$\frac{\text{فكر كونفوشى + ديمقراطية}}{\text{العلم}} = \text{ثقافة بشرية مستقبلية}$$

– واشتط البعض منهم معللاً بأن الفكر الإنسانى علي النمط الكونفوشى يستطيع التوافق مع الديمقراطية والعلوم الغربية ويصلح كمحدد اتجاه انسانى جديد يدفع تقدم الحياة الثقافية « كذا » .

– وآخرون من ورثة التقاليد الكونفوشية يؤكدون على فائدتها التطبيقية انطلاقا من أهمية استخدام الفلسفة فى الممارسة الاجتماعية

وربما كان من المبالغة كثيراً أن تردد مع الآخرين نبوءة تجعل من القرن الواحد والعشرين بكامله قرن الكونفوشية وأوان ازدهارها الموعود ، صحيح أنها ليست مجرد ايديولوجيه مجتمع اقطاعى ، وبالتالى فهى ليست معرضة للضياع أو التفكك ، كما حدث للنظام الاجتماعى القديم الذى عاشت فى داره سنين .

لكنها أيضا ليست مثل الأديان العادية وليست لها مرجعية تنظيم اجتماعى خارج المجتمع الدنيوى ، وليس هناك سوى النظرية /المقولات الكونفوشية بجناحيها فى الفكر والروح الاجتماعى .. ليس هذا فقط ، بل لم تعد الكونفوشية المنسحبة خارج المجتمع هى نفسها المدرسة الكونفوشية الأصلية ، وإذا رؤى – مثلا – إنجاز الأعمال استنادا إلى المثل العليا لدي الكونفوشية ، فسيتوغل الصينيون فى مشكلة التقاليد التي لا تحل ولن يصبح الطريق ممهداً أمام مخرج جديد للاقتصاد الصينى الوطنى وحياة شعبها ، وتظل قدرة الفكر الأخلاقى على التوافق مع الحاجات المعقدة فى الوقت الحاضر موضع شك كبير .

* وبرغم أن هناك كثيرين يرون أن « التفوق الداخلى » حالة قائمة باستمرار فى فكر المدرسة الكونفوشية ، إلا أن المشكلة هى أن الروح فى تلك المدرسة ترهلت للغاية ، ولم تعد تناسب الجسد الاجتماعى الذى تغير كثيراً ومازال يواصل تغييره .

وربما تبدت في أحيان مختلفة ، وفى بواطن الدلالات وليس فى صدارتها ، إشارات تومىء إلى مشاعر متضاربة إزاء انهيار صرح القيم القديمة ، استندت فيها ظواهر الاضطراب الفكري وضلال القيم إلى تعليلات من الحالة النفسية الحزينة « المتشردة » التى جابت أطراف العالم بحثا عن صيغة موفقة تعيد الدم إلى القلب الكونفوشى القديم ، لتعود إلى التقاليد وعينها على التحديث ... أو العكس !

ووجهة النظر الغالبة ، هى أن الكونفوشية ، بجذر تاريخى عميق – لكنه بعيد ! – ووزن ثقافى ضخم ، يمكن أن تعود أو تبقى :

* كونفوشية تقاليد تاريخية ، بوصفها موضوعاً للتأمل الفكرى والبحث النظرى المجرد – وليس شيئاً آخر غير ذلك ! –

* تدخل القرن الواحد والعشرين الميلادى بوصفها : « الروح القومي الشريد » معزولة بأسوار جغرافية ومنكفئة على ذات تاريخية شديدة الحساسية ، ومن ثم تجد نفسها أقرب مزاجيا إلي التفاعل مع مركب الآلام : العزلة ، تضخم الشعور بالذات ، الاضطهاد ، الشتات (بعض مدارس الكونفوشية تنشط فى المهجر !) – الدياسبورا ! وكثير جدا مما يمكن قراءته بين السطور ! .

* حتى بأكثر التقديرات شططا ومبالغة ، يصعب التنبؤ بعودة التيار الكونفوشى ، بالمعنى الحقيقى له ، وإنما يظل موضوعا قابلا للحياة فى إطار الأدب الكونفوشى العجوز ، والدراسات التاريخية والأدبية القديمة .

مبالغة هائلة أن يقال أن القرن الواحد والعشرين هو قرن الفكر الكونفوشى وحده ، وإن كان يمكن القطع بأنه لن يطلع فجر قرن آخر جديد بغير كونفوشية جديدة تلمع عند منبت النور فى مشرقه .

الباب الأول

« شيوآر » (١)

وجملته ستة عشر فصلا

١-١ قال كونفوشيوس : « كم هو ممتع أن تتعلّم وأن تراجع ماتعلمت ، وكم هو ممتع أن تلقى صديقا حميماً يأتيك من سفر بعيد . وياله من رجل مهذب ذلك الذى يتجاوز عن تجاهل الناس لمكانته العالية » .

١-٢ قال يوزى « أنبغ تلاميذ المعلّم » : هناك صنف من الناس يثنى تمجيدا لأبيه وأمه ، احتراما لأهله وإخوته . وينتصب بقامته جريئاً أمام أصحاب النفوذ . هادىء ليّن الطبع أمام أهله ، عنيف قاس مع الحمقى قساة القلب . فهوصنف نادر من البشر . وهناك من يعظمون رؤساءهم برغم طبيعتهم التواقة إلى التمرد والعصيان ، وهؤلاء يندر وجود أمثالهم . لذا وَجَبَ على الشريف المهّذب أن يتحلى بهذه الصفات ، فإذا تمكنت منه صارت أصلاً ، وإذا صارت أصلاً أنبتت الاحسان والفضيلة . وإن أطيب ما أثمرت الفضائل جميعاً : احترام الوالدين وإكبار الأخوة والأشقاء » .

١-٣ قال كونفوشيوس : « إذا ما قابلت من يتظاهرون بمحاسن الأخلاق ، ويبالغون فى معسول الكلام ، فاحذر ، فنادراً ما تعرف الفضائل طريق هؤلاء » .

١-٤ قال سنغ زى [٢] : « فى نهاية كل يوم أراجع نفسى فى ثلاثة أمور ، فأتساءل : هل بذلت كل ما أستطيع لمساعدة الآخرين بإخلاص وتفان ، وهل كنت صادقاً وفياً طوال اليوم لأصدقائى ، وهل راجعت واستفدت شيئا من العلم والحكمة »

١-٥ قال كونفوشيوس : « من يحكم بلداً مترامي الأطراف ، عظيم الاتساع ، فليحرص على الجدّ فى سياسته ، وليضع ثقته فى مواطنيه ، وليحذر التبذير ، وليقرّب إلى مجلسه الأجدر والأعقل وليضع الناس جميعا تحت إمرته ماشاء إلا أن يكون فى ذلك إهلاكٌ لزرع أو خرابٌ لحرث وحصاد » .

١-٦ قال كونفوشيوس : « من مكث من الشباب فى داره ، فليطع آباءه ، ومن قصد إلى العلم فليطع أستاذه . فالأمانة على من عمل ، والصدق على من قال: «ولتكن الصداقة للأوفياء والمعاملة بالحب لجميع الناس وبعد ، فمن بقى لديه فائض من وقت ، فليطالع كتب الأقدمين ، ويتأمّل سيرة التاريخ » .

١-٧ قال زيشيا [٣] : « إن رجلاً تزوج ، وأحسن الاختيار فأكبر الخلق علي الجمال ، وبرّ بوالديه ، فبذل لهما دم قلبه ، وخدم رؤساءه ، فثابر وتفانى ، وصادق فصدق ، وتعارف فأخلص الروح والضمير . . رجلاً مثل هذا ، حتى وإن كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، فهو عندى أفضل الناس علماً ووعياً » .

١-٨ قال كونفوشيوس : « لابد للعاقل الشريف أن يتحلّى بوقار الجدّية ، إذ لا مهابة لمن لاجدية له . ولابد أن يثابر ويتعمق فى دراسته ، فقليل من العلم لا ينفع بشىء . فإذا تولّى شئونا

عامة ، فليعمل بنزاهة واخلاص ، إذ هما المبدأ والأصل . ولا يصاحبّن من هم دونه علماً ومكانة ، وليسبقّن إلى الصواب إذا وقع فى محظور أو زلّ به الخطأ » .

١-٩ قال سنغ زى : « إن إقامة الصلوات على أرواح الموتى من الآباء والأجداد ، تصقل الإيمان وكرم الأخلاق ، وترتفع بأخلاقيات العامة والبسطاء إلى مستوى رفيع من النبل والأصالة » .

١-١٠ جاء زيشين (٤) إلى تسيكون (٥) وسأله ، قال : « أرى أستاذنا ما إن ينزل بلداً حتى تأتيه أخبارها وأسرارها ، وإنى لأتساءل : أهى مهارته فى السعى وراء المعرفة ، أم هم الآخرون الذين يسعون إلى إخباره ؟ فأجابه تسيكون : بل هو بأدبه وحصافته ، ولين جانبه ، وبراعته ، وتواضعه الجمّ ، بكل ذلك يحيط بالأسرار وخفايا الأخبار ، وهى ، لعمرى ، طريقة فى جمع المعلومات ، تختلف عما ألفنا من طرائق » .

١-١١ قال كونفوشيوس : « على الشاب أن يهتدى بإرشادات أبيه الذى على قيد الحياة . فإن توفى الأبّ ، فلينهج الولد سيرته ، فمن بقى يسلك سلوك أبيه فى الحياة ، ويترسّم آثاره من بعده ، استحق أن يُعّد الابن البار المطيع » .

١-١٢ قال يوزى (٦) : « إن قواعد المعاملات الحسنة لابد أن تقود إلى الاتقان والتفانى فى أمور الحياة . وقد كان الملوك والأباطرة فى كل زمن يعظّمون أثرها ويلتزمون بها فيما عَرَض لهم من أمور زاد أو نقص خطرها ، وأيّا ما كان ، فلا ينبغى تفضيل

الاتقان على المعاملة الطيبة ، فالخير لأجل وجه الخير لا ينفع . وإنما الأمور مزيج من إحسان وإتقان » .

١-١٣ قال يوزى : « الالتزام رديف الثقة ، والثقة قوامها الأخلاق ، لأن من وعد وأخلص فقد فاز . واعلم أن التواضع والخلق الكريم لا يقومان فى قلب رجل مالم يزينه التأسّى بالأسوة الحسنة ، ومن كانت تلك شيمته ، فعليك بصداقته » .

١-١٤ قال كونفوشيوس : « لا ينبغى للعاقل أن يجعل ملذات العيش غاية أمله . فليزهد فى حلّ وترحال ، وملبس ومال . وليكن مسعاه إلى عمل بإتقان ، ولسان مصان ، وحرص فى القول وأمانة فى العمل . وليحاذر فى الصحبة . فلا يجالسّن إلا من كملت أخلاقه وحسنت صفاته . فلعله مستزيد من فضائل أو مستصوب لهفوات النفس ، وإنه لهو الطريق السالك إلى أحسن العلم » .

١-١٥ جاء تسيكون إلى كونفوشيوس وسأله : « ما رأيك يا سيدى فى فقير لا يتملّق ، وغنىّ لا يتكبّر ؟ ، فأجابه ، قال : نعم الخلق إذن . لكن أين ذلك من فقير قانع ، وغنىّ كريم الخلق ، فقال تسيكون : وإنه ليستوجب ترويض النفس وتطويعها ، لتصير تلك الخصال مركوزة فيها ، أو كما قيل فى كتاب الشعر قديماً :

« هو شىء كالحفر على رخام .. على صوان كالنقش على جوهرة من ماس . . . فى حجم حبات رمال » .

أليس هو كذلك يا سيدى ؟ فأجاب المعلم : أى «دوانمو سى» أيها الذكى النابغ ، فالآن لا يسعنى إلا أن أتبارى وإياك فيما جاء به كتاب الشعر من ذخائر ، فقد بدا لى من توقد ذهنك وكشفك للمُعَمّى بما دعت قريحتك ، ما حملنى على ما سمعت » .

١٦-١ قال كونفوشيوس : « لا أخشى أن يجهلنى الناس ، بل كل ما أخشاه ، هو أن أجهلهم ، أن تخفى عنى حقيقتهم » .


محمد خطاب

الباب الثانى

« ويجين »

وجملتة أربعة وعشرون فصلا

٢-١ قال كونفوشيوس : « من جعل الأخلاق أساس الحكم ، صار كمثل نجم قطبى، يثبت بالنور مكانه ، وتهيم فى مداره أفلاك من كواكب سيّارة » .

٢-٢ قال كونفوشيوس : « حوى » كتاب الشعر « أكثر من ثلاثمائة قصيدة ، يمكن إيجازها فى عبارة واحدة : « ليس أطهر من هذا الشعر وقائله » (٧)

٢-٣ قال كونفوشيوس : « إن الهداية بقوة القانون ، وإن الرّشاد بسن العقوبة والنصّ عليها فى متون التشريع . . . كل ذلك قد يجبر الناس على اجتناب الرذيلة ، لكنه لا يقنعهم بفداحتها ، ولا يبّغضها فى نفوسهم تبغيضاً . أما الموعظة بمكارم الأخلاق ، والتهذيب بالحضّ على التقوى ومحامد السلوك ، فيوقد الخشية فى القلوب ، ويلهب الرعب فى الضمير ويقود النفس بزمام إرادتها طائعة مختارة إلى صادق التوبة وأزكى المثاب » .

٢-٤ قال كونفوشيوس : « كنت وأنا ابن خمس عشرة سنة أتوق إلى التعلّم ، فلما بلغت الثلاثين ، أدركت الحلم ، فوعيت الأصول وقواعد السلوك ، ثم أدركت الأربعين ، فخبرت من أمور الدينا ما ثبتت به قدمى . وفى الخمسين بصرت الحياة

وفهمت معنى الوجود والقدر ، ثم كنت وأنا فى الستين ، أعاين مقاصد الرجل وخبايا نفسه من كلمة يقولها ، فما بلغت السبعين حتى كنت أطلق لنفسى العنان ، تجوب أنّى شاءت ، وتأتى ما بدالها ، فما تجاوزت قدراً ، ولا بلغت حد غلوائها »

٢-٥ جاء مينيتز (٨) إلى كونفوشيوس ، وسأله عن طاعة الوالدين ماذا يقصد بها ، فأجابه : « هى ألا تخيب رجاء والديك » فما مضى وقت طويل حتى كان كونفوشيوس فى صحبة تلميذه « بان شى » فبادره المعلم قائلاً : « أتعرف أن واحداً من عائلة «منغ» سألنى عن طاعة الوالدين ، فأجبته بأن المعنى في ذلك هو ألا تخيب رجاءهما ! وسأله محاوره : « وما تقصد بذلك يا سيدى ؟ » ، فأجابه : « أن تحسن معاملة والديك فى حياتهما ، ثم أن تفى بحق أرواحهما فى طقوس جنائزية لائقة عند الممات » .

٢-٦ جاء منغوبو (ابن « مينيتز » .. رجل البلاط الشهير) إلى المعلم ، وسأله عن معني الطاعة ، فأجابه : « هى ألا يكون فى الدنيا كلها شيئ يشغل الأبناء عن السهر على راحة وصحة آبائهم » .

٢-٧ جاء زايو (٩) إلى كونفوشيوس ، وسأله عن طاعة الوالدين ، فأجابه : « صارت الناس تظن أن البرّ بالوالدين يعنى إطعامهما بما لذّ وطاب . لكن المخلوقات الأليفة أيضاً تجد من يطعمها ويسقيها بأفخر وأبهى طعام وشراب . إن الإكرام بغير احترام ، لا يختلف كثيراً عن اقتناء القطط والجياد » .

٢-٨ جاء ريشيا إلى المعلّم وسأله عن طاعة الوالدين ، فأجابه ، قال « إذا كانت الأمور تقاس بمقدار الجهد ، فالبرّ إذن أن تمدّ يد المساعدة ، أو كما قلت آنفا . . أن تهيىء لوالديك مآدب الطعام الفاخرة ، فيشبعان « ويمتلئان » من خبزك وخمرك ، إذ يبدو لى أن أحداً لم يعد يقدر هذه الأيام أن يحمل ابتسامة صافية على وجهه ويدخل بها على أبويه ، يملأ قلبيهما بالسعادة ، عرفاناً وحبّاً خالصا » .

٢-٩ قال كونفوشيوس : « كثيراً ما ألقيت دروسى على أنبغ تلاميذى « يان هوِى » ، فما وجدته عارضنى بشىء أو فتح فمه بسؤال ، حتى ظننت به بلادة الحس وخمود العقل ، وما هو إلا أن تكشّف لى من سلوكه وتصرفاته معى ومع الآخرين نبوغاً فى العلم وطلاقة فى الفهم والبيان ، فما رأت عينى ولا وَعَى قلبى رجلاً مثله فى حدة العقل وجلاء البصيرة » .

٢-١٠ قال كونفوشيوس : « راقب تصرفات واحد من الناس ، بما فيها من طيب أو خبيث ، ولا حظ الدوافع وراء تلك التصرفات ، ثم راقب مدى رضاء الفرد أو سخطه على ما بَدَر منه ، وهيهات أن تخفى عنك كوامن النفس أو تغمض عليك دخائل الوجدان والضمير » .

٢-١١ قال كونفوشيوس « راجع دوماً ما سبق لك تحصيله من معرفة ، تنكشف لك حجب فهم جديد ، وتصير جديراً بكرسى المعلم نفسه » .

٢-١٢ قال كونفوشيوس : « إن رجلاً ذا علم وموهبة لا يجدر به أن يعمل مثل آلة صماء ، مثل أداة منزلية رخيصة متواضعة » .

٢-١٣ جاء تسيكون إلى كونفوشيوس وسأله كيف يصير الرجل عاقلاً فاضـلا ، فأجابه ، قال « بأن تكون أفـعاله مقدمـة لأقواله . . يبادر إلى العمل ثم يتبعه بالقول » .

٢-١٤ قال كـونفوشيـوس « العاقل من يوازى فى عـلاقاته ، وينأى بنفسه عن عصبة متحزبة ، أما الغافل ، فيلقى بنفسه وسط زمرة من الأصفـياء ، يتـحزّب ولا يخالـط ، حتى تكاد تضيـق عليه الدوائر » .

٢-١٥ قال كونفوشيوس : « القراءة بغير تحليل وفهم ، إرباك للذهن بلا طائل ، والفكر المجّرد بغير قراءة ، هو عين الهلاك » .

٢-١٦ قال كونفوشـيوس : « إن كل الأفكار الضالّة التى حادت عن فكر قويم ، تحمل بذور خطر داهـم ، ولا سبيل إلى دفع الخطر إلا بتصحيح الفكر وتنقية الفهم من شائبة الأباطيل .

٢-١٧ قال كونفوشـيوس لتلميذه « يو » [(١٠)] : « أعلّمك شيـئا ، فاحـفظ عنّى : لا تقل « أعرف » إلا إذا عـرفت ، فإن جلهت شيئاً ، فقل لا أعرف ، فهذا هو رأس الحكمة » .

٢-١٨ جاء زيجانغ [(١١)] إلى كونفـوشيوس وسـأله : « بماذا يرتقى المرء منصبا ذا شرف ووجاهة ؟ فأجابه : « بأن يجيد الإنصات ، ثم يحتفظ فى ذهنه بما لم يفـهم ، وأن يحاذر عند القول ، فلا ينطق إلا بما قـد فـهم حقـا ، فـذلك يعـصم من الزلل . ثم فليتأمل كثيراً وليستبق فى عقله مالم يستغه الفهم ، فإن انطلق

إلى العمل ، فلا يقربن بيده إلا ماوَعَى فعله ، فذلك يعصم من الندم ، فهكذا يصير الرجل حريصاً فى قوله ، أمينا فى عمله ، فتلك تبلغ به مبلغ الشرف وعظيم المكانة » .

٢-١٩ جاء الدوق « إيكونغ » إلى كونفوشيوس ، وسأله : « كيف أقود الناس فى إمارتى إلى الطاعة ؟ » فأجابه : « أكرم الأمين واضرب اللئيم ، ينقادوا لك . وانصر المحتال أو اظلم الشريف ، ينقلبوا عليك » .

٢-٢٠ جاء جيكانزى (١٢) إلى المعلم ، فسأله : « ما الوسيلة إلى نيل احترام الناس وإخلاصهم ، ثم إفشاء الأمانة والتراحم فيما بينهم ؟ » فأجابه : « إن تسيدت عليهم بالجد والوقار ، لقيت منهم التبجيل ، وإن رحمت كبيرهم وأشفقت على صغيرهم ، بذلوا لك الإخلاص ، فإن مجّدت الكريم وأعنت ذا الحاجة ، تكون قد أشعت بينهم البّر والإحسان وروح الخير والتفانى » .

٢-٢١ جاء رجل إلى كونفوشيوس ، وسأله : « لماذا لا ترتقى منصبا حكومياً وتشارك فى « المهام السيادية العليا ؟ » فأجابه : « ورد فى نسخة نادرة من كتاب « سجلات تاريخية » مامفاده أن أعظم الأعمال وأجّلها هى الطاعة لأبويك ، والاخلاص لإخوتك ، وحبذا لو تساميت بهذه الروح إلى آفاق « المفاهيم السيادية الراقية » فذلك أيضا نوع من المشاركة فى ممارسة السلطة ، فلماذا نتصور دائما أن الممارسة السياسية لا تتأتى إلا بارتقاء منصب حكومى مرموق ! » .

٢-٢٢ قال كونفوشيوس : « لا خير فيمن لا يصدق ، ولا جدوى من كاذب ضال ، لأن الصدق فى الرجال أعنتها ، فما نفعك من فرس جامح بلا عنان ؟ ! » .

٢-٢٣ جاء « زيكانغ » إلى المعلم ، فسأله : « أيمكن ، يا سيدى ، معرفة ما تصير إليه الأحوال فى نظم الحكم بعد عشرة أجيال قادمة ؟ » فأجابه : « أجل ... فيمكن ، مثلا ، استقراء ما تصير إليه الأوضاع إذا ما تحققنا من صحة الغرض بأن مملكة « شاو » تقتبس نظم وتقاليد دولة « شيا » ، وهو ما يستتبعه بالضرورة عملية فرز وانتقاء تفضى ، غالبا ، إلى مسلكين : إما الأخذ بما يلائم والنبذ والتعديل لما يخالف ، وهذا أمر يمكن التنبؤ به ، أو أن تقتبس دولة « شيا » سياسة ونظم مملكة « شاو » ثم تجرى بدورها ما يناسبها من فرز وتعديل وانتقاء ، وهذا يمكن أيضا استقراؤه فمن ثم أستطيع أن أخبرك بما تصير إليه أحوال الملوك والممالك والظروف التى سيجدونها ماثلة أمامهم ، فى دولة « شاو » مثلاً ، ولو بعد عشرة أجيال كاملة » .

٢-٢٤ قال كونفوشيوس : « أن تبذل الوفاء والعرفان لمن لا يستحق ، فذلك هو النفاق ، وأن تقصّر همتك عن أداء الواجب والاضطلاع بما تمليه عليك المسئولية ، فذلك هو التخاذل بعينه » .

الباب الثالث

« بايو »

وجملته ستة وعشرون فصلا

٣-١ تحدّث كونفوشيوس منتقداً مظاهر الإسراف التى اشتهر بها الأمير « جى » ، فقال : « إذا كان (چى شى) وهو سيد قومه ، قد تجاوز الحدّ فيما جرت عليه عادات الناس ، فبلغ الشطط ، إذ أقام شعائر جنائزية على روح أجداده ، فبذل فيها غاية البذخ وبالغ فى المجون . فلئن كان هذا مسلكه فى مثل هذا الموقف ، فكيف له فى غيره من الأمور ! ؟ » .

٣-٢ أبلغ أحد التلاميذ كونفوشيوس بما مؤداه أن أفرادا من العائلات الثلاث الكبار : منغسون ، شوسون ، جيسن ، أقاموا الشعائر الجنائزية على روح أجدادهم ، إلا أنهم أنشدوا التراتيل الخاصة لملك الملوك ، فتجاوزوا حدوداً ليس لهم حتى حق المساس بها ، فقال كونفوشيوس : « هؤلاء يعوزهم البصر والبصيرة ، فإن هذه التراتيل موضوعة للأباطرة تطالبهم هم وأحفادهم بأداء طقوس ومراسم خاصة تقتصر عليهم فقط ، فكيف لهؤلاء الناس إذا سلكوا فى غير طريقهم ، والسالك فى غير طريقه ضالّ ، فلكل سائر درب ، ولكل خطو طريق .

٣-٣ قال كونفوشيوس : « إذا صار قلب الرجل خلواً من الانسانية ، فما النفع من تمسكه بقواعد المعاملات الكريمة ؟ إذا فرغ قلب

امريء من معنى الإنسانية فلن يكون لشيء في حياته معنى ، حتى وإن ملأ الدنيا كلاما وخطبا ومواعظ حول المعاني الراقية الجميلة » .

٣-٤ جاء رجل اسمه « لين فانغ » وسأل كونفوشيوس أن يعظه بموعظة يضعها نصب عينيه ، فأجابه : « إن مسألتك لعظيمة جداً ، فاعلم ، حتى وإن أقمت مأتماً ، لا تفرط ، فليس الحداد على ميّت بعدد ما أوقدت من شموع في جنازته ، وإنما بجلال أحزانك بالصدق المتّقد في عميق وجدانك » .

٣-٥ قال كونفوشيوس ، في فورة حماسة وطنية ، : « إنها قبائل همجية تلك التي تتناثر على تلال بلادنا ، وإن سادها كرام الملوك . فالمجد أبداً للسهول الصينية وإن غمرتها الفوضى وتنازعها الشقاق » .

٣-٦ ذهب سيد قبيلة « چي » لتقديم القرابين إلى آلهة جبل «تاي» ، فبلغ ذلك كونفوشيوس ، فقال لتلميذه « ران » : «اذهب وانصح له بالرجوع فذلك مما يخالف الأعراف» فأجابه التلميذ بأنه لا يقدر على ذلك فتعجب كونفوشيوس قائلا : «أيعظم الرجل وتهون الآلهة ؟ أيكون العابد أكرم من المعبود ؟!»

٣-٧ قال كونفوشيوس : « ليس للماجد أن ينازع أحداً من الناس الشرف ، أو يستلبه العزّ والسيادة ، فإن لم يكن بدٌّ من صولة الجاه ، فليتنكّب القوس والسهم ولينزل إلى ساحة الرماية ، وليحرص على تحية منافسه قبل النزال ، فإذا ما انتهت الجولة – نصراً أو هزيمة – فإنه لمن كرم المحتد وأصيل السجايا أن

يقبل على صاحبه باشّا متلطفا ، مبادلاً إياه نخب الامتنان والشرف » .

٣-٨ جاء « زيشيا » إلى كونفوشيوس وسأل عن المعنى فيما جاء بقصيدة فى « كتاب الشعر » مطلعها :

« يامن سرى الفجر بخدّيك حلواً كابتسامة
عيناك ظلال .. وشموع تراتيل
بهاؤك فتنة .. زينة أزيان
كألوان تزهر فى أحراش ،
نقوش على ثوب أبيض ،
زخارف .. موشاة فى منديل »

واستفهم السائل : « أين يكون الجمال هنا ، أيكون فى الوصف قبل الموصوف ؟ » فأجابه المعلم : « كلا .. لا يكون الأمر كذلك ففى البدء كان الموصوف ، ثم ازدان بمظاهر الجمال ، فصار قابلاً للوصف بما يليق به » فقال زيشيا : « إذن فالصفات تسبقها أصول ، كقولك : إن الفضائل لا تقوم إلا على أساس من الإنسانية » فهتف كونفوشيوس : « أى .. بوشانغ ! وإنك لتوقظ فى عقلى دفائن الفكر والتأمل ! فهلمّ نفكر معاً فى خبايا المعنى مما جاء بكتاب الشعر ! » .

٣-٩ قال كونفوشيوس : « أستطيع أن أروى للناس ما مضى من أخبار مملكة « شيا » ، لكن المؤسف أن ماتلى ذلك العهد من أبناء دولة « تشى » فلا أملك شاهداً كافيا لتوثيقه . وأستطيع أن أقص على الملأ الكثير من البراهين على ما وقع إبان حكم دولة

« سونغ » التى جاءت فى إثرها . إن رواية التاريخ لا يمكن أن تتكامل فصولها بغير شاهدين : توثيق صامت ، مرجعه سجل مكتوب ، وتوثيق صائب دليله : شاهد عيان ، سليم العقل نقى الضمير ، ولأننى لا أجد المزيد منهما ، فلن أجد الحجة المقنعة أو البرهان الساطع » .

٣-١٠ قال كونفوشيوس : « رأيت ، ذات مرة ، طقوس عزاء للموتى من أجداد مملكة « لوكو » ، فما راعنى إلا أن رأيتهم قد جاءوا ببدع وضلالات ، تخالف المعهود والشرائع ، فما رأيت لهم طقوساً بعدها قط إلا ازددت نفوراً ، وفكرت فى الانصراف ، فليس أظلم من انتهاك شرائع سرت فى العهود ، من الأزل ، ميثاق قداسة » .

٣-١١ جاء رجل إلى كونفوشيوس وسأله عن المغزى الحقيقى فى إقامة طقوس تمجيد الأجداد ، فأجابه ، قال : « لا أدرى بأى شىء أجيبك ، لكن قصارى ما أستطيع أن أقوله لك ، هو أن من يدرك ذروة الحكمة فيها ، فقد أوتى حكمة الزمان أوله وآخره ، وصار عليماً بأحوال الدنيا والبشر ، كأنه يقلّبها ها هنا » ثم أشار إلى كفّيه .

٣-١٢ كان كونفوشيوس يقيم الصلوات على روح أجداده ، فبذل فى ذلك كل جهد ، بإخلاص واحترام ، فكان موتاه أحياء شهود . وكان إذا تقرّب بقربان يتمثل الآلة أمامه ، تحصى عليه أفعاله . ومما أثر عنه فى هذا المقام ، قوله : « حتى لو عرض لى عارض منعنى من الصلاة والأضحية ، فذهب غيرى فأدّاها

عنى لبقيت مسهّداً تفزعنى الظنون ، ونفسى تحدثنى بأن مكنون القلب من تقوى وإخلاص لا يرتقيان معارج السماء بإنابة وسيط أو بتعهّد وكالة » .

٣-١٣ جاء وانغ سونجيا (أحد كبار القادة فى مملكة « ويغو ») إلى كونفوشيوس ، وقال له : « الناس تردد المثل السائر ، الذى مفاده أن : « الآلهة القريبة أفضل من البعيدة ! والآلهة التى فى ركن حجرتك القريبة ، أفضل من التى فى مطبخك (البعيد) » فما رأيك في هذا القول يا سيدى ؟ ، فأجابه : « هذا هو الباطل بعينه ، لأن فكرة العبادة بحد ذاتها ، لا تتسق مع انتقاءات التفضيل والاحتقار بين مراتب الآلهة . إن المساس بجلال الاعتقاد إذا طال قدسية السماء ، فقد أبطل مغزى العبادة وقوّض ركنها الأعلى » .

٣-١٤ قال كونفوشيوس : « إن جملة الشرائع والدساتير التى جرت صياغتها فى مملكة « تشوغو » ، تعد أبرع ما جرت به الأقلام قاطبة ، فما تركت شيئا مما خلفه الأقدمون فى دولتى « شيا » ، و« إين » إلا أخذته بنصيب وافر من الدرس والمراجعة ، فلهذا أقف منها موقف التبجيل ، بل النصرة والتأييد » .

٣-١٥ كان كونفوشيوس قد دخل أحد المعابد ، لأول مرة فى حياته ، وتصادف أن وافق ذلك ذكرى تأبين الدوق « چو » ، فما دلف من الباب ، حتى أخذ يرقب الطقوس الجنائزية ، ويسأل ويستفسر كل من يصادفه ، عما خفى عليه من أصول الصلوات والتراتيل ، ثم إن أحد الحاضرين ، صاح (ساخراً)

وقال : « ويل لابن « شوليانغ هى » ﴿ يقصد كونفوشيوس ﴾ يدخل المعبد ، فيستقصى ويستخبر عن هذه وتلك ، ما أبعد ذلك عن أخلاق الدين ! » فسمعه كونفوشيوس ، وردّ عليه قائلا : « على رسلك يا هذا ! لقد سألت حذراً من الوقوع في خطأ ، واستفتيت درءاً لخطيئة ، وإنه لرأس العلم وركن الإيمان » .

٣-١٦ قال كونفوشيوس : « ليست الرماية سواعد مفتولة ، ونصالاً مارقة عن الأقواس ، وإنما براعة فى التصويب وإحكام فى التسديد ، وانطلاقة واثقة فى قلب الهدف » .

٣-١٧ فى عهد مملكة « لوكو » أراد تسيكون أن يقضى على أحد الطقوس الشكلية التى اعتادت التضحية بكبش فداء فى مذبح المعبد ، عند أول كل شهر قمرى ، فلما بلغ الأمر كونفوشيوس على لسان تسيكون نفسه ، التفت وقال له : « لست أوافقك الرأي على ما تريد ، فالطقوس وإن بطل مغزاها ، باتت ركناً من العقيدة ، فحذار أن تفتن الناس فيما آمنوا به وإنك لحريص على رقاب الكباش ، وإنى لحريص على شعائر الدين وطقوس المعابد » .

٣-١٨ قال كونفوشيوس : « بذلت الطاعة والاحترام ، لرؤسائى وأولى الفضل من الناس ، كما اقتضت الأصول ، ثم قال القائل ، بأنه الرياء والتزلف ، فويل لخبث الظنون » .

٣-١٩ جاء الدوق « دينغ » إلى كونفوشيوس ، وسأله : « كيف ينبغى أن يكون الأمر بين الأمير ووزرائه ؟ » فأجابه : « على

الأمير أن يتخذ وزراءه حسب القواعد المتبعة ، وعلى وزرائه أن يبذلوا له الإخلاص والتفانى » .

٣-٢٠ قال كونفوشيوس : « فى كتاب « الشعر » قصيدة بعنوان : «كوان جيو» فهى أروع ما كتب شعراً ، تفيض عشقاً بغير تبذّل ، وتفطر آلاماً بغير نواح » .

٣-٢١ جاء آيكونغ إلى الخطيب المفوّه « زايو » وسأله عن نوع الأخشاب التى يجب عليه تقديمها قرباناً فى معبد آلهة الأرض ، فأجابه ، قال « كان الحكام على عهد دولة « شيا » يستخدمون خشب الأرز ، أما حكام « إين » فقد استخدموا خشب السِّدر ، ثم كان أباطرة أسرة « تشو » يفضلون خشب جوز الهند ، اعتقاداً منهم أنه يثير الإجلال والرهبة فى نفوس رعاياهم » وكان كونفوشيوس حاضراً ، فما سمع قول زايو ، حتى صَاحَ فيه معاتباً : « الفطنة يا رجل .. أما علمت أنه لا جناح مع ما فات ولا موعظة لما انقضى ، فما هلك فى الدهر ، لا يجديه التحرّز ، إذ مقارعة الماضى حكم بغير حكمة » .

٣-٢٢ قال كونفوشيوس : « ما رأيت أحداً تقاعست به الهّمة وتخاذلت به التطلعات مثل السيد « كوانجون » ﴿ تولى رئاسة الوزارة فى دولة « تشيغو » القديمة ﴾ ، فقام رجل ، وقال : « وما يدريك ، فعساه كان يضيّق على نفسه وعلى بلاده ، خشية الإسراف مع ضيق الموارد » فأجابه : « لا ، بل كان أغزر الناس مورداً ، وبلاده يومئذ أغنى الممالك عدداً وعدة » ثم راجعه الرجل ثانية ، قال : « فلعلّه قد أغنت عنه حصافته

ومراعـاته لأصول المعـاملات ! » فـأجابه المعلم : « مـا أغنت الحصافـة عن أحد شيئـا ، وكيف يكون الرجل حصيـفاً ، وقد رضى بأقل النجاح ، فتقـاعس عن بلوغ آفاق التطور والإنجازات الكبرى » .

٣-٢٣ قيل إن كونفوشيـوس التقـى بشيـخ العـزف والغنـاء فـى دولـة « لوكو » فتحـدثا عن الموسيقى ، فقال له كـونفوشيوس : « إن الأساس فى عزف الألحان يتبع قاعـدة معلومة ، فلابد فى البدء من توافق الأداء ووفرة النغم ، ثم تلى ذلك مرحلة تطور العزف لتبلـغ أتم عنفوانها ، فـيصـدح الإيقاع ، ويشرق اللـحن باذخا يصل انسجـام الصوت بعنفوان الرنين ، يتـجاوب فى الآفق . . نشوة انعتـاق ، حّر ، أصيل ، فاذا بلغ اللحن مـنتهاه ، وقف عند نقطة فـى المدى ، تسـمح لرجع الصـدى ؟ أن يهـمس فى الأسماع ببقايا لحن يعزفه السكون » .

٣-٢٤ أراد أحـد القـادة فـى حـصن بـلدة « أيا » أن يـقـابل كونفوشـيوس ، قال : « مامـرّ بى رجل فاضل ذو علم واطلاع إلا كانـت لى معه لـقاءات وحوارات » . فـذهب بعضـهم إلى كونفوشـيوس ، فاصطحبـوه لمقابلته ، وذهب إليه وتحـدث معه طويلا ، فلما خرج المعلم من عنده ،قال القائد للتلاميذ : « ما أعجبت إلا لسعـيكم وراء أغراض زائلة ، وفيكم مثل الحكيم . لقد أصاب الدنيا شـرّ وبيل ، طال به المكث بين ظهرانينا . وما أرى إلا أن إرادة السمـاء قد اصطفت لنا هذا الرجل ، لصـحوة الضمائر وإيقاظ الغافلين » .

٢-٢٥ تحدث كونفوشيوس عن موسيقى الـ « شاو » التى وضعها الامبراطور « شون » فقال : « إنها أعذب الألحان ، تعبيرا وأداءً (وكان الامبراطور شون ، هو الذى نشر الأمان فى ربوع مملكة آلت إليه بالسلم) وتحدث عن موسيقى الـ « آو » التى وضعها الملك « أوانغ » ، فقال : « لابأس بأدائها ، لكنها فقيرة التعبير » .

٣-٢٦ قال كونفوشيوس : « إن رجلاً تقلّد منصبا رفيعا ، فظلم من تحته . وعرضت عليه آداب المعاملات ، فأبى واستكبر ، فلما مشى فى جنازة ، خلع العذار والأحزان عن سيماه .. رجل مثل هذا .. هيهات أن تمجد سيرته ، هيهات أن تحمد فعاله ، فبئست الخصال والرجال » .



الباب الرابع

« ليران »

وجملته ستة وعشرون فصلا

٤-١ قال كونفوشيوس : « ليس أفضل من السُكنى بجوار جار طيب النَّفس ، كريم الخلق ، فمن غفل عن ذلك ، فقد تناءت عنه الحكمة ، وتزاور عنه الرّشاد . »

٤-٢ قال كونفوشيوس : « إذا فرغ قلب رجل من الإنسانية ، فلا الفقر يزجره ولا الغنى ينفعه ، فهو في الأولى مارق جاحد ، وفى الثانية مسرف باذخ ، فمن عمر قلبه بالرحمة ، توطدت فى أعماقه نوازع الخير . واعلم أن العاقل من ابتغى إلى التراحم سبيلا ، يجنى به نفعًا ، إن لم يكن غاية ، تحُسن بها صفاته ، وتكمل بها أخلاقه . »

٤-٣ قال كونفوشيوس : « الطيّبون فقط هم الذين يقدرون على حّب الخير وكراهية الشرّ . »

٤-٤ قال كونفوشيوس : « لو تكاتف الناس حول معنى الإنسانية ، لانتهى الشّر من العالم . »

٤-٥ قال كونفوشيوس : « الثروة والمجد والجاه غاية كل فرد ، بشرط نزاهة الوسيلة . وإلا فإن العاقل لن يبتغى إليها طريقا ، أما المسغبة والفقر والإملاق ، فعنها تزوّر النفس الكريمة ، بشرط استقامة المسلك ، وإلا فإن الشريف الماجد لن يبالى الضعة

والهـوان . ليس للكريم أن يلوث نقـاء يده ، ولا للشـريف أن يقصرّ عن نبل مـقصده ، وأصالة أخلاقـه . وإلا فما النفع من الحياة بغـير تلك الخصال ؟ ! ليس للعاقـل أن يضيّع نزاهته ولو مات جـوعًا ، ولو تشتتت به السـبل ، أو غمرته الدنيـا بعاجل غوايتها .

٤-٦ قال كونفوشيوس : « ما رأيت فى حياتى قط امرءاً يحب الخير مخلصا لوجه الخير ، ولا عرفت امرءاً يبغض الشرّ بغُض الموت ؛ ذلك أن من أحبّ الخـير بصـدق ، اتخّـذه نبضٍ قلب وروح وجود ، ومن بغض الشرّ ، تجنب حبائله ، ولئن سئلت إن كان فى الدنيا كلها رجل يسلك اليوم كله من فجره إلى غسقه كادحاً صادقا لمعنى الخير ، فقد قلت بأنى مارأيت مخلوقا بهذا الوصف ، ولعله موجـود يسعى حيا بيننـا ، لكنى لم ألتق به حتى هذه اللحظة . »

٤-٧ قال كونفوشـيوس : « إن هفوات النفس دليل على طباع المرء ومزاجه ، فأحيانا ما تـكشف الأخطاء الصغيرة عن حقائق هائلة تختبئ خلف جدار النفوس . »

٤-٨ قال كونفـوشيوس : « إن أدركت الحقيقـة ذات صباح ، فلن أخشى أن يعاجلنى الموت فى المساء . »

٤-٩ قال كونفـوشيوس : « إن صادفت ساعيًـا إلى العلـم ، قاصداً إلى نور الحقيقة ، تخزيه رداءة طعـامه وشظف عيشه ، أمسكت عـن مـحـاورته ، فـمـثله غيـر جـديـر بعبء الدرس وعناء التحصيل . »

٤-١٠ قال كـونفوشيوس : « كل أحـداث العالم وشئونه لا تجـديها التناولات بأقصى وجهـات النظر : إما رفضًا مطلقـا ، أو قبولا بغيـر شروط . فالعـاقل من يحسن التدبيـر فى معالجـة الأمور مسترشدا بمعيار التوسط (الاعتدال) والأخلاق . »

٤-١١ قال كونفوشيوس : « الشريف بما كملت أخلاقه ، والدنئ بما

اغترف من المال وبهجة العيش ، والماجد من اهتدى بأصول الأعراف ، وأما الذليل فيجترئ عدوانًا ، ثم يستجدى العفو وصفح الصدور .

٤-١٢ قال كونفوشيوس : « من يجعل منفعته غاية أمله ، يجلب على نفسه الحسرة والندم . »

تساءل كونفوشيوس : « ألا يمكن اتخاذ الأخلاق السامية أساسًا للحكم ؟ ! أهو أمر يعسر على التطبيق فى الواقع ؟! ولئن كانت الحال كذلك ، فما نفع المبادئ ، وما جدوى الفضائل ؟! »

٤-١٤ قال كونفوشيوس : « إن تقلد المناصب المرموقة ليس هو المشكلة ، وإنما امتلاك الجدارة لاستحقاق القيام بأعبائها هو المحك والأساس ، وليست الشهرة بالشئ المهّم ، فالأهم منها هو حاصل القدرة المبدعة بالتمكن التام ، عن طريق المهارة الواعية ؛ إذ إنها الركيزة والأساس . »

٤-١٥ قال كونفوشيوس محدثا أحد تلاميذه : « أى سنشن .. اعلم أن كل أفكارى تنبع من مبدأ واحد . وكل كلماتى تنتظمها كلمة واحدة لا أكثر . » فأجابه ، قال : « صدقت ياسيدى .. هو ذاك . » فما خرج المعلم ، حتى أقبل باقى التلاميذ يستفسرون من سنشن عن معنى قول الفيلسوف ، فأجابهم ، قال : « المغزى فيما قال إنه فلسفته كلها تصدر عن مبدأ خلاصته : الإخلاص والتسامح . »

٤-١٦ قال كونفوشيوس : « النبيل لا يسعى إلا للفضائل ، رفعة

ومجداً ، والحقير لا تحدوه إلا منفعته ، أنانية وجشعًا . »

٤-١٧ قال كونفوشيوس : « تعلّم من النبيل مكارم أخلاقه ، راقبه واحتذ حذوه ، وتعلّم من السّفيه نقيض أفعاله ، راقبه وراقب نفسك واسلك غير طريقه . »

٤-١٨ قال كونفوشيوس : « قم على رعاية والديك بالحسنى ، فإن صادفت منهما ما يستوجب النصح ، فانصح لهما ، لكن بتأدب شديد واحترام جم . فإن ألفيت منهما نفوراً وازورارا ، فعليك أن تحترم مسلكهما ، على أى وجه كان ، وابذل روحك لأجلهما بتفان ، فإياك وبغض الوالدين . »

٤-١٩ قال كونفوشيوس : « لا يحق للابناء أن يسهدوا جفن والديهم بعذاب السفر والرحيل بعيدا عنهم ، فإن لم يكن بد من داعى السفر ، فليكن لهم خارج أوطانهم مقار سكنى دائمة ، لأجل أن تقر عين ذويهم . »

٤-٢٠ قال كونفوشيوس : « إذا بقى الابن يواصل عمل أبيه المتوفى ، ويصل ذكراه فى الدنيا ، على مدى آجال طويلة ، فهو جدير بلقب الابن البار المخلص . »(١٣)

٤-٢١ قال كونفوشيوس : « لا ينبغى للأبناء أن يغفلوا عن عدد سنى حياة والديهم ، فهو أمر يشيع السعادة مثلما يجلب القلق معًا فهو خير ، إذا كانت الصحة تاجا والعافية تزين الجبين ، وقلق إذا ما رذل العمر وأزفت الشيخوخة . »

٤-٢٢ قال كونفوشيوس : « لم تكن عادة القدماء أن يقطعوا على أنفسهم العهود بسهولة ؛ إذ المحك ليس فى تقديم الوعود ،

وإنما فى الوفاء بها . »

٤-٢٤ قال كونفوشيوس : « من النادر جداً أن يكون الإفراط فى الحرص أو المغالاة فى الحذر سبباً للوقوع فى الخطأ . »

٤-٢٥ قال كونفوشيوس : « العاقل من زاد فعله عن قوله ، والذكّى من تعّجل الفعل ، وتمهّل القول . »

٤-٢٦ قال كونفوشيوس : « ما كانت العزلة قط من مكارم الأخلاق ، بل الفاضل من اتخذ الصاحب والصديق . »

٤ - ٢٦ قال زايو : « التكلف فى خدمة الأمراء مجلبة للهوان ،


محمد خطاب

« كونغ إيشانغ »

وجملته ثمانية وعشرون فصلا

٥-١ والتصنّع فى معاملة الأصدقاء حماقة لا تجلب إلا الخسران . »

ما برح كونفوشيوس يذكر تلاميذه بالخير ، حتى قال ذات مرة عن كونغ إيشانغ [١٤] : « هو رجل حسنت صفاته ، حتى أنى آمن على ابنتى زوجة له . » ذُكِرَ له أن كونغ إيشانغ هذا ، كان نزيل سجون ، فأجاب : » فلا بد أنه قدر حل به فلم يملك له دفعا . » ثم أنه عقد له على ابنته فعلاً .

٥-٢ تحدث كونفوشيوس عن تلميذه « نان رونغ » ، فقال : « هو رجل ذو همة فى وقت الجدّ ، وذو هيبه والناس لئام . » ثم إنه عقد له على ابنة أخيه الأكبر وزوّجه بها .

٥-٣ تحدث كونفوشيوس ممتدحًا أخلاق تلميذه زيجيان [١٥] ، فقال : « هو رجل اجتمعت فيه الفضائل : خلق وكياسة ، فعجبًا لمن سبّ أهل مملكة « لوكو » وذمّ أخلاقهم ، فما استقام الخير إلا فى أهله . »

٥-٤ جاء تسيكون إلى كونفوشيوس ، وسأله : « قد قلت رأيك فى كل واحد من تلاميذك ، فكيف ترانى ؟ » فأجابه : « إن كان يوصف الرجل بأنه حكيم عاقل ، فأنت بذاتك الحكمة . »

فسأله : « وكيف ذاك ياسيدى ؟ » فقال : « قد نظرت فما رأيت أحداً أكثر دراية منك بأمور الحكم فى طول البلاد وعرضها . »

٥-٥ جاء أحدهم إلى كونفوشيوس ، وقال له : « أرى أن تلميذك « ران يونغ » ، برغم تواضع أخلاقه وأدبه الرفيع ، لكنه يفتقد دقة المنطق وطلاقة اللسان . » فأجابه : « ليست لباقة اللسان ميزة فى كل الأحوال . فكثيرا ما يكون ذلك سببا فى استجلاب كراهية الناس ومقتهم ، ولا أدرى إن كان « ران يونغ » مهذب الخلق أم لا ، لكن فصاحة البيان هنا لا تستأهل أى قيمة . »

٥-٦ أسند كونفوشيوس إلى تلميذه شيديا وكاى [١٦] إحدى الوظائف الرسمية الرفيعة ، فاعتذر الرجل عن قبول ذلك قائلا : « لست أجد نفسى مؤهلا لمثل هذا المنصب . » وبرغم ما فى الرد من جفاء الرفض ، إلا أن المعلم تهلل فرحًا بما احتواه المعنى النبيل من صراحة وصدق مع النفس . »

٥-٧ قال كونفوشيوس : « لو لم يكتب لأفكارى الصمود ، لركبت قاربا خشبيا ، وجبت البحار والأرض ، ولن أجد من يتبعنى حينئذ سوى السيد « كونغ يو » . » ثم إن هذا الأخير تهلل حماسة وفرحًا ، فقال له كونفوشيوس : « على رسلك يارجل ، إن شجاعتك تغريك ، وحماسك للمغامرة وركوب الأهوال تتجاوز حماستى أضعافا . فهلّا تمهلت . فإنها ليست مما يستسيغه العقل الراجح . »

٥-٨ جاء « منغ أوبو » [١٧] إلى كونفوشيوس ، وسأله عن أخلاق

الرجل المسّمى « زيـلو » فأجابه ، قـال : « لا أعرف عن ذلك شيـئا . » فـأعاد السـائل سؤاله ، فأجـابه : « إن الرجل الذى سألت عنه يملك المقدرة أن يصبح قائد فرقة عسكرية قوامها ألف عربة مقاتلة ، هائلة العدد والمؤونة . أما أخلاقه فلا علم لى بها فسأله منغ أوبـو ثانيـة : « فما رأيك إذن فى السيـد « رانشيو » [١٨] ، فأجابه كونفوشيوس : هو يستطيع أن يصبح حاكم مدينة تقطنهـا آلاف الأسر ، أو إقطاعيـة كثيـرة الثروة والنمـاء ، أما سلوكه الشخصى ، فلا علم لـى به . » ثم سأله ثانـية : « فما رأيك إذن فـى كونغشى تشى [١٩] ؟ » فأجابـه : « إنه لا يحتاج إلا إلى زى أحد رجال البـلاط من المختصين بالشئون الخـارجية فيستقبل الضيوف والبعثات الأجنبية ؛ إذ إن لديه الموهبة والمقدرة معًا فى هذا المجال. أما أخلاقه وفضائله ، فلا أدرى عنها شيئا ، ولا أبالى . »

٥-٩ أقـبـل كونفـوشـيوس علـى تسيكون ، فـسـألـه : « أيكمـا الأحـسـن ، أنت أم « يان هوى » [٢٠] ؟ » فأجـابه : « وكيف لمثلى أن يبلغ مـثل هذه الدرجـة ؟ أمـا علمت أن « يان هوى » رجل ذكى العقل ، متوقد الذهن ، يبلغ مـقصدك قبل أن تنتهى من كـلامك ! أما تـوانموسى . . الذى هو شخـصى المتـواضع البسيط . فـهيهات أن يبلغ هذا . » فـقال له المعلم : « الصدق ماقلت ، حقا ، شتان ما بينكما . »

٥-١٠ كان « زايو » أفـصح تلاميذ كـونفوشيـوس ، تأخذه سنة من النعـاس أثناء دروس النهـار ، وهو المفّوه البـارع الذى اشـتهـر بدعوته إلى الجـد والتحـصيل ، فلاحظ المعلم ذلك ، وقـال :

« إن الأخشاب العفنة لا تصلح للنحت والزينة . مثلما أن نفايات الرمل والحصى لا تقيم جدارا صلبًا متماسكا ، ولطالما نصحت لـ « زايو » وعنفته كثيرا فما ارعوى . » ثم أضاف قائلا : « كنت فيما مضى يعجبنى قول المرء ، فأظن أن عمله مطواع للسانه ، أما الآن فلا آخذ من القول إلا ما صدّقه العمل ، فبسبب « زايو » بدّلت مواقفى وأفكارى . »

٥-١١ قال كونفوشيوس : « ما صادفت فى حياتى قط امرءًا قوى الإرادة نافذ العزيمة . » فألمح له بعض الحاضرين أن تلميذه « شن جان » يستحق أن يوصف بالشجاعة [٢١] لشدة شكيمته ، فأجابهم المعلم ، قال : « بل إن شن جان هذا ، يتبع هوى نفسه ، وتسيطر عليه أنانيته ، فكيف لرجل هذه صفته أن يتحلى بالعزم والإرادة . »

٥-١٢ قال تسيكون : « ما أحببت قط أن ينالنى أحد بشئ أكرهه ، كما قد عاهدت نفسى ألا أنال أحدًا بسوء . » فقال له كونفوشيوس : « أى . . دوانموسى ، وإنه لأمر يعجزك ، فما أراك قادرا على ما انتويت . »

٥-١٣ قال تسيكون : « لقد حدثتنا أيها المعلم ، عن الأدب القديم ، فأفضت وبينت ، لكنك لم تفسّر لنا طبيعة البشر والوجود . »

٥-١٤ كان أحد رجال كونفوشيوس إذا تعلم شيئا ، وعجز عن تطبيقه أخذ نفسه بالشدة ، فما أقدم على درس جديد إلا إذا فقه ووعى ماقبله . »

٥-١٥ أقبل تسيكون على كونفوشيوس وسأله : « لأى سبب منح السيد كون ونزى » لقبًا فخريًا بعد وفاته ؟ » فأجابه :

« كـان الرجل ذكيا نابها محـبًا للعلم ، وزاده التواضع رفعـة ، فما اسـتنكف أن يستوضح أمراً ممن هم دونه ؛ فـما أراه جديراً إلا بما نال . »

٥-١٦ تحدث كونفوشيوس عن تلميذه « زيشان »[٢٢] ، فقال : « به أربع خصـال تؤهله للسؤدد والشرف : التواضع الجم ، التـفانى والاحـترام فى سلـوكه مع رؤسـائه ، الاخـلاص والعطف فى معاملاته مع مرؤوسيه ، العدالة والنزاهة فى تصريف شئون عامة الناس . »

٥-١٧ قال كونفوشيوس : « لم أر قط فى حـياتى رجلاً يجيد حفظ الصديق مـثل « يان بين جونغ »[٢٣] ؛ لا تبـدله الأيام ، ولا الزمان ينال من كنز وفائه . »

٥-١٨ قال كـونفوشيوس : « بلغنى أن الوزير « سـان أوجُون »[٢٤] قد اقـتنى فى بيته سـلحفاة نادرة فـخصص لها غـرفة كبـيرة ، وأحـاطها بما يشـبـه السيـاج الطبيـعى ، مـزينًا بأشكال الورود والنباتات وصنوفه مزخرفة على هيئة مناظر التلال والوديان . . . وإنى لأتسـاءل : إن لم يكن ذلك البـذخ هـو الحـمق والغبـاء بعينـه ، فماذا عساه يكون ؟ »

٥-١٩ جاء « زيـجانغ » إلى كـونفوشيـوس ، وسأله : « لئـن كان الوزير « زوين » فى عهـد دولة « تشو » قد تـقلد عدة مناصب قيادية ، إلا أنه لم يتـهلل فرحًا بذلك ، فلما أقيل من وظيـفته ثلاث مرات،لم يحزن ، بل كان يحرص على تسليم مهام عمله بنفسه إلى خلفـه الجديد فما قولك فى رجل كهـذا ياسيدى ؟ » فـأجـابه المعـلم : « هــو رجـل مـخلـص لعـمله ووطنـه . »

فقال زيجانغ : « هل يمكن اعتبار ذلك من علامات التسامح وكرم الأخلاق ؟ » فأجابه : « لا أعرف ، ولكن كيف يمكن اعتبار تلك الخصال تسامحًا ؟ » ثم سأله السائل ثانية : « لما اعتدى « تسوى جو » على النبيل « تشى جوانغ » ، وقتله فإن المدعو « شن أون » - أحد أشهر الأثرياء - ترك أمواله وخيوله المسرجة ، وغادر بلاده ، فلما انتهى به الترحال إلى إحدى البقاع نظر وقال : « إن الناس هنا جميعا على شاكلة القاتل » « تسوى جو . » قال : « والسادة هنا أيضا إخوة القاتل « تسوى جو » . » فقام وخرج يضرب فى القفار البعيدة ، فما رأيك فى هذا الرجل ياسيدى ؟ » فأجابه كونفوشيوس : « رجل شريف ، نقى الضمير . » فقال زيجانغ: « أيمكن اعتباره رمزاً للخلق الكريم والإنسانية ؟ » فأجابه : « لا أدرى ، ولكن أين ذلك من معنى الانسانية ؟ ! » .

٥-٢٠ كان جيونزى (وزير فى دولة « لوكو) يتردد كثيرًا عند اتخاذ قراراته ، ويتفكرّ مليًّا حتى تشتد عليه الحيرة ، فلما بلغ ذلك كونفوشيوس ، نصح له قائلا : « يكفيك أن تراجع أى قرار مرتين اثنتين فقط . »

٥-٢١ قال كونفوشيوس : « عجبًا للسيد نينغ أوتسى (٢٥) ؛ فهوى حكيم الزمان إذا هدأت الأحوال ، وانتشر السلام ، فإذا اضطربت البلاد والممالك ، ادعى الحمق والجهالة (فيثور ليحمى، ويتهوّر ليدافع عن بلاده) ، وإن حكمته لقريبة ، وذكاءه مثال يُحتذى ، أما مقدرته على ادعاء الحماقة والجنون ، فتلك مالاسبيل لأحد بفهمها وإدراك أغوارها . »

٥-٢٢ كان كونفوشيوس قد طال به المقام فى دولة « تشن » ، وقد مرّ عليه زمان بلا طائل ، فتنهد حسرة وقال : « ما عاد لى أن أبقى ها هنا ، فالعودة العودة ؛ فقد تركت فى موطنى « لوكو » أنبغ الطلاب ، وأحرصهم على بلوغ ذروة المجد ، وفى ملكتهم الأدبية سعة من علم ، وفيض من همّة ، فويل لى إن تقاعست عن تمهيد الطريق وهداية السالك . »

٥-٢٣ قال كونفوشيوس : « لقد تمكن كل من « بوييى » ، « وشوتس » (٢٦) من التسامح وتطهير القلب من الضغائن ، فلأجل ذلك احتميا من غليل الصدور إلا قليلا . »

٥-٢٤ قال كونفوشيوس : « من ذا الذى زعم بأن السيد ويشنكاو (٢٧) صدوق صريح ، فقد جاءه يوما من سأله أن يقرضه زيت الطعام ، ولم يكن عنده شىء منه ، فاستكبر أن يعرف عنه الإملاق ، فاقترض من جاره ، وأعطى السائل ما سأل . »

٥-٢٥ قال كونفوشيوس : « ثلاث خصال كان يذمها الماجد الفاضل تسوشومينغ (أحد رجال البلاط فى مملكة « لوكو » ، كان معاصرا لكونفوشيوس) وكذلك أذمها أنا ، واستصغر من اتسمت بها أخلاقه : قول ظاهره معسول ، وباطنه سم ناقع ، ووجه زائف ، يقطر بشاشة ويخفى ضغائن ، وتبجيل مسرف ، يوحى باحترام صادق ، وتحوشه دواهى الفتن والكراهية ، وما ذمّ « تسوشومينغ » أحدا كمن تقنع بالود وطيب المعشر ، بينما سريرته مترعة بالحقد وسوء الظن ، فبئست الخصلة ومن تحلى بها . »

٥-٢٦ اجتمع كل من يان يوان وزيلو فى حضور كونفوشيوس ، فقال لهم : « ألا يخبرنى كل منكما لتطلعاته وأهدافه فى الحياة ؟ « فقال « زيلو » قد آليت على نفسى أن أقتسم كل ممتلكاتى مع أصدقائى ، وأن أتطهر من الأنانية ، فلهم مثل مالى من المركبات المطهّمة والخيل المسرجة ، ينعمون بحقها كاملاً ما أصلحوها ، فإن أفسدوها ، ما تبرمت ولا اشتكيت . قال « يان يوان : « أما أنا فقد عاهدت نفسى ألا أتعالى بفضل أو أتباهى بمكرمة . » ثم إن زيلو دار بالسؤال على السائل ، إذ قال لكونفوشيوس : « فهلّا أبلغتنا أنت ياسيدى بفلسفتك فى الحياة » ؟ فأجابه : « غايتى دائما أن يجد الكبير ملاذ حياة آمنة ، وأن يتواصى الصديق بصديقه ودًا وثقة ، وأن نحيط صغارنا بكل رعاية واهتمام . »

٥-٢٧ قال كونفوشيوس : « وا أسفاه ، ما صادفت فى حياتى قط من اعترف بنقائصه أو أقر بأخطائه أملا فى مراجعة النفس والضمير . »

٥-٢٨ قال كونفوشيوس : « لست قديسا ولا نابغة زمان ، وإنما أنا واحد من آلاف مؤلفة لا يخلو منهم موضع على وجه الأرض ، حتى لو كانت قرية نائية يسكنها رهط من الناس ، فلابد أنك ملتق فيها بكونفوشيوس آخر ، لا فرق بينى وبينه ، سوى أنى مازلت حريصا على تحصيل العلم والدراسة . »

الباب السادس

« يونغى »

وجملته ثلاثون فصلا

٦-١ قال كونفوشيوس : إن ما علمته من سجايا النبيل الشريف رانيونغ [٢٨] يحملنى على أن أرشحه ليرتقى أرفع منصب رسمى بجدارة .

٦-٢ جاء رانيونغ إلى كونفوشيوس ، وسأله رأيه فى زيسانغ بوتسى فأجابه : « لا بأس به ، فهو رجل بسيط ومتواضع . » فقال جونكون : « إذا اتصف الرجل بثبات الفكر وقوة العزم ، مع ميل واضح فى سلوكه إلى التبسط والاعتدال ، فهذا ما يشهد له بالكفاءة ليتولى مقاليد الحكم . أما التبسط والتواضع بغير حزم ووعى وجدّية فلا يشفعان بجدارة القيام على شئون الناس والتزام حد المسئولية . » فقال كونفوشيوس : « الحق ما قاله رانيونغ . »

٦-٣ جاء النبيل ايكونغ من دولة « لوكو » ، وسأل كونفوشيوس : « من أكثر تلاميذك حبا للعلم ؟ » فأجابه : « إنه الذكى النابغ « يان هوى »، ولقد جمع فى شخصه بين الاجتهاد فى التحصيل

والتحلّي بمكارم الأخلاق ، فحاز العلم والفضائل فى جدّية دارس ونبالة فارس ، فما ارتفع صوته حانقا فى وجه أحد ، ولا وقع فى خطأ واحد مرتين ، لكن الموت عاجله وهو بعد فى الثلاثين ، فما عدت أجد له الآن نظيراً . »

٦-٤ كان كونفوشيوس قد أرسل « كون شيهوا » (٢٩) إلى مملكة « تشيغو » فى إحدى المهام الرسمية الطارئة ، وراح « رانيو » إلى كونفوشيوس راجيًا إياه أن يرسل شيئا من الغلال والدقيق إلى بيت كون « شيهوا » ، حيث تقيم والدته ، فقال له : « اعطها إذن ، أربعًا وستين كيلة من القمح . » فطلب إليه « رانيو » أن يزيد قليلا ، فسمح له المعلم أن يضيف أربعًا وعشرين كيلة أخرى . ثم إن « رانيو » تصرّف من تلقاء نفسه وأعطى ثمانى آلاف كيلة ، فلما بلغ ذلك كونفوشيوس ، قال : « لما كان كون شيهوا فى طريقه إلى مملكة « تشيغو » ، فقد كانت ركائبه ، تشمل : جياد مسرجة وعربات مطهّمة ، بينما كان يرفل فى ديباج ورغد عيش ، وقد قيل فيما مضى بأن الماجد الكريم ، هو من أعان المعسر ذا الحاجة ، وليس من أتخم معدة الأغنياء . »

٦-٥ كان كونفوشيوس قد تقلد منصبا رسميا فى إحدى المقاطعات الحكومية فأصدر أمراً بتعيين تلميذه يوانس (٣٠) حاكمًا عاما ، وأمّده بتسعمائة كيلة من الحبوب والغلال ، فاعتذر عن قبولها ، فقال له كونفوشيوس : « عندما تقضى اللوائح الرسمية بإمداد

نقدى أو غـذائى فليس من الأوفق إلغاؤه أو التنازل عـنه كلية ، وإنما من الأصوب قبوله أو التبرع به إلى من هم فى أمّس الحاجة إليه . »

٦-٦ قال كونفوشيوس لتلمـيذه « جونكون » : « هل تأملت صغار الغزلان ، بقرونهـا الصغيرة المشـرعة ، وجلدها الطرّى الأملس .. ترى لو أعفيناها من مذبح القربان ، فـهل تعفيها الآلهة من قدر الموت هلاكًا ! »

٦-٧ قال كونفـوشيوس : « كنت أرقب تلاميـذى عن كثب ، فلم أجد سوى « يان هوى » أكثر التزامـا ووفاء للمبادئ الإنسانية ، فهـكذا رأيت مصير المبادئ بـين النـاس : قـلة مثـابرة يطويهـا الزمن ، وكثرة لاهية ما زالت تزداد أبدا . »

٦-٨ جاء جـيكانزى إلى كونفـوشيوس ، وسـأله : « هل ترى أن السيـد « جونيـو » يصلح للاضطلاع بمهام رسـمية ؟ » فـأجابه المعلم : « لا بأس به أبدا ، فـهو الحـازم السديد . » ثم سـأله ثانية : « وهـل يصلح لهـا السيـد « دوانموسى » ؟ » فأجابـه : « أجل ، وإنه لأفـضل من يضطلع بها ؛ فـما رأيت أحـداً فى مثـل كياسـتـه وفطنته . » فـسأله ثالثـة : « وما رأيك فى السيد « رانشـيـو » أتراه يصلح للقـيـام على شـئون الحكم وأعـبـاء المسـئوليات الجسـام ؟ » فأجابه : « قـد عرفتـه واسع الحيلة ، سريع البديهة ، حسن التصرف ، وإنها لمزية تفضل كل المزايا . ورجل هذا شأنه ، يصير هو الأنسب والأقدر . »

٦-٩ أرسل شيخ عائلة « جيشى » إلى السـيد مينزيشيان [٣١] يرجوه

أن يرشح نفسه محافظا لاقليم « فيدى » ، فقال زيشيان للرسول الذى جاءه بفحوى هذا الأمر : « أبلغ سيدك اعتذارى ، وقل له ، عن لسانى ، قولا كريما ، فإن أعادك إلىّ ثانية بالرسالة نفسها ، فسأقوم إلى هذا البحر أمامك - يقصد نهر ونشيو - أمتطيه وأعبر إلى الشاطئ الآخر ، وامكث هناك ، فلا أهبط أرضكم أبدا . »

٦-١٠ لزم « بونيو » [٣٢] الفراش مريضا ، وساءت حالته كثيرا ، حتى أشرف على الموت ، فعاده كونفوشيوس ، فلما رآه ، مد إليه يده من خلال النافذة ، فشدّ على يديه وهو يتمتم قائلا : « لا أرى إلا أن الموت سابق ، والحياة تزول ، وإنما هى آجال مقدرة فى كف السماء ، فلا تنزل المحن إلا بالأخيار ، ولا تفتك المنايا إلا بأحسن الرجال . »

٦-١١ قال كونفوشيوس : « ما رأيت أحداً قط فى مثل كرم أخلاق « يان هوى » : بسيط العيش ، قانع بلا ضجر ، تكفيه كسرة خبز وشربة ماء ، ولا يستنكف أن يزوى إلى كوخ خشبى متواضع ، يطيق من الحياة ما لا يطيقه الناس ، فلذلك استحّق منهل نعيم لا ينضب ، ولذة سعادة غامرة ، لا تفيض على أحد غيره من الناس . »

٦-١٢ جاء « رانشيو » إلى كونفوشيوس وقال له : « لقد قررت أن أتراجع ياسيدى ، ولا يعنى هذا أنى أرغب عن حكمتك وأفكارك ، وإنما تقصر همّتى وتفتر قوتى عن أن أواصل قدما على الطريق . » فقال له كونفوشيوس : « خذلك بيانك يا

رجل ، وأردت غير ماقلت ، فالعاجزون حقا ، هم الذين يتوقفون عند منتصف الطريق ، إذ يعسر عليهم المسير ، أما أنت فلم تضع قدمك على الطريق بعد . . . فلا حكم بغير معيار ، ولا تقدير إلا بتجربة . »

٦-١٣ قال كونفوشيوس لـ « زيشيا » ، وهو ينصح له : « اعلم أن طالب العلم نوعان : واحد يسعى للهداية بشرف العقل وسمو الروح معًا أملاً فى قبس من حقيقة ، وواحد يسعى للتجمل بوقار زائف رياءً وتكلفا ، فاختر لنفسك أحسن طريق . »

٦-١٤ حدث أن تقلّد « زايو » ، تلميذ كونفوشيوس ، منصب الحاكم العام بولاية « أوتشنغ » ، فسألة المعلم قال : « حدّثنى عن مرؤوسيك هل وجدت بينهم أحدًا ذا كفاءة ؟ » فأجابه : « هناك واحد اسمه : دانتاى مينينغ [٣٣] ، ما جرّبت عليه خيانة قط ، مستقيم الخلق ، ليس بالماكر ولا بالمراوغ ، لا يطرق بابى إلا لضرورة تمليها واجبات الوظيفة الرسمية . » [٣٤]

٦-١٥ قال كونفوشيوس : « لم أعهد السيد « منغ جيفان » (مسئول عظيم فى دولة «لوكو ») مختالا متكبرا ، يباهى الناس بخصاله ، وإن مافعله يوم انسحاب الجنود خير دليل على ذلك ؛ إذ دارت الدائرة على الجيوش ، فانهزمت وتقهقرت عائدة ، وظل هو وسط الصفوف يحمى وينظم انسحابها ، فلما دخلت الأفواج بوابة المدينة ، وبقى هو فى المؤخرة ، جعل يحدث فرسه ، ويقول للناس : « لا تظنوا بى الشجاعة أن كنت آخر العائدين ، وإنما هو حصانى الهزيل ، لا يقوى على السير ! »

٦-١٦ قال كونفوشيوس : « أساس المرء جمال وبلاغة ، أى أخلاق حسنة ولسان كريم ، فإن رأيت أخا الفضائل ، مثل الأمير جاو [٣٥] بأخلاقه الملكية الكريمة وصفاته المثلى ، قد أشبه الشيخ جوتو [٣٦] ، بلسانه الحاد وقلبه الغليظ ، فقد أوشكت السماء أن تنطبق على الأرض ، وقل على الدنيا السلام . »

٦-١٧ قال كونفوشيوس : « كيف للناس تسير بغير سبيل هدى ، كيف للسالك أن يهتدى بغير دليل وطريق ! »

٦-١٨ قال كونفوشيوس : « إذا طغت البساطة على التأنق ، كانت السوقية الرعناء هى سيدة الموقف [٣٧] ، وإذا تجاوز التأنق حد البساطة ، أصبحت السطحية الجوفاء هى العنصر المسيطر ، فاعلم أن العاقل من يتميز لنفسه الحد الأمثل والمنزلة الوسطى . »

٦-١٩ قال كونفوشيوس : « بغير الشرف والاستقامة ، لا يستطيع الماجد الكريم أن يشق طريق حياته قدما وصعداً ، فاتزا موفقا ، ولئن كان الأشقياء ، هم أيضا ، يملكون أحيانا القدرة على البقاء طويلا ، فذلك لا يحدث إلا بالحظ السعيد أو بمحض المصادفة ! »

٦-٢٠ قال كونفوشيوس : « ليس من فهم العلم كمن أَحَّبه ، وليس من أحبه كمن أسعده أن يهب حياته كلها لأجل تحصيله وتعليمه لبنى البشر . »

٦-٢١ قال كونفوشيوس : « لكل إنسان طاقته الذهنية واستعداده الأول ، لذلك لا يقدر على فهم منطق العلوم الفائقة ، وسبر أغوارها العميقة إلا عبقرى موهوب ، فإذا أعطيت أسرار علومك لغير النابهين فقد زرعت بغير جنى. » [٣٨]

٦-٢٢ جاء فانش [٣٩] إلى كونفوشيوس وسأله : « كيف لمن أراد القيام على شئون الناس أن يبلغ الحكمة ؟ » فأجابه : « عليه أن يلزم نفسه والناس طريق العدالة والأخلاق ، وأن يحترم العقائد بإجلال يتناسب مع وقارها ، دون شطط إلحادى أو إيغال متزّمت . » ثم سأله ثانية : « وكيف السبيل إلى مكارم الأخلاق ؟ » فقال له : « بأداء ما عليك قبل أن تطلب ما هو لك ، وبأن تبذل تمام جهد العمل ، قبل أن تسعى إلى لذيذ ترف الراحة . »

٦-٢٣ قال كونفوشيوس : « الأذكياء يحبون الأنهار ، لكن الطيبين يحبون الجبال . الأذكياء يتدفقون نشاطًا وحيوية ، أما الطيبون فيميلون إلى الدعة والهدوء . الأذكياء مرحون دائما ، ويتمتعون بكل لحظة فى عمرهم ، الذى ينقضى سريعًا ، بينما أن الطيبون غالبا ما يعمرون طويلاً . »

٦-٢٤ قال كونفوشيوس : « تحتاج مملكة « تشى » أن تعّدل من مجمل قواعد سياساتها العامة ، لكى تتمكن من اللحاق بمملكة «لوكو» - فى ظروفها القائمة حينئذ - بينما تحتاج مملكة «لوكو» (للمفارقة !) أن تغّير كل أسس فلسفتها الحاكمة لتبلغ المبدأ الأول الصحيح لمعنى الشرف والنزاهة . »

٦-٢٥ تنهد كونفوشيوس متحسراً ، وقال : « لقد تغيرت كثيرا طقوس وشعائر ، طالت البدع أركان المعابد مثلما انتهكت جدران اللهو والترف ، وفرغت كئوس الراح مثلما انطفأت شموع التراتيل من أزمان غابرة ، فوا أسفا على من يضيّعون

٦-٢٦ تراث مجد مؤثل أو تهون عليهم تقاليد ماض عريق . »

جاء زايو إلى كونفوشيوس ، وسأله : « ما صفات الرجل الشريف الطيب ؟ أترى هو الرجل الذى إذا قلت له إن واحدا من الناس سقط فى البئر ، شمّر عن أكمامه ونزل لينقذه فى الحال ؟ » فردّ عليه المعلم ، قال : « وما الذى يحمله على مثل هذا التصرف ؟ ! إن الطيب ذا المروءة سيفكر معك فى طريقة ناجحة لانقاذ المكروب ، دون أن يلقى بنفسه فى التهلكة . فربما تستطيع الكذب على الطيبين ، لكنك لا تقدر أبدا أن تجعل منهم أضحوكة . »

٦-٢٧ قال كونفوشيوس : « من تَعّمق فى مطالعة سجلات التاريخ ، ونهل من معين أدبى عريق ، ثم تحّصن بمبادئ الخلق القويم ، فقد عصم نفسه من الانحراف عن جادة الصواب والعدل والإنسانية . »

٦-٢٨ ذهب كونفوشيوس فى زيارة شخصية إلى السيدة نانزى (٤٠) فاعترض تلميذه « زيلو » على القيام بهذه الزيارة ، وساورته الظنون فبلغ ذلك كونفوشيوس ، فأقسم على مسمع ومرأى من الناس ، قائلا : « ليس لمثلى أن يرتكب حماقة أبداً ، ولتسحقنى السماء لو فعلت ، وعين السماء ترى وتشهد مكنون الخفاء . »

٦-٢٩ قال كونفوشيوس : « إن الاعتدال هو تاج الفضائل ، والتوسط هو خير الأمور جميعها ، وقد مّر على الناس زمان وهم فى غفلة عن تلك الحقيقة . »

٦-٣٠ جاء تسيكون إلى كونفوشيوس ، وسأله : « ماذا لو عرفت أن رجلا بذل كل ما يملك لأجل إسعاد الناس ، والعمل على راحتهم ، أتراه جديرا بأن يوصف بالكرم والمروءة ؟ » فأجابه المعلم ، مستدركا : « بل بما يفوق الكرم والمروءة فإنما هو قديس ، أو ملاك طاهر ، لا يدانيه فى ذلك الشيخان : « ياو » و « شون » (٤١) بما عرف عنهما من مروءة وحكمة ، فالكريم تتسع همته للجميع ، ويغمر بفضله آلافا مؤلفة ، ويعامل الناس بما يحب أن يعاملوه به ، فتلك هى خصال الكرم وعلامات المروءة . »


محمد خطاب

الباب السابع

« شوآريوتزو »

وجملته ثمانية وثلاثون فصلا

٧-١ قال كونفوشيوس : « لأن يعرفنى الناس ناقلا ومفسرا لكتب التراث القديم ، أفضل عندى من أن يعدّونى مؤلفاً أو مبدعا فوضويا ، ولقد كان شغفى واخلاصى للثقافة القديمة ، هو الذى يعطينى الحق فى أن أضع نفسى فى مرتبة موازية لكل من لاوتسى [٤٢] و «بنغ زو » . » [٤٣]

٧-٢ قال كونفوشيوس : « لطالما كنت أسائل نفسى حول ثلاثة أمور أساسية فى حياتى : أولها : هل استطعت أن أغلق فى سريرتى كل خزائن الأسرار بكل ما وعت مما رأيت وسمعت من حولى . وثانيها : هل أفلحت فى أن أبقى طوال الوقت طالبا للعلم مجتهدا فى التحصيل إلى ما لانهاية . وثالثها : هل نجحت فى أن أقف طويلا إلى منصة المعلم أشرح وأفسر وأدرس على مدى سنين بلا كلل ! ؟ »

٧-٣ قال كونفوشيوس : « أربعة أمور كانت تستحوذ على تفكيرى وتؤرق مضجعى : أن يكون قد صدر عنّى ما يخالف الخصال الكريمة من زلة لسان أو سوء تصرف ، أو أن أتوانى عن طلب العلم فاستثقل عبء تحصيله ، وأن أتخاذل عن نصرة الحق

وإنصاف وجه العدالة أو أقصّر عن مراجعة النفس ومواجهة أخطاء الذات بشجاعة النقد وإرادة التصحيح . »

٧-٤ في أوقات الفراغ القليلة التى كان يقضيها كونفوشيوس فى بيته ، كان يحرص على سمت المظهر والاحتفاظ بملامح يعلوها شموخ ووقار ومسحة هدوء وثقة ، لطالما كانت تكتسى بها ملامحه . »

٧-٥ قال كونفوشيوس : « عرفت أن سنين عمرى على الأرض قد طالت كثيرا وأنى صرت عجوزا خرفا ، عندما انقضت فترة طويلة دون أن أرى فى منامى أستاذى جوكونغ [٤٤] . »

٧-٦ قال كونفوشيوس : « اعلم أن أحسن الطرق هو طريق الحق ، وأن أرسخ أساس ، هو ما بنى على مكارم الأخلاق ، وأن خير المبادئ جميعا هو ما قام على التراحم والانسانية ، وأن أفضل ما يسلّى به الرجل نفسه من لهو عفيف أو يشغل به حِسّه من متعة راقية . هو أن يمارس الفنون الستة الأصلية . » (يقصد : الموسيقى ، الرماية ، آداب المجاملات ، الفروسية ، الآداب القديمة ، « علم » الحساب .).

٧-٧ قال كونفوشيوس : « لم أستنكف فى حياتى قط أن أقبل طالب علم قصدنى ، مادام قد بلغ سن الرشد ، وعقد فوق رأسه ضفيرة البلوغ [٤٥] . »

٧-٨ قال كونفوشيوس : « من عاداتى الا ألقى دروس العلم إلا على طالب يشتاق للمعرفة ، ولا أشرح او أفسر معضلة من المسائل إلا على طالب أجهد عقله وذهنه بحثا عن إجابات

قاطعة ، وإن الطالب الذى يعجز عن أن يستدل بنفسه على ثلاثة أضلاع المربع الباقية ، بعد أن تكون قد شرحت له ضلعا واحدًا منها ، لن يكون جديرا بتعبك وجهدك . . أنت تتعب رأسك ، وهو يضيع وقته ووقتك معه . »

٧-٩ كان كونفوشيوس إذا ما دهمت أحد أصدقائه كارثة أو فجيعة ، يحرص على المواساة والتعازى ، وما كان يملأ فمه من صحفة طعام وهو بصحبة رجل حزين أو منكوب .

٧-١٠ كان من عادة كونفوشيوس أن يترنم بالألحان ، أو يرفع عقيرته بالغناء ، فإذا ما وقعت الخطوب أو نزلت نوازل الدهر يظل طوال يومه ساهما حزينا .

٧-١١ قال كونفوشيوس لـ « يان يوان » : « ليس هناك إلا كلانا فقط ، أنا وأنت ، نبذل أرواحنا بإخلاص إذا ما أوكلت إلينا أمور جسام ونتوارى فى الظل قانعين دون سخط إذا أهملوا ذكرنا ، واستغنوا عنا . » ثم إن «زيلو » قام فسأله : « هب أنك أصبحت قائدا عسكريا ، وأوكلت إليك مهام قتال ، فمع أى نوع من الناس تفضل أن تتعاون ؟ » فأجابه : « فى تلك الظروف ، لن أختار رجلا يزهو بشجاعته ، و « يصعق النمر بقبضة واحدة » ، ولن أصطفى مقاتلاً يعبر النهر واقفا على سطح الماء بقدميه العاريتين (هكذا فى المتن !) ولن أتخيّر جنديا لا يبالى الموت ، مهما كانت التضحية نبيلة والاندفاع شريفا ، وإنما سأتخير وأصطفى من يحسب للأمور حسابها ويقدّر العواقب بمنتهى التّحوط والحذر ، مالكًا زمام نفسه واصلاً بحسن التقدير إلى تحقيق أغراضه بدقة كاملة . »

٧-١٢ قال كونفوشيوس : « لو كان الفوز بالغنى والثروة متاحًا ، ومن سبيل مشروعة ، لبذلت فى ذلك كل جهد ، ولما استنكفت أن أعمل فى مهنة يراها الناس وضيعة . أما إذا كان الطريق إليها ممتنعًا أو لا يتأتى إلا من طريق غير شريف ، فإنى أفضل أن أزاول عملاً أحبه وأتفانى فيه وإن كان بغير عائد . »

٧-١٣ كان كونفوشيوس يهتم كثيرا بثلاثة أشياء ، ويتناولها ببالغ العناية والحذر ، وهى : المجاعة ، والحرب ، والمرض .

٧-١٤ استمع كونفوشيوس ، ذات مرة إلى موسيقى الـ « شاو » فى دولة « تشيغو » ، واستولى على قلبه اللحن والنغم ، حتى أنه بقى زمنًا ، يأكل اللحم فلا يميّز له طعما ، ثم إنه أخذ يتعجب ، قائلا : « ما ظننت قبل الآن أن للموسيقى مثل هذا التأثير على النفس . »

٧-١٥ ذهب « رانيو » إلى تسيكون ، وسأله : « أتظن أن يقف المعلم (يقصد كونفوشيوس) بكل ثقله مؤيدا أمير دولة « ويغو » (الأمير : « كوايجه » ، وكان يتصارع مع والده لاعتلاء العرش) ، فقال تسيكون : « فلأذهب أولا لأستطلع رأيه بهذا الشأن . » ثم إنه قام وذهب إلى كونفوشيوس ، وسأله : « ما رأيك فى كل من « بوبيى » و « شوتسى » ؟ » فأجابه : « كريمان ، إبنا كرم ، قد هلكا فى الدهر . » وعاد تسيكون يسأله : « ألم يحدث مرة أن ندما على تصورهما المثالى للفضائل ، أو دبّت بينهما البغضاء ؟ » فأجابه : « كانا يسعيان إلى تجسيد معنى ماثل للخير والإيثار ، فتّم لهما ما أرادا . فأنى

للبغضاء بينهما ؟! » وخرج تسيكون يقول لصاحبه : « لا أحسب أن يقف أستاذنا فى صف الأمير جو . »

٧-١٦ قال كونفوشيوس : « هناك أيضا متعة خاصة فى حياة خشنة : بخبز طعامها اليابس ، ومائها العكر المملّح ، وملبسها القليل المتواضع ، وذراع مستثنية تحت خد النائم .. وسادته الخالدة أينما آوى إلى فراش . فذلك أفضل بكثير من ثروة طائلة « غير مشروعة » تحلّق حينا عبر سماوات واعدة بالمجد ثم تنحسر رويداً مثل سحابات من دخان . »

٧-١٧ قال كونفوشيوس : « أعطنى مزيدا من سنوات العمر كى أعيد قراءة أعظم مؤلف فى التراث الصينى كله (« كتاب التغيرات الكبرى ») وأؤكد لك بأنى لن أجسر بعدها على الوقوع فى خطأ أو خطيئة . »

٧-١٨ كان كونفوشيوس حريصا على التحدث باللغة الصينية الفصحى ، خصوصا عند أداء طقوس العبادات ، وكذلك عند مناقشة موضوعات الكتب الكلاسيكية التاريخية » وذلك إعلاء للسان أسرة « جو » على اللهجة العامية المستخدمة فى مملكة « لوكو » .

٧-١٩ جاء السيد « إيكون » إلى « زيلو » وسأله أن يصف له كونفوشيوس ، لكن زيلو حار جوابا وتلعثم ، ثم إن المعلم عرف بالأمر ، فقال له : « كان أحرى بك أن تقدمنى له قائلا بأنى أكد وأثابر فى عملى ، حتى أنسى غذاء بطنى ، وأمرح وأضحك ، فلا أعرف للحياة هموما ، وأعيش أيامى بطولها وعرضها ، غير عابئ بزمن شبيبة ماض ، أو بيوم شيبة آت . »

٧-٢٠ قال كونفوشيوس : « لم أولد فيلسوفا حكيما ، وإنما كان تعلّقى بأخبار الأقدمين وكتاباتهم هو الذى دفعنى عبر سنين من دأب البحث والفكر والمطالعة إلى تحصيل المعارف والشغف بها . »

٧-٢١ لم يكن كونفوشيوس يكترث بمناقشة ما يتصل بالموضوعات الغريبة والخوارق والمعجزات ، والصراعات الحزبية والطائفية ، وكذلك الدسائس والمؤامرات ، وفتن التمرد والعصيان وضلالات السحر والكهانة والأشباح والخرافات الأسطورية . »

٧-٢٢ قال كونفوشيوس : « إذا مشيت مع نفر من الناس ، فلابد أن يكون أحدهم ، على الأقل ، ذا أخلاق وفضائل طيبة ، ذلك لأنى اقتدى بما يعّن لى من عظيم السجايا ، وأنبذ من طبعى ما عساه يتكشف لى من خبيث الخصال . »

٧-٢٣ قال كونفوشيوس : « من حفظته السماء فلا مضّيع له ، وقد حبتنى السماء بنعمائها وحكمتها وسابغ فضلها ، وها أنذا قد نجوت ، وحبط عمل « هوان كوى » [٤٦] فخاب مسعاه وفشلت مكائده . »

٧-٢٤ قال كونفوشيوس لتلاميذه : « اعلموا أنى ما أخفيت عنكم شيئا من أفكارى ولا حجبت دونكم شيئا من العلم والمعرفة ، فدونكم كل ما اشتغلت به النفس وجادت به القريحة ، وما كنت متخذا معكم أو مع غيركم شأنا آخر غير هذا ، فإنما هو طبع مركوز فى النفس لافكاك منه ولا محيد عنه . »

٧-٢٥ كان كونفوشيوس يدّرس لطلابه أربعة أبواب من العلم ، هى : الدراسات الأدبية القديمة ، علم الاجتماع ، قواعد السلوك الرسمى ، مبادئ الأخلاق .

٧-٢٦ قال كونفوشيوس : « لم أعد أتوقع أن أجد بين الناس ملائكة وقديسين ، لكن قصارى ما أمنّى نفسي به هو أن أجد رجلاً مهذبا كريم الخلق . » ثم أضاف ، قائلا : « ولا أظن - حتى بأكثر التوقعات جموحًا - أن على وجه الأرض ، الآن ، رجلا معصوما من الزلل ، لكن يكفينى أن أعرف أن هناك إنسانا يروض نفسه ، ويملك زمام مبادئه بإرادته . فإذا كان هناك من يزعم أنه يملك الدنيا بأسرها بينما هو خالى الوفاض ، أو يدّعى حكمة الزمان بينما هو فارغ العقل ، أو يتكلّف مظاهر الثراء الفاحش بينما هو فقير معدم ، فذلك أبعد شئ عن المبادئ والأعراف والأخلاقيات . »

٧-٢٧ كان كونفوشيوس يستعمل الخطّاف فى صيد الأسماك ، ولم يستخدم قط شبكة كبيرة ، كما أنه لم يصطد طيورا تبيت مع أفراخها أو تنام فى أعشاشها .

٧-٢٨ قال كونفوشيوس : « هناك نوع من الناس يّدعى العلم مكابرة وتكلفا ، فأولئك هم شر الجهلة ، ولقد كان مسلكى دائما هو مناقشة الأمور من كل جانب ، مع الاستبصار بوجهات النظر المتباينة ثم اختيار أصوب الجوانب واختبارها بمعيار التطبيق العملى واستخلاص الصحيح الثابت فيها مع استبقائه فى الوعى الحاضر ، ولئن كان مثل هذا المنهج لايرقى إلى مستوى المعرفة

الباطنية المولود بها الانسان ، إلا أنه يظل منهاجا لمعرفة موثوق بها إلى حد بعيد . »

٧-٢٩ كانت قرية هوشيانغ أشبه بغابة بدائية تنضح بالجهل والتخلف ، ومرّ بها كونفوشيوس ورجاله ، فما استطاعوا أن يمكثوا فيها ، إلا أن غلاما صغيرا من أبنائها ، جاء يطلب العلم ، فاستقبله كونفوشيوس بترحاب شديد ، فاستغرب التلاميذ ، فخاطبهم المعلم قائلا : « لقد أكبرت فى الغلام سعيه إلى العلم والمعرفة بدلاً من رضوخه للجهل ، فواجبنا أن نقدر للآخرين نواياهم وآمالهم الصادقة للتقدم والتصحيح ، فلا ينبغي أن نعلّق أنظارنا دائما على آثار ماض كريه يحاول أصحابه هم أنفسهم أن ينبذوه وراءهم . »

٧-٣٠ قال كونفوشيوس : « هل صحيح أن مكارم الأخلاق تبدو دائما مستعصية بعيدة المنال ؟ لا أظن هذا صحيحا ! إذ يكفى أن يشير الانسان بأطراف أصابعه فيجدها حاضرة بأقرب مما يتصور . »

٧-٣١ جاء « شن سباى » إلى كونفوشيوس ، وسأله عن أخلاق الأمير « جاو » بمملكة « لوكو » ومدى احترامه لقواعد السلوك القويم والأعراف الفاضلة ، فرد عليه كونفوشيوس بالايجاب ، مقراً بحميد خصاله ، فلما مضى المعلم لبعض شئونه ، أقبل « شن سباى » على أوماتشى (تلميذ كونفوشيوس) وقال له : « لقد عرفنا أن الماجد المهذب لا ينحاز ولا يجامل ، فلماذا ينحاز سيدك ظلماً وباطلا !؟ الايعرف أن الأمير « جاو » قد

تزوج بامـــرأة من دولة « أوغـو » برغم مما فـى هذا الزواج من انتهـاك للتقاليـد والأعراف ؟! . » فلمـا ذهب أوماتشى وأطلع أستاذه على حقيقـة الأمر ، أجابه ، قال : « لابد أنى محظوظ حقا ، فـما أن تزل بى زلة ، أو تصدر عنى هفـوة ، حتى أجد من يذكرنى ويراجعنى [٤٧] . »

٧-٣٢ كان من عادة كونفوشـيوس أن يصاحب المغنيين بصوته ، فإذا أعجـبه صوت أحـدهم ، طلب إليه أن يردد اللـحن من جديد حتى يحفظه ثم يصاحبه فى الأداء حتى النهاية . »

٧-٣٣ قال كونفوشيـوس : « فى باب المعرفة والاطلاع ، أستطيع أن أجد لنفـسى ترتيبـا مسـاويًا للآخرين ، أمـا فى مجال التـطبيق الفعلى لـلمبادئ السلوكـية ، فـما زلت أقصّـر عن بلوغ مكانة السيد المهّذب مكتمل الفضائل والخصال . »

٧-٣٤ قـال كونفوشيـوس : « لا أظننى أستحق لقب « الحكيـم » أو « الفاضل الكبير » فما أنا إلا طالب علم يجتهد فى التحصيل ، ومعلم بسيط لا يتوانى عــن الشرح والتـفسير . » ثم إن تلميذه « كون شـيهـوا » ردّ عليه ، قـال : « وتلك - ياسيـدى - هى المعادلة التى نعجز عن الاتيان بها . »

٧-٣٥ أصيب كونفوشـيوس بمـرض شـديـد أقعـده الفراش ، وعـاده « زيلو » واقتـرح عليه أن يصلّى لآلهـة الشفاء صـلاة تبرئه من مـرضه ، فـسـأله المعلم : « أهناك صـلاة لهذا الغـرض ؟! » فـأجابه : « نعم ، وصـيغـة الصـلاة هكذا : « رحمـتك آلهة السماء ، شفاؤك آلهة الأرض ، إليكما أقصد بالدعاء ! » ثم إن

كونفوشيوس ، أجابه ، ساخراً : « لا عليك ، فقد تلوت هذه الصلاة قبلك دهراً طويلا (وها أنا كما ترى !) . »

٧-٣٦ قال كونفوشيوس : « الترف مدعاة للخيلاء والغرور ، والبساطة الزائدة قرينة التواضع ، وهذه - كما هو معلوم - أفضل كثيرا من الغرور . »

٧-٣٧ قال كونفوشيوس : « غالبا ما يكون صدر الرجل الماجد رحبا كريمًا ، أما الدنئ ، فهو دائما ضيّق الصدر ، مهموم البال . »

٧-٣٨ كان كونفوشيوس هادئ الطبع ، لكن فى جدية وحزم شديدين ، مهيب الملامح ، فلا هو بالعابس الغشوم ولا بالجهم المتبلد ، وقور مهذب فى لين وسماحة خلق .

الباب الثامن

« تابوتشى »

وجملته واحد وعشرون فصلا

٨-١ قال كونفوشيوس : « تايبو » (٤٨) هو الرجل الذى حاز أعلى درجات الشرف والفضيلة ؛ فقد تنازل عن عرش امبراطورية عظمى لأخيه الأصغر ثلاث مرات ، وهو يتنخى عن صولجان المجد ، كريما شريفا . وإن كل كلمات المديح والمجاملات التى تعارف عليها الناس ، لاتكفى ثناء عليه . »

٨-٢ قال كونفوشيوس: « إن المجاملات من غير قواعد منظمة للسلوك ، تصبح مجرد صيغ جامدة مملّة ومكرورة . والحذر بغير أصول محسوبة ، يصبح تهيّبا جبانا ، كما أن الشجاعة من دون ضوابط معقولة ، تؤدى غالبا إلى تهورات طيش مهلكة ، والصراحة من غير مرجعية مبادئ مقررة ، تفضى حتما إلى مشاعر مستعرة بوخزات حساسية موجعة . والشئ الثابت هو أن المعنى العام للتعاون والإنسانية يتحدد على نمط مايبديه رجال الحكم من قدوة مناسبة لمواطينهم ، وعندما يبدى هؤلاء الرجال قدراً من العرفان والولاء لزملائهم وخلصائهم القدامى ، فإن ذلك يسرى أيضا ، سريان شعاع من النور بين جموع الناس ،

ومن المستحيل عليهم بعدها أن يتبنوا مشاعر الجمود والتبلد واللامبالاة . »

٨-٣ لما اشتد المرض على « تسنغ زى » - أحد التلاميذ - دعا زملاءه وإخوانه للمثول إلى جواره ، فلما حضروا وأحاطوا به وهو ممدّد على فراش الاحتضار ، نظر إليهم وقال : « تأملوا قدميّ ويدى هاتين، ففى كتاب « الشعر القديم » قصيدة ، يقول مطلعها :

« أعطنى قدما تسعى بين الخلائق فى حذر ،
أعطنى قدما تخشى وطء دروب الجحيم . .
قدما تعبر صفحة ماء . . تمرق جمع سحاب ،
. . بلا ضجيج ولاكدر » . .

ثم إنه اعتدل وقال : « أما وأنى الآن أمضى من غير ضجيج ولاكدر كما ترون ، فعليكم بأنفسكم ، وانتبهوا فيما أنتم فيه سائرون »

٨-٤ « لما اشتد المرض على ت« سنغ زى » ، ذهب جينز - وزير فى مملكة « لوكو » - إليه . يعوده فى مرضه ، فقال له « تسنغ زى » فيما يشبه الوصية : « عندما يحين موت الطيور ، يصبح لصوتها تغريد حزين ، لاتخطئه أذن ، وإذا قربت نهاية إنسان ، صفت نفسه كثيرا ، فلا ينطق بباطل ، وإنى أقول لك الحق ، فاسمع واحفظ ، إن ثلاثا ، إذا فعلها إنسان ، صار مستحقا أسمى مكانة فى الوجود وهى : أن يتخذ مظهر الحزم ، فيكفى نفسه تهافت خليع أو فوضى متكاسل ، وأن يتخذ مظهر الجدّ ،

فيوثق بكلامه عند سامعيه ، وأن يسبق فكره لسانه ، ليتخيّر صحيح اللفظ وسديد العبارة ، عصمة من زلل ، واجتنابا لهفوات تزل لهولها أعناق سامقة . أما عن قواعد السلوك والمعاملات وطرائق المجاملات والعبادات ، فتلك لها فقهاؤها وكهنتها ، هم أدرى بشئونها خير دراية . »

٨-٥ قال تسنغ زى (٤٩) : « كنت أعرف صديقا تزينه أفضل الخصال : فقد كان ، برغم قوته البادية ، لايستنكف أن يسأل الضعفاء المهزولين النصح ، وبرغم سعة إطلاعه ، فلم يكن يمل مشاورة الأقل علما ومعرفة ، وبرغم علمه الغزير ، فقد كان يواظب على الدرس ويجتهد فى التحصيل، كأنه تلميذ مبتدئ ، ومع أن السماء قد حبته بعقل عبقرى نادر المثال ، إلا أنه كان يحرص على مظهر الفهم المتواضع، فيستزيد من الشرح والاستفهام ، حتى يحسبه الناس بليدا غبيا ، ثم إنه لم يكن يكترث بالرد على ألسنة الشتم والتطاول . »

٨-٦ قال تسنغ زى : هب أن فردا ما أوكلت إليه مهمة تربية طفل يتيم ، فأداها على أحسن وجه ، أو أسندت إليه مهام جسيمة تتعلق بمصائر كبرى فى وقت شدة وزمن جد ، فقام بها خير قيام ، فهل يمكن أن يعد مثل هذا الفرد رجلا عظيما !، وأقول:نعم ، بل هو الرجل العظيم بكل ما تعنيه الكلمة . »

٨-٧ قال تسنغ زى : « أكثر من يحتاج إلى إرادة صلبة وصمود متجدد ، هو رجل العلم ؛ إذ إن أمانته ثقيلة ، وطريق كفاحه طويل ، وليس أثقل فى ميزان الأمانة من عبء تحقيق مثال الخير

والفضيلة للناس جميعا ، وليس أشق فى دروب السير من طريق يبدأ من نعومة الأظفار وينتهى عند أبواب القبور . »

٨-٨ قال كونفوشيوس : « لا أجد إلهاما مضيئا للوجدان إلا فى كتاب « الشعر القديم » ولا أجد أصولاً مكتملة لقواعد الحياة ، إلا فى أصول الآداب والفضائل ، وليس مثل الموسيقى ، شرحا للصدور وتطهيرا لشوائب النفس . »

٨-٩ قال كونفوشيوس : « قد يتحتم أن تلزم الناس بالانقياد على الطريق المحدد سلفا ، والالتزام بالسبل الموضوعة ، لكنك لست ملزما بإطلاعهم على السبب الذى يدعوهم للاستجابة لك . »

٨-١٠ قال كونفوشيوس : « إن النابهين والطامحين والأذكياء والكرماء والفضلاء من الناس، الهاربين من وجه الفقر ، العاجزين عن احتمال شظف العيش ، يعدون ذخيرة حية تساعد على إشعال شرارة التمرد والعصيان ، كما أن البغاة والمنحرفين وذوى البأس ، ممن يفتقدون الرعاية الواعية والإشباع الكافى ، يستطيعون تدمير الدنيا بأسرها من أقصاها إلى أقصاها . »

٨-١١ قال كونفوشيوس : « أسوأ الخصال أن يجتمع فى نفس امرئ البخل والغرور ، فإنهما ما اجتمعا فى مخلوق إلا أعرض عنه الخير وذهبت محاسنه سدىً ، وتفرق عنه خلصاؤه ، حتى وإن بلغت عبقريته عنان السماء { فى الأصل: حتى وإن أوتى عبقرية الشيخ جوكون ! }

٨-١٢ قال كونفوشيوس : « لاأظن أن أحداً فى زماننا هذا ، يذهب إلى حلقات العلم والدرس ، دون أن يراوده طموح المنصب

الرسمى الكبير، بكل مايعنيه من شرف الامتياز وعظيم المكانة.»

٨-١٣ قال كونفوشيوس : « على المرء أن يكون أمينا مثابرا ، مقبلا بعقله وقلبه على التعلم ، مخلصاً للمبادئ حتى آخر رمق ، واعلم أن العاقل لايدخل بلداً يموج بالتذمر والعصيان ، ولايزج بنفسه وسط فوضى عارمة ، والذكى من يشمر عن ذراعه ، ويطلق العنان لمواهبه ، فى أوان السلم وعند هدوء الأحوال ، فإذا عصفت عواصف الشقاق ، وأطلّت برؤوسها الفتن ، تنحّى بلباقة ، واستظلّ بركن بعيد هادئ ، حيث عزلة بشرف ، أكرم من شرف أعزل . وإن من البلاء أن يقبع المرء فقيرا فى بلد موفور الغنى والترف ، كما أنه من الخسة والعار أن يزهو الفتى مختالا وسط أجواء محدقة بالبؤس والحرمان . »

٨-١٤ قال كونفوشيوس : « لاتشغل نفسك بأعباء وظيفة لم تتسلم مقاليد التصرف الرسمى فيها بعد . »

قال كونفوشيوس : « لقد استمعت إلى عزف للموسيقى العبقرى « شيجى » (بدولة لوكو) فى قطعة بدأها بمنوعات نغمية رائعة وختمها بلحن « كوانجو » العذب ، ولقد ظلت الأنغام ، لفرط عذوبتها ، تتردد فى مسمعى طوال اليوم . »

٨-١٥ قال كونفوشيوس : « ثلاثة من الرجال ، أحار كثيرا فى تبرير سلوكهم : رجل جرئ جسور فى غير الحق ، ورجل ساذج فى غير الصدق ، ورجل ضعيف الحيلة يملأ الدنيا خداعا ومراوغة . »

٨-١٦ قال كونفوشيوس : « كن سباقا فى تحصيل العلم ، ولاتدعن

الزمن يتجاوزك ، واجعل من عقلك وعاء نشيطا لمكنون الذاكرة ، فالعلم بغير ذاكرة واعية ، جهل مطبق . »

٨-١٨ قال كونفوشيوس « ما أنبل وأكرم السيدين الجليلين « شون » ، و « ياو » ؛ فقد كان لكل منهما صولجان وعرش وممالك من أقصى الأرض إلى أقصاها ، ومع ذلك بلغ من نزاهتهما أن كفاً أيديهما عن أى مكسب ذاتى أنانى،فخرجا من امبراطورية عظمى كما دخلاها:يد خالية من الدنس وذمة ناصعة بيضاء . »

٨-١٩ قال كونفوشيوس : « ما أنبل الحكيم « ياو » وما أنزه خصاله ! ولئن كانت السماء هى وحدها الأعظم قدرا والأقدس جلالاً ورفعة ، فإن الحكيم « ياو » هو وحده الذى دانت له قطوف من السّمو والجلال وعظيم السجايا [بين البشر !] ولقد بلغ من ذلك منزلة عالية ، شهد له بها الناس كافة ، فما خلف أحد سيرة صالحة مثله ، ولاجرّب الناس متعبدا ورعا ، يدانيه إيمانا وإخلاصا . »

٨-٢٠ كان فى بلاط الامبراطور « شون » خمسة من أكفأ الوزراء استتّب الحكم على أيديهم ، وسارت أحوال البلاد على نحو لم يعهد له مثيل فى زمانهم ، فلما بلغ ذلك الملك « أوانغ » فى عهد مملكة « جوكو » ، قال : « .. وأنا أيضا عندى عشرة من أكفأ الوزراء ، وأقدر رجال الحكم على الإطلاق . » فعقّب كونفوشيوس على هذا التقدير بقوله : « ليس فى هذه الدنيا أثمن ولا أندر من الاكفاء الموهوبين ، ولقد قيل إن زمرة منهم

حكمـوا إبان عهـدى « تانغ ياو » و « يوشون » ، ثم إن قـول الملك « أوانغ » ينطوى على مبـالغة ، فمن بين الوزراء العـشرة الذين يشير إليهم،فهناك امرأة ، وأنا أستثنيها من جملة العدد ، وهكذا ، فـلا يتبـقّى إلا تسعـة فقط ، ولقـد بلغنا عن السلف الصالح أن الملك « أونوانغ » ويرغم امتلاكه ثلثى الأرض الواقعة فى حدود مملكتـه ، إلا أنه ظل يقدم فروض الولاء لامـبراطور أسرة « چو » الحاكمة ، وتلك - فـيما أظن - من أنبل وأشرف مظاهر الفضل وكرم الأخلاق . »

٨-٢١ قال كونفوشيوس : « نظرت فلم أجد عيباً فى سلوك السيد « يو » (٥٠) ، فهـو يقتّـر فى طعامـه كثـيرا ، لكنه يتـقرب إلى السماء بأثمن أضحيـة ويرتدى الخشن الغليظ من الثياب ، لكنه يتخذ أبهى ملبس وأجمل زينة عند إقامة الشعائر المقدسة ، ولئن كان يقـبع فى كوخ خـشبى متـواضع ، فقـد سبق أن بذل كل جهده ومـاله فى وجوه البر والإحسان،فـهو الرجل الذى لاتمسه شائبة ، ولايعتريه عيب أو نقصان . »


محمد خطاب

الباب التاسع

« زيهان »

وجملته واحد وثلاثون فصلا

٩-١ كان كونفوشيوس يدقق كثيرا فى حديثه عن المنفعة ، والقدر والإحسان .

٩-٢ جاء رجل من بلدة « تاشيانـدان » ، وقال : « يعجبنى فى كونفوشيوس ، سموّ قدره ، وغزير علمه ، لكن الشئ المؤسف حقا ، أنه لم يتخذ حرفة يتخصص فيها لتدر عليه رزقا وشهرة وصيتا ذائعا يملأ الأسماع. » فلما بلغ ذلك كونفوشيوس نفسه ، قال لتلاميذه : « فماذا ترون لى من حرفة مناسبة إذن! آآجر المركبات بدلاً من الخيل ؟ ! أم أعمل قوّاسا ، أحمل السهام وأرمى بها ؟ . . وربما كان من الأنسب أن أعمل حوذيا ، فتلك خير على كل حال . »

٩-٣ قال كونفوشيوس : « كانت قبعات الطقوس تصنع - بحسب ما استقر من العرف - من الكتان ، فصارت الناس الآن تتخذها من الحرير الأسود،اقتصادا فى التكلفة،وتوفيرا فى النفقات ،وأنا أحبذ هذا المسلك . وقد جرت العادة أيضا بأن ينحنى المسئولون الراغبون فى مقابلة الحاكم برؤوسهم راكعين عند أول درجات

السلم المفضية إلى قاعة العرش ، وكذلك عند استقبال القاعة بعد الصعود ، إلا أنهم فى أيامنا هذه أبطلوا الانحناءة الأولى ، واقتصروا على الثانية التى يدخلون بها البهو الملكى الكبير ، وإنها لبدعة جائرة وضلال بعيد ، فما ضرّهم لوعادوا سيرتهم الأولى ، أليس ذلك أقوم وأكثر إجلالا واحتراما ! »

٩-٤ أربعة خصال كان يتجنبها كونفوشيوس بكل ما أوتى من جهد : التواكل ، والتسرّع ، والعناد ، والتكبر .

٩-٥ كان المعلّم مارا بمدينة كوانغ » فى طريقه إلى دولة «تشنكو» ، ولشدة الشبه بينه وبين « يانهو » الطاغية المستبدّ الذى قتل آلافا مؤلفة من أبناء المدينة ، فقد تداخل الأمر على الأهالى ، فاقتادوا كونفوشيوس ،بظن أنه « يانهو » ووضعوه فى الحبس ، فقال لهم ، فى معرض حديثه عن نفسه : أنا الرجل الذى ورث الفكروالعلم عن جلالة الامبراطور « أونوانغ » ، فلولم يكن هذا العلم يدعو إلى الخير ، لأفنته السماء وصيرته إلى العدم ، وحالت بينى وبينه ، ولئن كانت السماء ترعاه وتحفظه ، وتعيننى على أمره ، فمن ذا الذى بستطيع منكم أن يححب إرادة السماء ! »

٩-٦ جاء مسئول حكومى كبير إلى « تسيكون » ، وسأله ، قال : « إذا كان أستاذكم ، صاحب فلسفة وحكمة كما تقولون ، فأنى له بهذا الالمام الواسع بضروب المهن والحرف المختلفة ؟ » فأجابه : « السماء هى التى أنزلت عليه الحكمة وعلّمته من لدنها أسرار صناعات شتى . » فبلغ ذلك أسماع

كونفوشيوس ، فعلق بقوله : « يبدو لى أن السائل أعلم من المجيب ؛ فقد ولدت فى أسرة فقيرة ، واضطرتنى الظروف أن أتعلم الكثير من المهارات المتواضعة ، كى أتحصّل على معاش حياتى وقوت يومى ، وعلى أية حال ، فإن الرجل الفاضل ، لاحاجة به للتمرس فى فنون متنوّعة وحيل كثيرة [زائدة عن الحد المعقول !]

٩-٧ جاء على لسان « لاو » - أحد التلاميذ - مامفاده أن كونفوشيوس تحدث إليه ، ذات مرة ، فقال : « لم تواتنى ، طوال حياتى،فرصة العمل فى وظيفة رسمية ، لذلك فقد اضطررت إلى تعلم الكثير من المهن والمهارات . »

٩-٨ قال كونفوشيوس : « أتساءل أحيانا : هل أنا حقا واسع المعرفة غزير الاطلاع ؟ وأجيب على أسئلتى بالنفى ؛ فقد صادفت ذات مرة أحد الفلاحين ، وسألنى سؤالا ، تحيرّت منه افكارى ، وأخذت أقلب فيه النظر كثيرا ، وأنا أعرضه على كل الوجوه . . ووجدتنى برغم ذلك عاجز عن إجابة وافية . »

٩-٩ قال كونفوشيوس:« ماعادت العنقاء ترفرف فى سمائنا وماعاد النهر الأصفر يرمى إلى شواطئنا بألواح مزينة على أجساد التنانين ، فما أرى إلا نهاية عمرى ، وأوان انقطاع الأجل . (٥١)

٩-١٠ كان كونفوشيوس يبدى توقيراً وتبجيلاً زائداً إذا مر به كفيف أو بائس متشح بثوب حداد ، أو متأنق فى الزى الخاص بالطقوس الدينية أو الرسمية ، من علامة ذلك أنه كان يقف من

جلسته أو يتنحى بلباقة عن طريق الواحـد منهم ، إن كان ماشياً لافرق عنده بين صغيرهم وكبيرهم . »

٩-١١ تحدث يان يوان (٥٢) فى نبـرة لها مغـزاها ، قال : « كلـما أمعنت النظر فى صرح المبادئ التى درسها لنا أستاذنا ، بدت لى سامقة شامخة ، تسـمو فى الآفاق ، وكلما حاولت التعمق فى ثنايا دلالاتها ، بدت عسيرة المنال عميقة الغور ، وكلما سنحت حتى خلتها قريبة المـأخذ (تحت يدى) ، نظرت فإذا هى بعيدة (خلف ظهرى) تتـسربل بالغموض ودقـة المسلك ، ولئن كان الأستاذ يرشدنا إلى بدايات الطريق وأول الخطو، درجة فدرجة ، بعبـقريته الفـريدة فى التوجـيه وتمهيـد السبيل ، يـفتح لأذهاننا حـدود آفاق رحـبة ، تزخـر بألوان شـتى من الفكر والآداب ، ويكبح جماح نفـوسنا بهدى من قواعد الاخـلاق ، فأنا مازلت عند أول الطـريق ، وبـرغم فداحـة المسئوليـة وعبء الدأب والجد ، فلا أملك أن أحيـد عن طريق العلم {. . حتى لورغبت فى ذلك ! } ويتهيأ لى ؛ بعد كل ما بذلته من جهد ، أنى كلما أوغلت قدما جهلت أضعافا مضاعفة . »

٩-١٢ اشتد المرض على كونفوشيوس ، فأقبل « زيلو » على تلاميذه ومريديه ، فطلب إليهم أن يتدبروا إجراءات إقـامة جنازة رسمية { تحسـبا لوفاة المعلم } وأن يقـوموا «شكلياً» بأدوار تبـرز وجاهة أستاذهم(٥٣)وعظيم منزلته، فلما شفى كونفوشيوس من مرضه، واسترد عافيته ، وعلم بهذا الأمر ، انتقد « زيلو » ، قائلا له : « ذلك هو الخداع بعـينه ، وإلا فما مـعنى التظاهر بما لانملكه ؟

ولماذا ؟ أتظننا بذلك نخدع من ؟ ! هل نخدع السماء ؟ ! ثم إن ميتة كريمة بين أيديكم ، أفضل عندى من ميتة تحوطها أحزان حداد رسمى متكلف ، زائف . لماذا نتصورّ أن الموتى بغير جنازات مهيبة ليسوا إلا أقدار نهايات فقيرة متنحية على حافة الطريق ! »

٩-١٣ جاء « تسيكون » إلى كونفوشيوس ، وسأله : « هب أن لديك جوهرة ثمينة . أتحفظها فى صندوق ؟ أم تبيعها لمن يعرف قدرها ؟ » فأجابه المعلم : « بل أبيعها ، نعم أبيعها بالتأكيد وإنى لمنتظر من يقدّر قيمتها كما ينبغى . » (٥٤)

٩-١٤ أراد كونفوشيوس الانتقال إلى مسكن جديد بمنطقة« جوييى » (وهى إذ ذاك بقعة منعزلة ، غير راقية) ، فقيل له : « إنها ليست بمكان مناسب لك ؛ فهى نائية وغير متحضرة ، فكيف تقيم هناك ؟ » فأجاب ، بقوله : « ترى لو كان رجلاً حكيما فاضلا، مهذب السلوك ، كريم المنبت ، ذهب فأقام فيها قبلنا ، أكنا نقول نفس هذا الرأى ؟ ! »

٩-١٥ قال كونفوشيوس : « بعد عودتى من مملكة « ويغو » إلى « لوكو» قمت بتصنيف بحور كتاب « لشو القديم » فوجدتها نوعين لاثالث لهما وهما : « يا » و « سونغ » . » (٥٥)

٩-١٦ قال كونفوشيوس : « ليس فى الدنيا أعظم من أن تبجل رؤساءك وتؤدى عملك بإخلاص ، فإن عدت إلى منزلك فعليك بمعاونة إخوتك وإطاعة والديك ، ولاتنس أن تشعل

القناديل فى زمان الفرح ، وأن تقيد شموع التراتيل إذا ما أطلت الأحزان . وليبق عقلك فى رأسك إذا مادارت الأقداح ، فإياك والثمالة ! . . وما أحوج الواعظ أن ينفع نفسه بما ينصح به الآخرين ، فياليتنى أروّض النفس بتلك الخصال ! . »

٩-١٧ وقف كونفوشيوس إلى شاطئ النهر ، ونظر إلى المياه الجارية ، وقال : « والأيام أيضا تنقضى مثل تلك المياه العابرة ، تنساب رويدا بلا نهاية بين الشطآن . »

٩-١٨ قال كونفوشيوس : « لم أصادف فى حياتى أحداً يعشق الفضيلة عشقه للجمال . »

٩-١٩ قال كونفوشيوس : « إن حفنة من الرمال قد لاتكفى لتعلية قمة جبل شامخ لكنها تكفى تماما ، بالمزيد من الجهد والمثابرة وكمية مضافة من الحصى لردم حفرة عميقة على سطح الأرض . »

٩-٢٠ قال كونفوشيوس : « ربما كان « يان هوى » هو الوحيد من بين الناس جميعا ، الذى وجدت فيه مثابرة على الانصات والتحصيل ، ودأب على الالتزام بلاتوان أو كلل . »

٩-٢١ تحدث كونفوشيو عن تلميذه « يان يوان » [فى مناسبة تأبينه] ، فقال : « عجباً للموت الذى يتخير من بيننا أفضل الناس : أولئك الأكثر تفوقا ونبوغاً ورغبة صادقة فى النجاح والأمل والحياة ! »

٩-٢٢ قال كونفوشيوس : « هناك أشخاص تتعهدهم أوطانهم بالرعاية ، فإذا هم فى آخر المطاف ، جهد ضائع ؛ فلربما أنبتت

البذور براعم بلا زهور، وقد تثمر الأغصان زهرات بلا عناقيد.»

٩-٢٣ قال كونفوشيوس : « أخطر الآمال جميعا هو ما خبأته يد المستقبل فى قلب الأجيال الشابة، فلعلها فى قادم الأيام تحاذينا الركب ، ومن عساه يدرى ، فربما تسبقنا كثيرا ! فالمجد دائما للشباب ! ومن بلغ الأربعين أو الخمسين من دون أن يبنى لنفسه مجدا أو يُسْمِع الناس صوتا ، فما أظنه يقدر أن يفعل بعدها شيئا ذا قيمة . »

٩-٢٤ قال كونفوشيوس : « أيمكن أن يعرض الانسان عن كلمات معاتبة مخلصة صيغت من روح المبادئ ؟ ، لكن قبول النقد لايكفى ، فالتقويم أجدى وأهم . وهل من الممكن ألا تسعد النفوس بما يشنف الآذان من الإطراء والمديح ؟ لكن السعادة وحدها لاتكفى ، فالمراجعة والتحليل لنقاط القوة أنفع وأولى ، ذلك أن مشاعر الفرح بغير تقدير عملى . وكذلك قبول النقد بغير تصويب فعلى ، كلاهما ، لايبشر بأى جدوى . »

٩-٢٥ قال كونفوشيوس : « على المرء أن يلزم جانب الولاء والإخلاص ولايصادق من هم دونه ، وإن سقطت به زلة ، فلا يستنكف أن يرجع إلى الحق فإنه أهدى . »

٩-٢٦ قال كونفوشيوس : « ربما كان من الجائز أن تنحى قائدا مغوارا عن جيش مهول ، لكنك لاتستطيع أن تنزع إرادة صلبة من قلب رجل بسيط . »

٩-٢٧ قال كونفوشيوس : « نظرت فلم أجد سوى « جونغ يو » ، هو وحده الذى يملك ما يكفى من غنى النفس ، فلا يخزيه أن

يجلس بأسمـاله البالية إلى جـوار من يرفلون فى الديباج وألوان من الفراء النادر ، فربما يصدق عليه مـاجاء فى كتاب « الشعر » من تلك الأبيات :

.. « فأنت الرجل الذى
تهفو إليك القصائد
تعمر ساحتك
وتخجل منك الدنايا
فكأنك واسطة عقد
لاغضوب ولامغاضب
أتغار أنت ؟
بل تغار منك تيجان وقلائد . »

فلما بلغ « جونغ يو » أخذ يردد تلك الأبيات مزهواً ، فعاتبه كـونفوشـيوس ، قـائلا : « أتظن أن خصلة طيـبة واحـدة فى الرجل تكفيه كل هذا الفخر ؟ »

٩-٢٨ قال كـونفوشـيوس : « كـان الشتـاء هو الذى علمنا صـمود المقاومـة ، فكم بقيت أشجـار السرو تقاوم بـرد الثلج العاصف حتى آخر رمق ؛ فـهى آخر من يفقد أوراقه من فصـائل الشجر جميعا . »

٩-٢٩ قـال كونفـوشيـوس : « الذكى لاينخـدع، والكريم لايندم ، والشجاع لايفزع أبدا . »

٩-٣٠ قـال كونفـوشيـوس : « هناك نوع من الناس تجد فـيه زمـالة مثمـرة على طريق العلم والدراسة ، ولكنك لاتجد فيـه صداقة

متعاونة على طريق البحث عن الحقيقة ، وحتى لو وجدت فيه صداقة مؤازرة ، ساعية إلى الحقيقة ، فلعلك تعجز وإياه عن بلوغ هدف مأمول ، بل إنك حتى لو توصلت معه إلى نجاح ذى قيمة ، فلربما كان ذلك سببا كافيا لأن تدب بينكما ألوان من الشقاق والصراع . »

٩-٣١ جاء فى مطلع قصيدة صينية قديمة مانصه :

« . . أوراق مثل فراشات
تنثر ، كالشعر ، الجناح
أوراق شجر الكرز ،
تخفق وتميل . . تتفتح ،
ترقص
تهمس لك بأن اشتياقى
أشجار كرز ، شوق فراشات
اوراق عشق أبدية . . . وأنا
. . أشتاق إليك ،
لكن بيتك بعيد ،
والطريق إليك أسفار
وأشواك برية . . »

فلما كان كونفوشيوس يستمع إلى تلك الأبيات ، أشاح بيده معترضا ، عند هذا المقطع ، قائلا : « كلا . . هذا مما يقوله الشعراء ولايقوله العشاق أبداً ، فالمشتاق حقا لايكترث لبعد المسافة بينه وبين بيتها مهما طالت الأسفار وامتدت الآماد .


محمد خطاب

الباب العاشر

« شيانغ دان »

وجملته فصل واحد يقع فى سبعة وعشرين قسما

١٠-١ «كان كونفوشيوس عندما يعود إلى مسقط رأسه ، يقيم فى مكان بسيط ، ويجلس هادئا صامتا ، لايتحدث بشئ ، كأنه نسى الكلام ، فإذا ذهب إلى المعبد الجنائزى ، أو إلى البهو الامبراطورى ، انطلق الكلام من فيه حلواً طلقا ، كأنه امتلك ناصية البيان .

١٠-٢ وفى لقائه مع صغار الموظفين فى القصر الإمبراطورى ، كان كونفوشيوس لطيف الحديث ، رقيق الحاشية ، أما مع كبار الوزراء فقد كان يبدى قدراً من الجد والتوقير ، فإذا جاء سيد الممالك { صاحب الجلالة الإمبراطور ! } بدت على كونفوشيوس أمارات الإكبار والتبجيل { مع قدر ملحوظ من التهيّب } ! .

١٠-٣ ولقد كان كونفوشيوس حريصا على قواعد المظهر اللائق والسلوك القويم ؛ فكان إذا ما كلفه الملك باستقبال الوفود الأجنبية ، أظهر الجد والاهتمام ، ثم مشى بكل تؤدة { كما يقضى البروتوكول ! } نحو بهو الاستقبال الكبير ، ويشيع فى

الجو روح الود والاحترام بوجه صاف ولسان طلق ، ومنظر متأنق ، فإذا ما انتهت المراسم وغادر الضيوف ، عاد إلى الملك بتقرير واف عن المقابلة فلا يدع كبيرة ولاصغيرة إلا أحصاها .

١٠-٤ كان كونفوشيوس وهو يدلف من بوابة القصر الامبراطورى الكبير يتصرف طبقا للقواعد المتبعة فى حرص بالغ ، فإذا مر أمام منصة العرش ، اتخذ ملامح الجد ، وأسرع قليلا فى مشيته ، وغض من صوته . فإذا ارتقى السلم المؤدى إلى المنصة ، أمسك بجانب ردائه وأشاح به قليلا ، وصارت أفعاله تصدر فى غاية الهدوء واللباقة . ثم إذا عاد أدراجه ، نزل السلم فى خطوات سريعة بغير صوت ، وقد بدت عليه علامات ارتياح ، ثم ينطلق إلى مكانه المخصص له ، فيجلس هادئاً رزيناً .

١٠-٥ فى المهام الرسمية التى أوفد فيها كونفوشيوس خارج البلاد ، فقد كان يرفع الجوهرة الملكية الكريمة فى الصندوق بكلتا يديه ، ويعرضها ، حسب ما تقضى به المراسيم على جمهور الحاضرين، فيرفعها عاليا بإجلال ، ثم يخفضها منحنياً باحترام ، كأنه يتأهب بتسليمها ليد ضيف كريم ، بينما تنطق ملامحه أثناء ذلك بالفخر والاعتزاز، فإذا شئ فى الردهة الطويلة ، اتخذ مساراً مستقيما ، كأن يمشى على خيط رفيع . وكان يحرص على إظهار الحفاوة والبهجة أثناء حفلات تقديم الهدايا ثم كان إذا جلس إلى مائدة المفاوضات مع أعضاء الوفود الأجنبية ، ظل محافظا على مظهر يفيض بالود والثقة .

١٠-٦ العاقل من يدقق فى أناقته ، ومظهره العام ، واختيار المناسب

من الثياب ؛ ففيما يخص الملابس اليومية العادية [غير الرسمية] فليعرض عن الحلل ذات الحواف الرمادية أو البنفسجية أو الحمراء الوردية، فكلها لاتليق ، أما في شهور الصيف القائظ ، فليس أكثر ملاءمة من الثياب الكتانية غير المبطنة ، على أن تليها صديرية خفيفة . أما الثياب الثقيلة [المناسبة للشتاء !] فأفضلها المبطن أو المزين بالفراء ، بشرط أن تتوافر درجات الألوان بين الأردية الظاهرة وما يبطنها من الفراء ؛ فالمعطف الجلدى الأسود من جلود الضأن ، يناسبه فراء أسود . أما السترة الجلدية البيضاء ، التى من جلد الغزلان ، فبطانتها من الفراء الأبيض كذلك ، والصفراء بطانتها فراء أصفر ، من الفصيلة الثعلبية ، ويفضل أن تكون الملابس اليومية فضفاضة وطويلة ، على أن يقصر الكم الأيمن قليلا إلى ما فوق الرسغ . ثم إن مقدار طول بطانية النوم لابد أن يكون بحساب طول الشخص مرة ونصف المرة ، ويفضل أن تبطن حشايا متكأ الجلوس ، بأجود فراء الثعالب، وفيما خلا فترة الحداد ، يستطيع المرء أن يرتدى ماوافق رغبته ، فلا ينبغى أن يزيد طول المئزر أكثر من المعتاد وذلك باستثناء ثياب العمل الرسمية . وليس لعاقل أن يذهب للمواساة بثياب جلدية سوداء مبطنة بفراء ولابقبعة سوداء أيضا ، ويفضل أن يذهب السادة المهذبون إلى القصر الامبراطورى فى أوائل الشهور القمرية بثيابهم الرسمية الكاملة .

١٠-٧ ومن الآداب القويمة ، أثناء فترة الصوم ، أن يرتدى الصائم لباس استحمام قطنى ، وألا يقرب الخمر أو اللحوم مطلقا ،

كما ينبغى ألا يقيم الرجل مع امرأته فى غرفة واحدة أو يمسها طوال فترة الصوم .

١٠-٨ لاينبغى أن يغسل الأرز حتى يبيّض لونه ، ولايقطع اللحم حتى يصير نتفاً بالغة الصغر ، ولا يأكل طعاما تحللت أجزاؤه ، أو تغير لونه وأنتنت رائحته ، وحذار من طعام نيئ أو أكلة قليلة لاتشبع ، ويتعفف عن ذبيحة مرت برقبتها السكين على غير ماأقرته الشرائع المعهودة ولايأكل لحماً بغير توابل . وإذا جلس إلى مأدبة . فليكن طبقه المفضل هو الأرز وليس اللحم ، فتلك من آداب المائدة . وأن يشرب من الخمر بالقدر الذى لايضيع منه عقله ، وليحذر وما تبيعه الأسواق العامة من لحوم أو خمور { فاسدة ،غير مناسبة للاستهلاك ! } واعلم أن القليل من الأعشاب العطرة بعد الأكل ، يشد اللثة ويروق النكهة ، ويلطّف اللعاب ، ويذهب برائحة الطعام من الفم .

١٠-٩ كان كونفوشيوس يشارك مع الأباطرة فى الأعياد الرسمية لتقديم القرابين ، فكان إذا منحوه قطعة من اللحم ، تناولها فأكلها فى اليوم نفسه ، فلا يدع منها شيئا فى خزانة مطبخه ، وقد اعتاد ألا يقرب لحوم القرابين ، إذا مرت عليها ثلاث ليال كاملة . (٥٦)

١٠-١٠ لم يكن كونفوشيوس يحرك لسانه بالكلام عند الطعام وعند النوم .

١٠-١١ كان كونفوشيوس مواظبا على تقديم القرابين : ينتقيها مما تيسّر له من الطعام ، ومن أطايب المائدة ، متبعاً ذلك بفروض

الاحترام الواجبة .

١٠-١٢ بلغت بكونفوشيوس عزة النفس والأنفة ، أنه لم يكن يجلس على كرسى لم يعّد له حسب قواعد الآداب العامة .

١٠-١٣ كان كونفوشيوس يختلف إلى مآدب السمر فى قريته ، يتحدث ويشرب مع الفلاحين،ولم يكن يغادر مجلسه ، حتى يسبقه أكبر الناس سناً [مبالغة فى الاحترام !] .

١٠-١٤ ولطالما شارك المعلم فى المناسبات الدينية والعقائدية ، التى كان يقيمها أهالى قريته من الريفيين البسطاء ؛ فكان يرتدى زيه الرسمى ، ويقف عند المدخل الأيمن للمعبد ، وهو المكان المخصص للضيوف والزوار .

١٠-١٥ كان من عادة كونفوشيوس ، إذا عهد إلى رسول بإبلاغ تحية أو إرسال خطاب إلى صديق بعيد ، أن يرافقه حتى أول طريق السفر ثم يودّعه وهو ينحنى له مرتين ، احتراما وعرفانا .

١٠-١٦ تلقى كونفوشيوس ، من السيد « جيكانزى » مجموعة من الأعشاب الطبية النادرة ، فقبلها منه ، وانحنى له احتراما ، لكنه قال : بالرغم من أنى قبلت تلك الأعشاب الطبية ، لكنى لن استعملها ، وذلك لأنى لاأعرف شيئا عن خصائصها ومدى نفعها وضررها ، فليس كل دواء يشفى ولا كل داء يميت . »

١٠-١٧ كان حريق هائل قد شب فى مذود للخيول ، فهرع كونفوشيوس إلى مكان الحادث ، وطفق يسأل : « هل أصيب إنسان ؟ » ولم يكترث لما أصاب الخيل ، ولاسأل عنها فى تلك الساعة .

١٠-١٨ ان كونفوشيوس عارفا بأصول الآداب مع أباطرة الممالك فى زمنه فكان إذا أرسل إليه الملك طعاما ، تناول منه شيئا بسيطا ، ليتذوقه ثم يشكر سيده على الفضل والإنعام ، فإذا جاءوا له من القصر بلحم نيئ ، طبخه ، وأخذ منه قدرا يسيرا ، ليقدمه قربانا للموتى ، فإذا أرسل إليه الأمير طيورا نادرة أو حيونات أليفة ، على سبيل التحية ، أخذها فترفق بها وأطعمها واعتنى بها غاية الاعتناء ، وإذا دعى إلى مأدبة ملكية بادر إلى الطبق الموضوع أمام جلالة الملك فأكل منه نزراً يسيرا ، بحسب ما تقضى به الأعراف .

١٠-١٩ ذهب جلالة الامبراطور إلى كونفوشيوس ، ليعوده فى مرضه الذى ألم به ، وبالرغم من آثار المرض ، الذى أقعده ومنعه عن الحركة ، فقد اجتهد المعلم فى تحية الزائر المهيب ، فغطى نفسه وهو راقد بالزى الرسمى ، وعقد حول جسده شارة التاج الامبراطورى ، وأدار وجهه ناحية الشرق ، تعبيراً عن الإجلال والإكبار .

١٠-٢٠ أرسل جلالة الامبراطور يستدعى كونفوشيوس فى أمر عاجل ، فذهب إليه ، يهرول على قدميه ، ولم ينتظر ، حتى ، ليسرجوا له الخيل ويعدوا له الموكب .

١٠-٢١ كان من عادة كونفوشيوس إذا دخل معبداً فى مملكة « تشوغو » أن يتفقد كل الزوايا والأركان ، مستفسراً عن أدق التفاصيل ، تلافيا للوقوع فى محظور ، وتجنبا للإساءة إلى مشاعر المصلين وطقوس العبادة . (٥٧)

١٠-٢٢ كان كونفوشيوس إذا مات له صديق ، ولم يجد كفناً ولا أهلا يشيعونه ، تقدم فبادر بنفسه إلى القيام بكل أعباء الدفن والجنازة .

١٠-٢٣ لم يكن كونفوشيوس يحب أن يحنى رأسه ، حتى وهو يستقبل هدايا أصدقائه الفاخرة الثمينة ، إلا إذا كانت الهدية لحم قربان مقدس ، فكان ذلك استثناء فريدا .

١٠-٢٤ لم يكن من عادة كونفوشيوس وهو نائم ، أن ينبطح أو يستلقى ممدداً على سريره مثل جثة هامدة ، ولم يكن فى حياته الشخصية [فى بيته] يتصرف بمنتهى الحيطة والجدية اللتين اتسم بهما فى مظهره أثناء العمل أو العبادة ، وإنما كان يتبسط كثيرا ويلين عريكته .

١٠-٢٥ لم يكن كونفوشيوس يتوانى عن مواساة محزون فى ثياب حداد، سواء أكان صديقا له، أو من آحاد الناس ، وكان يقف تحية للمسئول الحكومى الكبير ، وللكفيف فاقد البصر ، ولكل من يحمل كتبا وصحائف [من الدراسين] أو نعشاً فى جنازة ، فكان يميل برأسه نحوهم أو يترجل إن كان راكبا . فإذا دعى إلى مأدبة فاخرة ، حيّا القوم بما يناسبهم من التقدير والاحترام وكان إلى جانب هذا كله ، رقيق الوجه والوجدان ، تفزع ملامحه إذا عصفت ريح أو أرعد البرق فى السماء .

١٠-٢٦ كان كونفوشيوس شديد الحرص على قواعد السلوك، حتى وهو يصعد إلى مركبته؛ فكان يقف معتدل الجسد ويقبض بكفيه على مقبض الأمان مستندا إليه ، ثم يصعد متمهلاً واثقا

فإذا ما استوى قاعدا ، هدأت حركته ، فلا يلتفت خلفه ، ولايصيح بصوته ، ولايشير أو يلوح بيده كثيرا . . أو نحو ذلك من الأفعال المحظورة على الراكب .

١٠-٢٧ كان « زيلو » وكونفوشيوس يتجولان قريبا من أحد الأودية ففيما هما سائران ، إذ دبت أقدامهما على أرض مليئة بالحجارة فتعثرت بها وأصدرت ضجة صاخبة ، فإذا أسراب من الطيور ، تخرج من بين الأغصان والأعشاش وتفر هاربة إلى ربوة عالية ، فلما هدأ الجو ، حلقت فعادت إلى مواضعها الأولى ، فقال كونفوشيوس : « ياالذكاء تلك الطيور ؛ ولت هاربة عندما استشعرت خطرا ، وحطّت عائدة لما أدركت الأمان ، فلا بد أن لديها عقلا يدرك ويحلل ويستجيب ويتآلف على نحو بالغ الدقة والإتقان ! » ثم إن « زيلو » اتجه نحو الطيور ملّوحاً لها بالتحية ، فتقافزت الأسراب ذعراً ، وحلقت عاليا فى السماء .(٥٨)

الباب الحادي عشر

« شياجين »

وجملته ستة وعشرون فصلا

١١-١ قال كونفوشيوس : « إن المتعلمين من أولاد البسطاء ، يبدأون طريق حياتهم بتحصيل العلوم والفنون ومبادئ الذوق الرفيع ، عبوراً إلى الترقى فى سلك الوظائف العامة والمراكز الاجتماعية ، أما أبناء الذوات فيقفزون مباشرة إلى الوظائف المرموقة والمراكز الاجتماعية المتقدمة وبعدها يتخبطون دروبا ومسالك وعرة لاكتساب ما فاتهم من علم وفن وذوق أصيل ، ولو خيّرت ، لفضلت الذين يبدأون بالعلوم والفنون . »

١١-٢ قال كونفوشيوس : « إن نسيت ، فلن أنسى ما حييت - أولئك الذين قاسوا معى أهوال الترحال والسغب والمشقة فى منطقتى « تشن » و « ساى (٥٩) ، لقد ذهبوا وماعاد أحد منهم باقيا إلى الآن . »

١١-٣ تميزت كل طائفة من تلاميذ كونفوشيوس بنبوغها ، وتفوقها الخاص ، فى ميادين العلم المختلفة ، ففى الأخلاق والفضائل ، كان هناك « يان يوان » ، و « مينزى تشين » ، « ران بونيو » « جون كونغ » ، وفى البلاغة والبيان : « زايو »

« تسيكون » ، وفى أصول الحكم وقواعد الإدارة : « رانيو » ، و « زيلو » ، أما فى التراث والأدب القديم ، فقد برع كل من : « زايو » و « زيشيا » .

١١-٤ قال كونفوشيوس : « لاأظن أن « يان هوى » هو خيرالأصحاب وأقرب المخلصين ؛ فهو يوافقنى على كل ما أقول وتعجبه كل آرائى ويهز لى رأسه طرباً إذا كلمته . . . كلا . . هذا الرجل لن ينفعنى بشئ ! لايصلح لصداقتى ! » .

١١-٥ قال كونفوشيوس : « كم أحسد « زيشيان » على وفائه لأسرته ؛ فهو وإياهم فى رباط ود متين ، حتى أظن أن أهل الأرض جميعا لايقدرون أن يزيفوا قلبه أو يفسدوا إخلاصه . »

كان « نان رونغ » - تلميذ كونفوشيوس - يردد الكثير من أبيات الشعر القديم ، وبخاصة ما ورد فى « كتاب القصائد » ، فاعجب المعلم بحسه المرهف وذوقه الراقى حتى أنه زوّجه بابنة أخيه . (٦٠)

١١-٦ جاء « جيكانزى » إلى كونفوشيوس ، وسأله : « أى تلاميذك أكثر شغفا بالعلم والدراسة ؟ » فأجابه : « كان « يان هوى » وحده ، أدأب وأحرص الناس على الدرس والتحصيل ، حباً وشرفاً وغاية ، إلا أنه مات صغيرا ، ولم أجد على شاكلته أحداً من بعده . »

١١-٧ لما توفى « يان يوان » ، جاء أبوه « يان لو » - تلميذ كونفوشيوس أيضا - إلى المعلم ورجاه أن يفعل أى شئ كى يصنع للمتوفى صندوقا جنائزيا مهيباً ، حتى لو اقتضى الأمر أن

يبيع (يعنى . . . كونفوشيوس) مركبته الرسمية ، فأجابه المعلم ، قائلا : « أيا كان الأمر ، فقد سبق أن مات لى ولد (يقصد ابنه كونغ لى) ولم أصنع له إلا كفنا بسيطا . ولست مستعدا أن أبيع مركبتى كى اشترى صندوق جنازة ، فتلك العربة ، أهديت لى ، مكافأة ، نظير عملى كوزير سابق فى بلاط جلالة الامبراطور ، ولايجوز لى - حسب التقاليد - أن أمشى بين الناس من دون مركبة رسمية . »

١١-٩ فى اليوم الذى توفى فيه « يان يوان » [أحب تلاميذ كونفوشيوس إلى نفسه . . كان يعده ليخلفه على عرش الحكمة والفلسفة الصينية . . لولا الموت الذى عاجله !] وقف المعلم بين تلاميذه وشخص ببصره إلى السماء وهو يبكى ويقول : أيتها السموات . . لقد فجعتنى بموته . . قتلتنى بفقده ! »

١١-١٠ عندما توفى يان يوان ، حزن عليه كونفوشيوس ، وانتحب ، حتى أخذ بعض تلاميذه يواسونه ، ويهدئون خاطره ، قائلين : لقد انفطر كبدك حزنا عليه ياسيدى، وإنك لتجزع لموته ، مثلما لم تجزع لأحد قبله . . فهوّن عليك ! » فأجابهم : « لم أصب بمثله قط ، فلهذا تبكيه عينى بدموع حياتى كلها ! »

١١-١١ عندما توفى « يان يوان » فكر زملاؤه فى إقامة مراسم جنائزية مهيبة ، فاعترض كونفوشيوس متعللاً بأن ذلك أمر غير جائز أصلا، إلا أن التلاميذ ، تشبثوا بفكرتهم ، ونفذوا رأيهم فلما بلغ ذلك المعلم ، قال لهم : « لقد كان يان يوان يعاملنى ببالغ الود والاحترام ، وكأنى أبوه الذى تعهده بالتربية والرعاية ، إلا

أنى لم أكن أحب أن أعـامله بوصفـه واحداً من أبنائى { حـتى لاتثور أنفسكم بتفضيلى إياه ! } ولم أكن لأوافق أبداً على فكرة الجنازة المهـيبـة تلك . بل أنتم الذين اقـترحـتم ، وقمـتم بكل الترتيبات { برغم معارضتى إياكم ! } .

١١-١٢ جاء زيلـو إلى كونفـوشيوس ، وسـأله عن أفضل الـطقوس الممكنـة لاستـرضاء الأرواح الهائمة فى الملكوت ، فـأجابه ، قـال: «وهـل فعلنـا ما يرضى البشـر ، حتى نسـعى لارضـاء الأرواح ؟ » ثم إن الرجل سأله ثانية : « أتدرى سيدى ، ما هو الموت ؟ ! » فـأجابـه : « لئن كنا لم نفـهم كنه الحياة بعـد ، فكيف لنا أن نعرف ماهية الموت ؟ »

١١-١٣ كـــان مينتز يشـيـــان مـؤدبـا فـــاضــلا ، يعـــامــل أستاذه « كونفـوشيوس » باحترام وإكبار ، أمـا « زيلو »فقد كان سمـحاً كريما ، مـع صلابة فى الطبع ، بينمـا تميز كل من : « رانيو » ، و « تسـيكون » بخفة الروح ودمـاثة الخلق ، مع ميل واضح إلى مزاج التـبسط والمرح فهولاء النفر مـن الرجال كانوا أقرب مكانة وألطف وداً إلى كونفوشيوس وكان يثنى عليهم ،إلا أنه قـال عنهم ذات مرة : « لشـد ما أخـشى على « زيلو » من تقلبات الدهر ؛ فقد لاحظت فى خصاله غلظة بادية ونزوع إلى الصلف والمعاندة ، ومـثل هؤلاء الناس { بهاتيك الصـفات ! } يموتون ميتة شنعاء . »

١١-١٤ كان المسـئولون فى حـكومة مملكة « لوكـو» قد قـرروا إنشاء مركز جديد لمبـنى الخزانة العامة ، وكان مينزيشـيان حاضراً أثناء

المناقشات، فعلق على هـذا المشروع بقوله : « مـا الداعى إلى إقامة مـبنى جديد ؟ ألا يمكن تجديد وترميم المبنى الـقائم بحيث يراعى تطويره حـسب النظم الحـديثة ؟ ! » فـبلغ ذلك المعلم ، فقـال : « عجـبا لـهذا الرجل ، يسكت دهوراً وينطق جـوهراً منثورا . »

١١-١٥ قال كونفوشيوس : « بئس ما فعل « جونيو » ، ألا يدرك أن إزعاج الآخرين غير مقبول ! كيف يجرؤ على إحضـار قيثارته ليعزف ويلهو فى بيتى!» ثم إن باقى التلاميذ عرفوا بهذا الأمر ، فاستصغروا « جونيو » ، وحـقروه للغاية ، وعلم كونفوشيوس بذلك ، فانتقدهم قـائلا : « إياكم والتقليل من شأنه ، وانظروا إلى اجتهاده فى التحصيل ! والنواحى الايجابية فى شخصيته ! ! فقد درس علوماً لابأس بها ، ولاينقصه إلا النذر اليسير ! »

١١-١٦ جاء « تسيكون » إلى كونفوشيوس ، وسأله : « أى تلميذيك الأشد ذكـاء ، « توانسون شى » (٦١) أم « بوشانغ » ؟ (٦٢) » فأجابه : « أولهما شديد الذكـاء والنبوغ أكثر من اللازم،والآخر ذكاؤه أقل من اللازم ! » فسـألـه تسيكـون : « إذن . . فهـل يمكـن القـول بأن « توانسون شى » أفـضل من زميلـه ؟ » فرد عليـه ، قائلا : « فى الحق ، فـإن شدة الذكـاء ، مثل منتـهى الغباء ، كلاهما متطرف ، كلاهما لايصلح . »

١١-١٧ كان « جيسون » رئيس عائلة « سـونشى » أكثر ثراء من الأمير « جوكون » ، إلا أنه كـان طماعاً جشعـا ، ثم إن رانشيو (٦٣) أخذ يناصره ويتحيّل له أخبث الوسائل ليزداد ثروة . وبلغ ذلك

كونفوشيوس ، فقال لتلاميذه : « إذا رأيتم « رانشيو » ، فأبلغوه بأنى لن أفتح له باب بيتى منذ اليوم ، فما عاد تلميذى بعد فعلته هذه ، وإنه عندى مذموم محتقر ، ويمكنكم أن تلهجوا بسيرته بين الناس وتفضحوا أعماله على الملأ ، وإنه لمستحق لذلك ! »

١١-١٨ قال كونفوشيوس : « نظرت فإذاً كوتشاى » (٦٤) أقل تلاميذى فطنة ، أما « سندشن » ، فقد كان أقلهم نشاطا ، وكان « جوانسون » أكثرهم تطرفا فى الرأى ، ولم يكن سوى « جونيو » أكثرهم طيشا ، من دون تبصر للعواقب . »

١١-١٩ قال كونفوشيوس : « ليس أغرب من الأقدار ! ولقد تأملت فرأيت « يان هوى » من أكثر تلاميذى نبوغا فى العلم ورفعة فى الخلق والفضائل، لكنه ، مع ذلك ، كان يعانى الفقر المدقع ، والعوز المرير ، بينما كان « توانموسى » من أشد تلاميذى سخطا على الواقع المؤلم ، فلما انخرط فى الأعمال التجارية ، ازدهرت حاله ، وصارت الأيام تزيده هناءة وعيشا رغداً . »

١١-٢٠ جاء « ريجانغ » إلى كونفوشيوس ، وسأله عما يجب أن يفعله المرء كى تسمو أخلاقه،ويسلك طريق الخير والفضيلة،فأجابه ، قال : « الماجد لاينهج طريقا سهلاً ، سلك به السابقون ، ولايطمح إلى ارتقاء درجة القداسة والاكتمال ، فذلك مما لايبلغه إنسان أبدا . »

١١-٢١ قال كونفوشيوس : « يعجبنى فى الرجل إخلاصه ومروءته ، وحميد خصاله ، لكننى أتمهل كثيرا ، وأتأمل أكثر ، قبل أن

أشهد له ببلوغ منزلة الشرف العظيم ، فمن يدرى إن كان نزيها صادقا أو دعيّا كاذبا . »

١١-٢٢ قام « زيلو » إلى كونفوشيوس ، فسأله : « أترى ينبغى على المرء أن يتبع النظر بالعمل ، وأن يقرن الفكر بالتطبيق والممارسة ؟ » فأجابه : « ولماذا تنطلق مباشرة من خير الفكر إلى مجال العمل دون التروى والتدبر، أليس لك أب تستشيره ، أو أخ ترجع إليه ؟ ! » ثم قام « رانشيو » أيضا وسأله السؤال نفسه [بصيغة مختلفة بعض الشئ !] فأجابه المعلم : « نعم لامراء فى أنه يجب على المرء أن يقرن الفكر بالتطبيق. » وهنا ، قام كون شيهوا وقال لكونفوشيوس : « أنت تحيرنى ياسيدى ، فقد سألك كلاهما أمرا واحداً فأجبت إجابتين مختلفتين ، فهلا تفضلت بإيضاح المعمّى ، وإزالة العجمة ؟! » فقال له المعلم : « أما « رانشيو » فهياب متردد ، فشجعته على الإقدام ، لكن « زيلو » طائش ، أرعن فأردت كبح جماحه ! »

١١-٢٣ لما وقع كونفوشيوس فى أسر الحصار ببلدة «كوانغ» ، لحق به كل تلاميذه ، ، ما عدا « يان يوان » ؛ فقد ضل الطريق ، ووصل متأخرا ، فقال له كونفوشيوس : « أين كنت ، لقد ظننت أنك هلكت وانقضى أمرك . » فأجابه « يان يوان،قال : « كيف أموت وأنت حىّ ترزق . . لقد ظننت أنه لاينبغى للتلميذ أن يسبق أستاذه ، حتى فى تلك الأمور ! »

١١-٢٤ جاء جيزيان (أحد كبار عائلة جيسون) إلى كونفوشيوس ، وسأله : « أيصلح كل من « جونيو» و « رانشيو » للمناصب

الوزارية ؟ » فأجابه ، قال : « ما أحرى بك أن تسأل غيرى ، أما وقد سألتنى ، فأود أن أنبهك أولاً أن من مقتضيات ذلك المنصب الخطير ، خالص الولاء للأمير ، ومنتهى الوفاء لمبادئ الأخلاق ، وإلا فالاستقالة شرف وكرامة ، وبعد ، وبحسب ماذكرت ، فليس أكفأ عندى من « جونيو » و « رانشيو » لهذا المنصب . » فسأله الرجل ثانية : « أتظنهما يبلغان مبلغ الطاعة العمياء لرؤسائهما ؟ » فأجابه: « إلا فى غدر بصاحب الجلالة ، أو عقوق بأهل . »

١١-٢٥ قام « زيلو » بترشيح وتزكية تسيكاو » (٦٥) لمنصب الحاكم العام لمنطقة « فيشيان » ، فبلغ ذلك كونفوشيوس ، فقال له ، محتجا : « كيف ترشح لهذا المنصب رجلاً لم يحصل على مؤهلات علمية كافية وجديرة لأعباء المسئولية ؟ إنك بذلك تفسد الحاكم والمحكوم ! » فأجابه « زيلو » ، قال : « هناك ، سيجد العمال والموظفين والإدارات الحكومية ، والكفاءات المكملة [والآلهة وطقوس المعابد !] ، فما حاجته إلى العلوم والشهادات الدراسية ؟ » فأجابه المعلم بقوله : « لأنه رجل لن تجد على لسانه ، سوى هذه المراوغة و « السفسطة » التى تتحدث أنت بها الآن ! »

١١-٢٦ كان التلاميذ الأربعة : « زيلو » و « وسنغشى » « ورانيو » « وكون شيهوا» يتجاذبون أطراف الحديث،وتشعب بهم الحوار . ثم إن كونفوشيوس قال لهم : « أما وأنى الآن قد شاخ عمرى ونالت منى الأيام ، فلست أطمح إلى منافسة أحد ، ولا أظننى

فى موقع يسمح لى بأن أزاحم آخرين ، ولقد كنتم تشكون دائما من عدم تقـدير الناس لأفكاركم واكثراثهم لوجـهات نظركم ، فـماذا لوظهـر أمامنا الآن مـن يصـغـى إليكم ببـالغ الانتبـاه والتقدير ، أترى كنتم تقولون شيئا ؟ ! »

فانطلق زيـلو من فوره ، قال : « لوكنت صـاحب سلطة فى بلد ذات موارد لاتنضب ، لحكمت فيها بالإرادة ارتفعت بها إلى آفاق المجد ، حتى لو كـانت ترزح تحت نير احتلال أو تئن تحت وطأة مجـاعة ، وما كنت أريد عن ثـلاث سنوات ، حتى أبث فى روح أهلهـا الشجـاعة والعنفـوان ، ، فأخوض بهـم حربا مهـولة مظفرة ، تبلغ بهم حـد الكرامة والانسـانية . » فـتبسم المعلم ، وأشار ناحـية « رانشـيو » ، وقال : « وأنت ، فـماذا عنك ؟ » فأجـابه : « لو ملكّتنى بلدا كـثير الأصـقاع مـترامى الأنحاء لجـعلت أهله أوفر الناس رخاء وأكـثرهم ثروة ، وملكاً عريضا ، أمـا العبادات والشعائر ، فـلا حيلة فى هذا الأمر، إذ إنه من اخـتـصــاص أولى العلم والفـضل . » ثم التــفت كونفوشيـوس ناحية كون شيهوا ، فـسأله عن آماله وتطلعاته ، فأجابه ، قال : « ما تمنيت قط سوى أن أعمل خادما فى معبد ، أؤدى الطقوس والصلوات ، وأرافق النبـلاء والأمراء فى مواكب الاجتمـاعات واللقاءات الرسمـية ، وليس ذلك لأنى أتقن هذا العمل بثقة وتمكن الخبير العارف ، وإنما لأنى أريد الاستزادة فى التحـصيل والعلم بروح الطالب المستطلع المثابر . » وأخـيرا ، نظر المعلم ناحية « سنغشى » ، وسأله : « فماذا عنك ؟ » وكان

سنغشى ، مشغولا بالعزف على قيثارته ، فلما سأله المعلم ، وضع آلته جانبا ، وقال : « لست كهؤلاء الثلاثة ، وليس لى مثل مالهم من تطلعات . » فاستدركه كونفوشيوس : « لكنا لم نرد ذلك ، وإنما رأينا أن نخبر عما تنطوى الجوانح وتختزنه سرائر النفوس . » فانطلق « كون شيهوا » يقول : « لا أطمح فى أكثر من كساء قشيب ، وجماعة من خير الأصدقاء ، وليال ربيعية دافئة عند شواطئ أنهار جارية ، حيث أستجم من فيض الشطآن وأتعطر من ريح السهول ونفثات المعابد المقدسة ، ثم أعود إلى بيتى بقلب يتراقص بهجة وهناء . »

ثم تنهد إن كونفوشيوس طويلا ، وقال : « لشد ما أميل إلى ما قاله « سنغشى » ! » فلما خرج كل من زيلو ، ورانيو ، وكون شيهوا . تقدم سنغشى إلى المعلم ، وسأله : « مارأيك ياسيدى فيما سمعت من أولئك الثلاثة ؟ » فأجابه : هى ليست إلا وجهات نظر ترد إلى أصحابها . » فسأله : « فلم ضحكت من قول زيلو ؟ » فرد عليه ، قال : « لأنه لما كان أساس الحكم هو التواضع والكياسة والتأنى ، فقد كان لزاماً عليه أن يبدى شيئا منها ، لكنه كان بعيدا غاية البعد عن ذلك ، فلهذا ضحكت ! »

وسأله سنغشى ثانية : « إلا ترى رانشيو وكون شيهوا كليهما قد أظهر مقدرة على تقلد زمام الحكم والقيادة أيضا ؟ » فأجابه بقوله : « على رسلك ! فإن كنت ضحكت على مقولة . فإنما لأن قائلها لم يظهر التواضع الكافى ، لكنى لاأشك أبداً فى مقدرته على القيادة أو تمكنه من فنون الحكم ، أما عن كون شيهوا قد تعجب مما قاله كثيرا ؛ فبالرغم من إجادته لكل قواعد المجاملات والطقوس ، التى هى جزء من صميم شئون القيادة ، وأصول إدارة الممالك وأسس الأخلاق ، إلا أنه يقنع بالعمل مساعداً من الدرجة الثانية للأمراء والمسئولين . فمن غيره يتولى زمام الأمر ويرتقى الدرجة العالية الشريفة ! »

الباب الثانى عشر

"يان يوان"

وجملته أربعة وعشرون فصلا

١٢-١ جاء يان يوان إلى كونفوشيوس ، وسأله : ما الإحسان ؟ ، فأجابه : «أن تأخذ نفسك بالشدة والحزم حتى تروضها بما يلائم المبادئ الموضوعة ، فذاك هو الإحسان ، لأنك إن فعلت ذلك ، شهد لك الخلق شهادة حق ، واعترفوا لك بما لايشوبه الباطل ، فعليك بنفسك ، بعزم إرادتك الفردية ؛ فهى أمور لاتنفع فيها نصرة أو مدد» . ثم سأله يان يوان : «فما السبيل إلى ذلك ؟ وأنى لى بالوسيلة ؟» فأجابه : «لاتنظرن إلى شئ يخالف الشرائع ، ولاتميلن بأذنك إلى قول يجافيها ، ولاتأتين قولا أو فعلا ينقض ركنها المتين.» فعندئذ قال يان يوان : «فأنا على هذا المنهاج أسلك مريدا مثابرا ، حتى لو بلغت العثرات أعناق السحاب» .

١٢-٢ جاء «جونكون» وسأل كونفشيوس عن الإحسان ، ماهو ؟ ، فأجابه : «أن تؤدى عملك بإتقان وإخلاص وأمانة ، كأنك تبذل فى سبيله ماتبذله لضيف عزيز غال ، وأن تعامل الذين تحت إمرتك بالحسنى (بالخشية والحذر ، كأنك تقيم شعائر

العبادات!!) ولاتفرضن على غيرك مالاتطيقه أنت (حرفيا : ماتكرهه لنفسك ، لاتحبه لغيرك!) فلا يقين فى الأرض مكان لشكوى أو تذمر» . وهنا قال جونكون : «فأنا على طريقك ياسيدى ، برغم أهواء النفس وهفوات العقل الجامح» .

١٢-٣ جاء سيمانيو (٦٦) إلى كونفوشيوس ، وسأله عما يكون الإحسان ؟ ، فقال : «أن تحذر فى قولك ، وتعصم لسانك من الزلل» . فسأله ثانية : «أيكون الإحسان هكذا؟ .. مجرد حذر فى القول؟» فأجابه كونفوشيوس : «إن من يؤاخذ نفسه بما فعلت يداه ، فيعرف حدود قوته وضعفه لابد سيدقق كثيرا قبل أن يحرك لسانه فى فمه (حرفيا : كيف يجارف بالقول السهل من يقدر دقة المخاطر وجدية العمل ؟!)(٦٧)

١٢-٤ جاء سيمانيو إلى كونفوشيوس وسأله عن أعظم الناس أخلاقا كيف يكون ؟ وبم يُعرف بين الورى ؟ فأجابه : «من حسنت أخلاقه ، تشرق سيماه وتصفو ، بغير أثر لضيق أو خوف فى ملامحه» . فتعجب سيمانيو ، وقال : «أهو ذاك ؟ أيكون الرجل الفاضل مشرق الطلعة ، لاخائف ولاقلق ..

(أهذا كل مافى الموضوع؟) فأجابه المعلم : «وكيف يجرب الخوف أو القلق من لم يقترف إثما يكبل ضميره ، أو شائنة تثقل على وجدانه؟!» .

١٢-٥ جاء سيمانيو إلى زيشيا ، وتحدث إليه بصوت ملؤه الأسى ، قال : «يحزننى كثيرا ياسيدى ألا يكون لى إخوة أشقاء مثل باقى الناس!» فرد عليه مواسيا ، قال : «هناك حكمة قديمة

مفادها أن الحياة والموت بيد القدر ، كما أن الثروة والجاه تقدير من السماء ، فليعمل الإنسان صالحا وليحفظ نفسه من الزلل ، وليترفق بالناس ، فإنما الكل إخوة!»

١٢-٦ جاء زيجانغ إلى كونفوشيوس ، وسأله : ماالسبيل إلى الكياسة والفطنة ؟ فأجابه ، قال : «إعلم أن المرء يصير حكيما عاقلا عندما يبلغه طوفان هادر من خبيث الأقاويل كسيل البحر ، فيخسر عند قدميه زبد موج خائر ، ولايعد الرجل فطنا ثاقب النظر إلا إذا أزال عن عينيه غشاوة من أكاذيب مغرضة تحجب أخفى أسرار الحقائق» .

١٢-٧ جاء تسيكون إلى كونفوشيوس ، فسأله عن أساس الحكم فى الممالك الكبرى ، فأنبأه بذلك قائلا : «أسس الحكم تتمثل فى ثلاث : احتياطى من غذاء وافر ، وقوة جيوش ضاربة ، وثقة بين الحاكم والمحكوم!» وعاد تسيكون يسأله : «فماذا لو دعتنى الحاجة إلى اختيار واحدة فقط من بين هذه الثلاث ، فأيها ألقى جانبا؟» فأجابه : «قوة الجيش الضارب» . فسأله ثانية : «فأى من الاثنتين الباقيتين أغفل من حسابى ، إذا مادعت الضرورة إلى ذلك ؟» فقال له المعلم : «لك أن تدع احتياطى الغذاء الوافر ، برغم ماقد ينجم عن ذلك من خطر الهلاك والمجاعة ، لكن مسيرة الزمن علمتنا أن الموت قدر محتوم على الإنسان ، فى كل الأحوال ، شبع أم جاع ، وإنما شر الهلاك ورأس البلاء جميعا : فقدان الثقة بين الشعب وحكومته» .

١٢-٨ جاء «جيزشن» (أحد الوزراء فى دولة «ويقو» بالصين

القديمة) ، إلى تسيكون ، وسأله : «قد عرفنا أن الرجل بمخبره لا بمظهره ، بشخصه المركوز فى طبعه ، وليس بسيماه البادية ! ففيم إذن تأكيدكم على أهمية «الشكليات» الطقوسية وآداب المجاملات العامة ؟» فأجابه : «مما يؤسف له أن يأتى هذا السؤال على لسانك ياسيدى وأنت الشريف الجليل ، العليم بالأصول ! لكنها كلمة سبقت (وماخرج من فم لايعود) والكلمات مثل ركض الخيول ، إذا انطلقت لاتنكص على أعقابها ولاترجع القهقرى . والحق ، أن المظهر والمخبر كليهما على قدر واحد من الأهمية : فأنت إن سلخت الجلد والفراء تساوت فى ناظريك النمور مع الفهود وتشابهت الحملان مع الذئاب» .

١٢-٩ جاء الدوق «آيكون» إلى «يورو» (٦٨) وقلبه مشغول بمسألة تحيره ، وقال له : «لاندرى كيف نجد موارد كافية لإصلاح الأحوال المالية المتعثرة ، ومالعمل وقد أجدبت الأرض وهزل الزرع والحصاد فى عامنا هذا ؟» فنصح له «يورو» بتطبيق نظام جباية الضرائب بالنسبة العشرية ، فرد عليه الدوق ، قائلا : «لو فعلت ، فلن يعود علىّ هذا بما يكفى ، حتى لو رفعت الضريبة إلى عشرين بالمائة ، فلن تغل شيئا ذا بال» . فأجابه يورو : «إنه لأمر عجيب أن يعسر الحاكم وتوسر الرعية ، والأعجب ، بل والأغرب منه أن يعبئ الحاكم خزائنه على حساب رعية فقيرة معسرة!» .

١٢-١٠ جاء زيجانغ إلى كونفوشيوس ، فسأله عما تحسن به أخلاق

المرء ، ومايهدى إلى التبصر فى الأمور وتبيان الحق من الباطل ، فأجابه : «عليك بالمخلصين الصادقين ، فعندهم منابع الفضيلة ، فانهل مما تجده عندهم تحسن أخلاقك ، ثم إنك إذا أحببت إنسانا تمنيت له الخير ، وطول البقاء ، وإذا أبغضت أحداً لعنته وتمنيت له المنايا ، أليس كذلك؟! ، لكنك إن كنت فى موقف تدعو فيه بالخير والشر معا ، تحب شيئا وتبغضه فى آن واحد ، فذلك هو الضلال بعينه ، فافهم ذلك !» (٦٩)

١٢-١١ جاء الأمير «جين» من دولة «تشيقو» وسأل كونفوشيوس عن فلسفة الحكم فى البلاد ، فأجابه : «الأساس عندى هو أن يلزم كل كاهن معبده ، وكل شيخ طريقته ، فللأمير إمارته ، وللوزير مكانته ، وللوالد مسئوليته ، كما على الابن طاعته» .
فرد الأمير من فوره : «صدقت وأحسنت ياسيدى ، فلو لم يكن الأمير أميرا ، والوزير وزيرا ، ولكل حدود طقوسه ، ومجال نفوذه ، لفسدت الأحوال والممالك ، ولما وجدنا مانقتات به ، حتى لو تكدست الغلال فى المخازن .

١٢-١٢ قال كونفوشيوس : «نظرت فلم أجد سوى «جونيو» وحده هو الذى يملك القدرة على أن يحكم فى قضية شائكة ، مكتفيا بشهادة طرف واحد فى النزاع ؛ ذلك لأنه بما عرف عنه من نزاهة وصدق وإخلاص ، يستخلص شهادة الحق من ضمير المتخاصمين لديه». (٧٠)

١٢-١٣ قال كونفوشيوس : «لما كنت متوليا شئون القضاء فى دولة «لوكو» ، فقد كنت أنظر فى القضايا القانونية ، ولم أكن أتبع

منهاجا يخالف الشرائع المعهودة ؛ فما تقاعست يوما عن فض المنازعات ، ولا عطلت إقامة الدعاوى أو الشروع فى التمهيد لإجراءاتها بأية حال» .

١٢-١٤ جاء «زيجانغ» إلى كونفوشيوس ، وسأله النصيحة فى مجال الوظائف الرسمية ، فقال له : «على من يتولى منصبا رسميا عاما أن يدقق فيما يصدر على لسانه ، فلا يقولن إلا ماهو حق ، وألا يقصر أو يتراخى فى مستوى أدائه العام ، وأن يطبق اللوائح والنظام بكل إخلاص وتفان» .

١٢-١٥ قال كونفوشيوس : «إنه لايضل أبدا من طالع الآداب القديمة ، ووعاها بقلبه وعقله ، ثم أدب نفسه بالمبادئ القويمة والنهج الشريف العالى» .

١٢-١٦ قال كونفوشيوس : «الماجد الشريف يعين على فعل الخير ، ولايعطى يده للشر ، أما الدنئ الأحمق فيسلك عكس ذلك تماما» .

١٢-١٧ جاء «جيكانزى» إلى كونفوشيوس وسأله عن أساس الحكم ، كيف يكون ؟ وماهو ؟ فأجابه : «الحكم كلمة صيغت من معنى الإحكام والضبط والاستقامة بلا عوج ، فإن لزمت هذا المعنى ووطدت نفسك عليه ، انقادت لك الدنيا بأسرها» .

١٢-١٨ اشتكى «جيكانزى» من كثرة قضايا السرقة والنهب فى مملكته ، فذهب إلى كونفوشيوس ، يطلب مشورته ، فأجابه : «إن نهيت نفسك عن اشتهاء الثروات وجشع العيش وباذخ الترف ، لما جرؤ أحد على السرقة ، حتى ولو حرضته عليها تحريضا»

١٢-١٩ ذهب «جيكانزى» إلى كونفوشيوس ، فسأله فى موضوع يتصل بشئون الحكم ، قال : «ماراًيك لو ضربت رقاب المفسدين جميعا ، وتقربت إلى المصلحين الأخيار ، أتكون تلك سياسة حكم داخلية ، يحالفها التوفيق ؟ فأجابه المعلم : «لماذا يتحتم ضرب رقاب الناس لكى تكون سياسة الحكم موفقة؟! من أين لك بتلك الضلالات ؟ أما علمت إنك إذا أردت إصلاح البلاد ، وسعيت مخلصا فى سبيل هذا الغرض ، استجابت لك العامة ، وصارت لك مددا يفوق المدى ، فمثل الحاكم كمثل الريح المدوية الشديدة ، ومثل الشعوب كمثل أهداب الزرع والنبات ، تميل دائما فى اتجاه العاصفة ، وتومئ بأعناقها نحو مسارها وغايتها» .

١٢-٢٠ ذهب ريجانغ إلى كونفوشيوس ، وسأله : «ما الوسيلة التى يتمكن بها طالب العلم من امتلاك ناصية المعرفة ؟» فأجابه : «أن يعلو شأنه ويذيع صيته فى الأنحاء ، سواء أعمل فى البلاط الملكى أم فى مكتب رسمى متواضع القيمة» . فرد عليه كونفوشيوس ، قال : «إذن ، فأنت تقصد بريق الشهرة والصيت الذائع . . يعنى أن يكون المرء معروفا لدى الكافة ، أما أن يملك زمام المعرفة فذلك شئ آخر ، إذ إنه يعنى أن يحوز الفرد إخلاصا واستقامة واحتراما إلى جانب مقدرته على الوعى بالدنيا والحياة والناس من حوله ، وتقدير الآراء والانفعالات (كذا) بدقة متناهية ، فذاك هو صاحب العلوم وسيد المعرفة ،

تلك هى خصاله ، سواء أعمل فى أعلى السلم الاجتماعى أم فى أدنى درجة منه . أما طالب الشهرة ، فمتكلف فضائل ، يحرك بها لسانه وتنفر منها يده ، فهذا هو المرائى ، سواء كان رجل دولة عظيم المكانة أو عاملاً بسيطاً فى ديوان حكومى زهيد القيمة» .

١٢-٢١ خرج فانش بصحبة كونفوشيوس ، وتوجها ناحية المذبح المقدس وبينما هما يتجولان ، إذ سأله : «قل لى ياسيدى ، كيف السبيل إلى تأصيل الفضائل والأخلاق فى طبع الإنسان ؟ قل لى ، كيف السبيل إلى استئصال جذور الشر من الوجدان ؟ وكيف يدرك المرء أنه فاقد الصواب ؟ وأجابه كونفوشيوس ، قال : «هذا سؤال جيد ، لكن دعنى أسألك أنا : أليست المبادرة إلى عمل السواعد قبل الحديث عن المكسب والخسارة ، أجدى وأنفع ، من الناحية السلوكية ؟! أليست مراجعة النفس والنقد الذاتى - بدلا من مراقبة الآخرين وملاحظة أخطائهم - أصوب وأحق فى اكتساب الفضائل ؟ ثم ألا ترى معى ، أن لحظة غضب أو حمق طائشة ، يمكن أن تورد المرء موارد التهلكة ، فيبطش بأهله ، أو يظلم نفسه ، ويحيق به مالا قبل له به ، فاعلم ذلك وتأمله!» .

١٢-٢٢ جاء «فانش» إلى كونفوشيوس ، وسأله عن معنى «الإحسان» ، فأجابه : «الإحسان هو المحبة» . فعاد وسأله : وماهى الحكمة ؟ فرد عليه ، قال : «الحكمة هى البصيرة ، والقدرة على التمييز بين الجيد والردئ» . فهز «فانش» رأسه بما يدل على

غمـوض المعنى ، ودقـة الدلالة ، وراح المعلم يزيده شرحـا ، بقوله : «أما علـمت بأنك لو أنعمت على نخبة الأخـيار بالجاه وعظيم المكانة ، وجـهت طموح المفـسدين إلى السلوك القـويم والعمل الصالح؟!» فخرج «فانش» وقد غمض عليه المعنى ، ثم إنه قابل «ريشيا» ، فقـال له : «كنت عند الأستاذ ، وسألته عن الحكمة ، فأجابنى بأنها تعنى تمكين الصلحاء من دفة الأمور ، حتى تنصلح النفوس الدنيئة ، فما معنى هذا؟ ورد عليه ريشيا : «المعنى هنا عـمـيق الغـور ، فـانظر ، وتأمل ، فـعندمـا تقلد الامبـراطور «شون» صـولجان الحكم ، بادر ، فـاختـار الحكيم «جاديو» إلى جـانبه ، وولاه أهم المناصب ، فاضطر المفـسدون إلى التقـهقـر والانكماش ، وعندمـا جاء الامبـراطور «تانغ» ، اصطفى الماجد الشريف «آيينى» فعـينه رئيسا للوزراء ، فما بقى للزمرة الدنيـئة إلا أن تفر إلـى جحورها ، وتذوى فى غـياهب النسيان» .

١٢-٢٣ ذهب «تسيكون» إلى كـونفوشيوس وسـأله عن كيفية مـعاملة الصديق لصديقه ، فأجابه : «لصديقك عليك حق : أن تخلص له وتصدقه النصـيحة ، فإن لم يمتثل ، فـلا تراجعه ، ولاتكن لحوحا فإن كثرة النصح تفقد الهيبة» .

١٢-٢٤ قـال «سنشن» (٧١) : «العـاقل يتـخـذ من الوعى الأدبى ، أساسا لصداقـاته مع الآخرين ، بمثل مايتخذ من صداقـته دعما لكيان الفضائل والأخلاق الكريمة» .



الباب الثالث عشر

«زيلو»

وجملته ثلاثون فصلا

١٣-١ جاء زيلو إلى كونفوشيوس ، وسأله عن المثل الأعلى فى القيام على شئون الحكم ، ماهو هذا المثل وكيف يكون ؟ فأجابه ، قال : «هو أن تحث مواطنيك على التفانى فى العمل ، وذلك بأن تجعل من نفسك القدوة والنموذج الأول» .

١٢-٢ لما تم تعيين «جونكون» وكيلا لشئون أسرة «چى» الحاكمة ، قصد من فوره إلى كونفوشيوس ، ليستشيره فى موضوع الإدارة الحكومية ، ويطلب منه النصح ، فأجابه ، قال : «اجعل من نفسك قدوة لمرؤوسيك ، وتغاضى عن طفيف التجاوز وهامش الخطأ ، وارفع الكفء الجدير مرتبة عالية ، واجعله فى أرقى المناصب» . وسأله جونكون : «فكيف لى أن أفرق بين الكفء والدعىّ ؟» فأجابه : «ابدأ بمن تعرف من الرجال ذوى الكفاءة والفضل ، واجعل ذلك تقليدا راسخا يتبعك فيه التابعون» .

١٣-٣ جاء «زيلو» وقال لكونفوشيوس : «إن أمير دولة «ويقو» ينتظر قدومك لتتولى شئون الإدارة الحكومية فى البلاد ، فماذا عساك تتخذ من إجراءات فور تقلدك زمام الأمور ؟ فأجابه ، قال :

«سأبدأ قبل كل شئ بإصلاح نظام «الفئات الاسمية»(٧٢) ليعود إلى مساره الصحيح ، فاستغرب «ريلو» قائلا : «وما الذى يدفعك إلى مثل هذا الإجراء التقليدى ؟ وماالذى يفيدك من قوالب متزمتة (عفا عليها الزمن) ؟ فأجابه المعلم : «ماأنضب قريحتك ! أما علمت أنه لاينبغى للعاقل أن يدلى برأيه فى مسألة لايفقه أصولها ؛ فإن زلة لسان ، يمكنها أن تعصف بمنطق بيان ، والمنطق إن لم يستوف أركانه ، بطلت قاعدته ، وإن بطلت القواعد فسدت الصنائع ، فإذا فسدت الصنائع ، انهدم ركن الشعائر وأساس المعاملات والقيم والفنون ، فإذا ما انهار ذلك الصرح العتيد ، اختل ميزان الثواب والعقاب ، وطاشت مقارع القوانين ، فإذا حُقِّرت رهبة الردع فى النفوس ، اختلت الأمور ، وفقد الناس رشدهم ، واختلطت عليهم المسالك ، فلذلك كان لزاما على الماجد الأشرف أن يحرص فى قوله وأفعاله على أصول المعاملات والتراتب الاجتماعى ولاينطق إلا عن ميثاق حق وبيان لا لبس فيه ولا غموض ، ولا يتحدث ارتجالا بمزاج الصدفة والهوى ، فحينئذ ، تنفذ الأقوال سديدة محكمة إلى حيز الواقع المعقول !» .

١٣-٤ قصد «فانش» إلى كونفوشيوس ، وسأله عن كيفية الزرع والرى والحصاد ؟ فأجابه ، قال : «لاينبئك فى هذا مثل خبير ؛ فأنا لست بزارع ولا حاصد» . ثم سأله «فانش» عن كيفية تنسيق حدائق الفاكهة والخضروات . فأجابه ، قال : «فهذه

كتلك ، لاعلم لى بها» . فخرج فانش وذهب إلى حال سبيله ، فقال كونفوشيوس : «ياله من جهول أحمق! أما علم أن الناس تسلك درب ملوكها ؟ فمن يجرؤ على انتهاك شرائع قدستها الأباطرة ؟ ومن يجرؤ من الناس على إزاغة طريق استقامت على يد الحكام ، وكيف يجرؤ الناس على الكذب وقد صدقت أفواه أمرائهم ؟! فهى أمور لو تأملها أصحاب الجلالة لسعت إليهم أفواج الخلائق تذعن بالخضوع والتفانى ، فليت شعرى ، ماسر اهتمام صاحبنا بالزرع والمحاصيل والغلال؟!» .

١٣-٥ قال كونفوشيوس : «عجبت ممن قرأ «كتاب القصائد» كله بمحتواه البالغ ثلاثمائة قصيدة ، ثم يفشل فى أداء مهام مسئوليته الوظيفية الرسمية ! وعجبت أكثر ، ممن حفظ القصائد عن ظهر قلب ، ثم إذا به يعجز عن التصرف بمرونة ولباقة فى بعثة (دبلوماسية) خارج الوطن ، فكم هناك من قراءات ضائعة ، قراءات ، برغم كثرتها العددية ، فهى لاتغنى فتيلا!» .

١٣-٦ قال كونفوشيوس : «إذا التزم الأباطرة حدود الحق والعدل ، انقادت الشعوب راضية طائعة ، واستتب الأمن ولو بغير قانون ، أما إذا جارت وزاغت عن جادة الصواب ، انقلبت العامة ناكصة عن الطاعة وشقت لواء العصيان ، واستقبلت نداء الواجب والقانون بوجوه معرضة وآذان مقطوعة (لاتسمع ولاتصغى!)» .

١٣-٧ قال كونفوشيوس : «إن نظم الحكم فى دولتى «الوكو» و «ويقو» تتشابه لدرجة التماثل التمام ، فإذا البلدان كشقيقين

توأمين أو فرسى رهان». (٧٣)

١٣-٨ تحدث كونفوشيوس عن الأمير «جينغ» (٧٤) أمير دولة «ديفو» ، فقال : «أكرم به من قانع عاقل ؛ فهو والناس تدرى من هو - يتبسط فى مسكنه وفرشه للغاية ، إذ لما ابتنوا له منزلا صغيرا ، قنع به ، وقال لمن حوله : «هذا هو ماأريده ، لاأكثر ولا أقل» . فلما فسّحوا فيه قليلا ، قال : «هذا يكفى تماما ، لاتزيدوا عن ذلك» . فلما رفعوا سقفه عاليا بعض الشئ أشار إلى البنائين ، قائلا : «حسبكم ! لاتزيدوا فى الارتفاع .. فما أحقرها من غواية للنفس ومجلبة للدعة والترف!» .

١٣-٩ ذهب كونفوشيوس فى زيارة إلى دولة «ويقو» ، فاستقبله «رانيو» مرحبا به وأخذ بلجام فرسه ، فقال له المعلم : «مالى أرى الناس فى بلادكم كثرة ، لاتحصى أعدادهم؟!» فأجابه رانيو ، قال : «أعداد الناس هنا متزايدة فعلا ، فماذا ترانا فاعلون (حيال ذلك!)؟» فقال له كونفوشيوس : «أوسعوا لهم فى العيش والرفاهية» . فعاد يسأله : «فماذا نصنع لهم بعد سعة العيش وترف الحياة؟» فرد عليه ، قائلا : «فقهوهم فى العلوم والآداب!» .

١٣-١٠ قال كونفوشيوس : «لو مُنحتُ وظيفة رسمية ، لعددتها مسئولية عظيمة . ولما انقضى عام واحد حتى شهد الناس بكفاءة أدائى ، ولما كنت أحتاج لأكثر من ثلاث سنوات ، حتى أبذل من الجد ، والإنجاز ، ماتشهد الكافة بتميزه وعظيم أهميته» .

١٣-١١ قال كونفوشيوس : «لقد قيل أنه لو تقلد صولجان الحكم

امبراطور صالح لمدة قرن واحد من الزمان ، لاستطاع أن يقضى على كل ألوان الفظائع والشرور وإهدار الدماء ، وأقول : نعم ، هذا صحيح تماما» .

١٣-١٢ قال كونفوشيوس: «حتى لو اعتلى منصة الحكم قديس طاهر ، حكيم زمان ، فأقل مايحتاجه ، ثلاثون عاما ، ليضع أساس دولة للخير والصلاح» .

١٣-١٣ قال كونفوشيوس : «لاتوجد صعوبة فى فرض النظام وإقامة الأحكام ، مادام الأباطرة أنفسهم ينهجون بالرشاد والاستقامة ، فإذا تأودت بهم السبل أو مالت منهم الموازين ، فأنى لهم بفرض معايير ومبادئ ، هم أنفسهم أول من ينتهك أصولها؟!» .

١٣-١٤ عاد «رانيو» من عمله فى ساعة متأخرة ، فسأله كونفوشيوس عن سبب تأخيره ، فأجابه : «تعطلت بسبب الانشغال بالشئون الحكومية» . فاستدركه المعلم ، قائلا : «بل قل ، شئون العمل التقليدية أو المعتادة ، فذلك هو التعبير الصحيح منطقيا ، أما «الشئون الحكومية» فهى تعنى مايشار إليه عادة من السياسات الرسمية العامة ، مبادئها ، أصولها ، صياغاتها النظرية العامة ، والتى يتم إبلاغى بها من حين لآخر ، برغم أنى أصبحت خارج دائرة المسئولية المباشرة بالتوظف الرسمى» .

١٣-١٥ جاء الأمير «دينغ» من دولة «لوكو» إلى كونفوشيوس ، وسأله : «أصحيح مايقال من أن كلمة واحدة يمكن أن تزدهر بها عروش ممالك وتسمو بها بلدان ؟» فأجابه المعلم ، قال :

«ماهكذا يقول العاقل ، فما أظن كلمة ، مهما بلغت ، تبلغ هذا التأثير ، لكنه قيل قديما أن : «ليس الأمير كالوزير» . . ذلك أن مسئولية الأمير أفدح وأعباءه أخطر ، فلو انصرف التأكيد هنا إلى إدراك الأمير لخطورة وكثرة أعبائه والتزاماته بالقدر الذى يثير حافز الجد والحذر ، فتلك أقرب فى دلالة من قال بأن كلمة قد تبنى أوطانا ، ثم إن الأمير «دينغ» سأله ثانية : «أصحيح أيضا مايشاع من أن كلمة قد تهدم أمة؟!» فأجابه كونفوشيوس ، قال : «هيهات أن تكون لكلمة مثل هذا القدر من الجسامة ، إلا أن واحدا قال ذات مرة : «كنت أميرا مهيبا مسموعا فى قومى ، فما وجدت سعادة تعدل ماكنت أجده من إنصات الناس لى دوما بغير اعتراض أو مقاطعة» . ولاغبار على القائل إن كان سديد البيان واضح العزم ، فيكتفى بقوله ، أما إن كان السكوت عن كلماته ، خشية انتقاد أو مخافة مصير الاجتراء على اعتراضه ، فتلك هى الكلمة التى خرّبت أمة» .

١٣-١٦ قصد الأمير «أيكون» إلى كونفوشيوس ، وسأله عن فلسفة الحكم ، فقال له : «الحكمة فى هذا الأمر أن تدخل البهجة إلى قلوب رعاياك ، وتملأ بالإعجاب عيون الغرباء فيقصدون بلادك من شتى الأنحاء» .

١٣-١٧ لما صار «ريشيا» حاكما عاما لإقليم «جوفو» ، ذهب إلى كونفوشيوس يسأله أن يعلمه شيئا من فنون الحكم وفلسفة الإدارة ، فقال له : «اقصد فى أمورك ، فلا تكن عجولا متلهفا ، وأفسح لرؤيتك أوسع مجال ، فلا تسعين وراء جشع خائب

، فالاستعجال يقصر بك عن أهدافك المأمولة ، والجشع المتهالك يضيع اسمك وإنجازاتك وتاريخ مجدك الباهر» .

١٣-١٨ ذهب الأمير «أيكون» إلى كونفوشيوس ، وقال له : «فى بلدتنا رجل فاضل صريح الخلق ، شجاع الرأى ، يواجه القبيح عينا بعين ، ويمسك السارق من تلابيبه ، ويقوده إلى المخفر ، حتى لو كان أبوه هو السارق» . فرد عليه كونفوشيوس ، بقوله : «لكن الرجل الفاضل الصريح الخلق ، الشجاع الرأى فى بلدتنا ، ليس مثل رجلكم وأبيه ، فعندنا ، يتجاوز الرجل عن فعلة أبيه ويغض الوالد بصره عن قبح ولده ، فذلك أيضا جانب من الآداب الحسنة ، والخلق الكريم» . (٧٥)

١٣-١٩ جاء «فانش» إلى كونفوشيوس ، وسأله عن أحسن الخلق ، ماهو ؟ فأجابه : «البر بالوالدين ، وإتقان العمل ، والاخلاص للصديق . وإنها خصال ثلاث لايختلف عليها امرؤ فى مشارق الأرض ومغاربها» .

١٣-٢٠ ذهب «تسيكون» إلى كونفوشيوس ، وسأله : «قل لى ياسيدى ، كيف يكون الرجل المهذب الذى يستحق بجدارة ، لقب : «النابغ الفطن» ، فأجابه : «هو الرجل الذى إذا ندت عنه زلة ، أدمت قلبه خجلاً ، وإذا أؤتمن ، حفظ الأمانة ، ثم إنه لايخيب أبدا رجاء أهله ومعلميه» . وعاد تسيكون يسأله : «فمن يليه فى المرتبة الثانية؟» فأجابه : «الذى يليه هو الرجل الذى يشهد له أهله والجميع (القاصى والدانى) ببره ووفائه لإخوانه» . ثم سأله السائل : «فمن الأدنى مرتبة من ذلك؟»

فقال : «هو الذى لايكذب فى حديثه ولا يتردد فى أمره ، وهو الأدنى درجة لأنه يؤدى مـا وكل إليه بأمانة (فلا يفـرق بين خير الأمور وشرها ، حسنهـا وقبيحها!) ، وهو على حـسمه وثبات جنانه ، أقل النابغين منزلة» . وأخيـرا ، سأله تسيكون : «فما رأيك فى أباطرة وأمراء زمـاننا؟» فأجابه : «مهـلا ، فإنما هؤلاء حواصل متخمة ، وصدور ضيقة ، لايقع فيها العلم إلا لفظته ، فهم دائما خارج القسمة : زبد ماء ، وغثاء سيل» .

١٣-٢١ قال كونفوشـيوس : «اغتنم فرصة التعرف إلى صـديق معتدل الرأى والمزاج والحـياة : لاهو بالمتطرف المتـهـور ولا بالجـامـد المتـزمت ، فإن لم تجـده فسـارع إلى مـعرفـة اثنين : المتفـائل الطموح ، والطيب نقى الـقلب ، فالمتفائـل يشدك معه صـاعدا نحو الأمل ، والطيب لايؤذيك أبدا ماحييت» .

١٣-٢٢ قال كونفوشيوس : «هناك حكمة يتناقلها الجنوبيون مفادها أن : «من لم يكن دواؤه الصبر والمثابرة ، أعـجزه أحقر الداء!» ، وهى حكمـة سـديدة ، وقـد وردت عـبـارة فى كـتـاب «التغـيرات»(٧٦) تقول : «لامـفر لمن يحـمل فى صدره قلـبين وثلاث إرادات متنازعة ، (كناية عن التردد!) .

١٣-٢٣ قال كونفوشيوس : «الذكى العاقل من سعى إلى فهم الآخرين ، بالمشاركـة الفكرية الواعية ، دون انقـياد أعمى ، أمـا الجاهل فإنه ينساق مع السائد فى تبعية ببغائية ساذجة ، بينما يطوى قلبه وعقله بعيدا عن حميمية المشاركة الصادقة» .

١٣-٢٤ ذهب «تسيكون» إلى كونفوشيوس وسأله : «مارأيك فى رجل

يحبه كل أهل بلدته؟» فأجابه المعلم : «كـلا هذا محال!» فسأله ثانية : «فـما رأيك فى رجل يكرهه كل أهل بلدته؟» فـأجابه : «وهذا أيضا محال! فلا يكون الرجل صالحـا حقا حتى يحبه كل الأخيار بينما يكرهه كل الفجار فى بلده» .

١٣-٢٥ قال كونفوشيوس : «إن تجربة العمل مع الرجل الفاضل العاقل سهلة دائما ، لكنك لاتستطيع إرضاءه بسهولة ؛ ذلك أن وسائل التقرب المعهودة والمجاملات (الملتوية!) لاتنطلى عليه ، فهو جاد وذكى ويعرف كيف يختار رجاله بحسب الكفاءة والمهارة المناسبة ، وعلى العكس من ذلك ، فإن العمل عند الجاهل ليس سهلا أبدا ، لكن أبسط وسائل المداراة والنفاق الرخـيص تسعده للغاية ، وتسـتحـوذ على عقله ، ولأنـه مدّع غـبى ، فإنه يبـالغ فى شروط تعيين المتقدمـين لديه ، ويميل إلى التدقيق والتهويل فى أتفه الأمور» .

١٣-٢٦ قال كونفوشيوس : «المهذب العاقل دائما مايكون ثابت الجنان ، معـتدل الطبع بغـير تكلف ولا أنفـة ، أما المتـهور الماجن ، فغالبا ماتجده متكبرا صلفاً ، غليظ النفس والطبع» .

١٣-٢٧ قال كونفوشيوس : «أربع خصال من كنّ فيه ، أنبتت فى قلبه أعرق الفضائل وهى : العزم ، والحسم ، التواضع ، الحذر عند الكلام» .

١٣-٢٨ جاء زيلو إلى كونفوشيـوس وسأله : «ماوسيلة المرء لكى يبلغ حد الكمـال وحميد الخصـال؟» فأجابه بقوله : «أن يجـيد لين القول وخشنه ، فلربما نصيحة موجـعة استقام بها حال الصديق ، ولعلها كلمة طيبة تشد إليه مودة الأخ الشقيق!» .

١٣-٢٩ قال كونفوشيوس : «سبع سنوات من التدريب العسكرى الجيد ، يمكن أن تؤهل الفرد العادى لخوض معركة قتالية ناجحة» .

١٣-٣٠ قال كونفوشيوس : «أن ترسل أفراداً غير مدربين عسكرياً إلى ميدان قتال ، لايعنى إلا أنك تشيعهم إلى قبورهم» .


محمد خطاب

الباب الرابع عشر

«شيانون»

وجملته أربعة وأربعون فصلا

١٤-١ جاء «يوانشيان» (٧٧) إلى كونفوشيوس ، وسأله عما يجلب الخزى والعار ، فأجابه : «لئن كان من الطبيعى فى وقت ازدهار الأمة أن يلتحق المرء بوظيفة رسمية وأن يوسع على نفسه فى العيش ، يهنأ بما تدر عليه من دخل ومكانة طيبة ، فإنه من غير الطبيعى ، بل من المخزى أن يظل المرء متمتعاً بنفس الوظيفة والراتب والمكانة فى ساعة المحنة عندما تضيق الحال وتتدهور البلاد» . ثم سأله «يوانشيان» ثانية : «أيمكن أن يُشهد للرجل بالمروءة إذا تجنب البغضاء ، والتكبر ، والأنانية والجشع؟» فأجابه كونفوشيوس : «مثل هذا المسعى يستحق التقدير على كل حال!» .

١٤-٢ قال كونفوشيوس : «لايليق بالمثقف الحقيقى (طالب المعرفة .. أيضا!) أن ينعم برغد العيش ولا أن يلتذ بحياة سهلة مترفة!» .

١٤-٣ قال كونفوشيوس : «ليس على المرء حرج فى ظل دولة رشيدة طامحة أن يتحرّى الحقيقة والصراحة فى الرأى والشجاعة فى

السلوك ، أما فى دولة الظلام والفساد ، فلئن كـانت الاستقامة مسلكًا فاضلاً إلا أن كلمة الحق ينبغى لها أن تتلمس الطريق فى حذر بالغ» .

١٤-٤ قال كونفوشيوس : «من الجائز أن يقول الرجل المهذب حكمة بالغة أو حقـيقة دامغة ، لكن ليـس لزاما أن يكون كل من قال حكمة أو حـقيـقة رجلا مـهذبا ، ولئن كان المخـلص الشريف يتـصف بالجرأة والشـجاعـة ، فليس كل جرئ ، بالضـرورة ، مخلصا شريفا» .

١٤-٥ جاء «نانكون» - أحد الدارسين - إلى كونفـوشيوس ، وقال له : «كان الملك «يوانغ» (٧٨) بارعا فى الرمـاية ، وكان الحاكم «ياو» (٧٩) مقـاتلا بحريا من الطراز الأول ، ومع ذلك ، فـقد مات كلاهمـا ميتة بشعة ، أمـا الأمبراطور «يو» (٨٠) والسلطان «جى» (٨١) اللذان بدءا حياتهما مزارعين متواضعين ، فقد بلغا صولجان الحكم وعرش الأباطرة ! فكيف تفسر لنا تلك الأحجية التاريخيـة الغريبة؟» ثم إن كونفوشـيوس سكت ولم يرد بشئ ، فلمـا قام السـائل وخرج ، تحـدث عنه المعلم بإعـجاب شـديد ممتدحًا أخلاقه واتجاهه المنادى بالمنافسة الشريفة (كوسيلة مشروعة للوصول إلى كرسى الحكم بدلاً من الانقلابات الدموية!) .

١٤-٦ قال كونفوشيوس : «ربما أتوقع أن أجد بين المهذبين بعضاً ممن قست قلوبهم ، لكنى لا أتوقع أبداً أن أجد بين الحمقى الجهلاء واحداً مهذب الخلق» .

١٤-٧ قـال كـونفـوشـيـوس: «كـيف يمـكنك أن تزعم إخـلاصك

لشخص ، دون أن تبـذل له النصيحة ، وكـيف تقدر أن تدّعى الحب لإنسان دون أن تحثه على الكد والاجتهاد والعمل» .

١٤-٨ قال كونفوشيوس : «كانت صياغة اللوائح والقوانين فى مملكة «تشنغ» مسألة تجرى فى غاية الدقة والضبط ؛ فقد كان بيشن(*) هو الذى يتولى الصيـاغة الأولى للقواعد القانونيـة المبدئية ، ثم يتسلمهـا «شيشو»(*) فيتـفحصها ويبـدى ملاحظاته المحددة ثم يناولها إلى «رايو»(*) الذى يقوم بتنـقيح الصيـاغة وضبط المتن بنصوصه وهوامشــه ، وأخيرا ، يأتى «ريشان»(*) فيحرر ويوثق النسخة المعدة للاعتماد الرسمى كنسخة نهائية ومضبوطة وصالحة للعـمل العـام . وقد كـان من النادر ، فى ظل هذا الإشـراف الرباعى المشترك ، أن تشوب تلك النسخة أية أخطاء» .

١٤-٩ جاء رجل إلى كـونفوشيـوس ، وسأله عن أخـلاق «ريشان» فأجابه : «هو جواد شريف الأخلاق» . ثم سأله عن «زيشى» ، فأشاح كونفوشيوس بوجـهه بما معناه أنه دنئ لايستحق الذكر ، ثم سـأله عن كـوانجون - المتـحـدث الرسمى لدولة تشـيقـو - فأجابـه : «لقد كان شديد البـأس ؛ فقد استـولى على ثلاثمائة منزل من إقطاعـية تخص أســرة «بوش» ، مما نتج عنه تخـريب هائل فى مستوى المعـيشة فى الإقطاعية ، إلا أن شيخ الأسرة ، تكتّم الأمر بلباقة ولم يناله بسوء حتى توفى» .

١٤-١٠ قال كونفوشيوس : «من السهل على الغنى الميسور أن يعرض

(*) بيشن ، شيشو ، رايو ، يشان : كلهم وزراء بمملكة « تشغ » .

عن الخيلاء والزهو والمباهاة بمظاهر الثروة والترف ، لكن من الصعب جداً على الفقير ألا يئن بالشكوى تحت وطأة الحرمان والفاقة» .

١٤-١١ قال كونفوشيوس : «لعلى لا أتجاوز إذا قلت إن رجلا مثل «منكونشو» - مسئول كبير بمملكة «لوكو» - يصلح لمنصب المستشار الخاص لإمارتى «جاو» و «وى» فى دولة «جينكو» ، لكنى أتجاوز كثيرا ، بل أبالغ بما يفوق طاقة المعقول إذا قدرت أنه يصلح للعمل وزيرا لأى من الإمارات الصغيرة مثل : «تانغ» أو «شيوى» .

١٤-١٢ جاء «زيلو» إلى كونفوشيوس وسأله ، كيف يحوز الرجل تمام الأخلاق ؟ فأجابه : «يحوز المرء عظيم الصفات وأتم السجايا ، إذا اجتمعت له حكمة «زانوشون» (٨٢) مسئول كبير بمملكة «لوكو» - وورع «منكونشو» وشجاعة «بيانشوانزى» ، وذكاء «رانيو» فإذا تم له ذلك ، اتخذ من الموسيقى والفنون والآداب الراقية وسيلة لتهذيب النفس ، وترقية الحس» . ثم إنه صمت قليلا وعاد يقول : «إلا أن هذه الصفات لاتعد شرطا لازما فى كل زمان ، فيمكن أن يعد الرجل مهذبا فاضلا فى أواننا هذا ، إذا استطاع أن يقاوم غواية الفحش والجشع والفساد ، كما أن المعيار الأساسى للإنسان الكريم الحر ، يبقى دائماً فى استعداده للتضحية بنفسه لأجل المبدأ وفى وفائه لأمل الحياة مهما كان شظف العيش» .

١٤-١٣ ذهب كونفوشيوس إلى «كونمين جيا» - أحد الدارسين -

وسأله عن «كوانشونز» - مسئول كبير بدولة تشيقو - قائلا : «أصحيح أن سيدك لم يكن يتكلم أو يضحك أو يخالط أحداً من الناس؟» فأجابه الرجل بقوله : «كلا .. هذا افتراء عليه ، وقد كذب من أبلغك بهذا؛ فقد لزمت سيدى «كونمين» دهراً ، فما وجدته يتكلم إلا لضرورة ، لئلا يتزيد ، ولايضحك إلا لسبب يوجب الضحك ، لئلا يبتذل ويذمم ، ولم يكن يأخذ شيئا من أحد إلا بحقه ، ولايعطى شيئا إلا لمن يستحقه» . ثم إن كونفوشيوس تطلع إليه ، قائلا : «ما دريت أن الأمر هكذا!» .

١٤-١٤ قال كونفوشيوس : «كان «زانوجون» - وزير بدولة «لوكو» - قد تحايل على الأعراف والتقاليد ودفع أحد الأمراء بدولة «لوكو» لأجل إصدار مرسوم يقضى بتولى أولاده مناصب رسمية عظمى فى المملكة ، وقد أشيع أن هذا التصرف لايعد استغلالا للنفوذ ، فهل هذا معقول؟!» .

١٥-١٤ قال كونفوشيوس : «كان الأمير «أونكون» بدولة «جينكو» سقيم الضمير ، ولم يكن على خلق مستقيم بأى حال ، أما الأمير «هوانكون» ، الذى بإمارة «تشيقو» فهو كريم النفس ، سليم الطوية ، غير خبيث ولامخادع» .(٨٣)

١٦-١٤ جاء «زيلو» إلى كونفوشيوس ، وقال له : «لما قتل الأمير «هوانكون» أخاه الأكبر «ريشو» ، تأثر واحد من أتباعه فقتل نفسه ومات منتحرا ، أما ذلك المدعو «كوانشون» ، وبرغم كونه الخادم المخلص . لـ «ريشو» ، فلم يكترث لما حدث ، ولم يتأثر

لفقد سيده ، بل سرعان ما هرول ، نحو الأمير «هوانكو» وصار من خدامه ، فياله من متبلد ، غشوم ، غليظ القلب ، أيكون هذا الرجل إنساناً مثل الآدميين حقا؟!» فأجابه المعلم بقوله : «أما تذكر أن الأمير «هوانكو» ، كثيرا ماجمع الأمراء والقادة وألف بينهم حقنا للدماء ؟ لقد فعل ذلك بفضل مجهود «كوانشون» نفسه ، الذى لولاه ، لدبت الحروب ونشبت الصراعات ، فكيف نغمطه حقه ؟ إنه هو الإنسان بكل معنى الكلمة» .

١٤-١٧ جاء «تسيكون» إلى كونفوشيوس ، وقال له : «أيمكن أن يقال بأن «كوانشون» إنسان ذو ضمير حى ؟ لقد رأى سيده يقتل أمام عينيه ، فلا هو دافع عنه ، ولاهو قتل نفسه وفاء لسيده وصديقه ، بل الأدهى من هذا أنه بذل نفسه لخدمة القاتل وصار طوع يده» . فأجابه كونفوشيوس ، قائلا : «نعم ، هذا صحيح ، لقد أصبح طوع يده وواحدا من أتباعه ، ولكنه مافعل ذلك إلا ليوحد به الصف ويجمع به كلمة الأمراء ، ويوحّد الدويلات والبلدان كلها على قلب رجل واحد، ولولاه ، لما صارت الناس ترفل فى هذا النعيم الذى تراه اليوم ، ولأصبحت كقطعان الماشية ، أو الخراف الضالة تهيم فى بوادى الهمجية والتخلف ، ترسل شعورها على الأكتاف ، وتضم قمصانها إلى اليسار (الزى القومى للأقليات الصينية..قديما!)، هل كان مطلوب منه ، ليصبح إنسانا فى نظرك ، أن يلقى بنفسه فى أخدود جبلى مجهول ، ليدق عنقه ويموت ميتة تعسة مثل

مثل جرذان الجبل ، بغير ضجة أو قيمة أو شرف؟!» .

١٤-١٨ كان السيد «تشوان» فى أول أمره وكيلا لشئون أسرة «كونشوانز» الملكية ، فلما رشحه أميرها الأكبر لمنصب الوزارة ، انتشر الخبر حتى بلغ كونفوشيوس ، فعلق على ذلك ، قائلا : «هو يستحق الترقية ، ويستحق قبل أى شئ أن يمنح لقب «رجل دولة من الطراز الأول» .

١٤-١٩ كان كونفوشيوس شديد الانتقاد لسياسة الأمير «لينغ» فى مملكة «ويقو» ، فكلمه «جيكانزى» فى هذا الأمر ، وسأله : «فمادام الأمير يسلك سبيل الحماقة ، كما ترى ، فكيف إذن بقى عرشه قائما للآن ، ولماذا لم يزل ملكه ، وتتبدد مملكته؟» فأجابه المعلم ، قائلا : «من المستحيل أن تسقط مملكة يقوم على شئونها الخارجية واحد فى مثل عبقرية «جونشيو» ، ويتولى إقامة طقوسها وشعائرها الدينية ، الزاهد الورع «جوتو» ، وليترأس ألويتها المحاربة ، قائد محنك داهية مثل «وانسون جيا» .

١٤-٢٠ قال كونفوشيوس : «من وعد بالمستحيل ، تعذر عليه الوفاء!» .

١٤-٢١ لما تآمر «شن هنز» على قائده الأمير «جانكون» وقتله غدرا وغيلة ، بلغ الأمر كونفوشيوس الذى كان يتعبد ، وقتئذ ، فى محرابه ، فقام وذهب إلى «آيكون» أمير «لوكو» ، فأخبره بما حدث ، وقال له : «أرى أن ترسل حملة عسكرية لتأديب ذلك المارق الغادر!» فأجابه الأمير ووافقه الرأى وطلب إليه الذهاب إلى الوزراء الثلاثة الكبار فيبلغهم - على لسانه وباسمه ،

ضرورة اتخاذ اللازم ، وصار كونفوشيوس وهو خارج من عنده يقول بين نفسه : «لولا سابق عملى وخبرتى كوزير مسئول ، لما قدرت خطورة هذا الوضع» . ثم إنه قصد إلى الوزراء الثلاثة الكبار ، جيسون ، وجون شن ، وفنعون ، لكنهم رفضوا ، ثلاثتهم ، القيام بتلك الحملات التأديبية» . فنظر كونفوشيوس إليهم ، قال : «قد عرفت من رصيد تجربتى الفعلية مدى خطورة الأمر ، فكان لزاما علىّ أن أحضر إليكم وأشعل فتيل الخطر» .

١٤-٢٢ جاء «زيلو» إلى كونفوشيوس ، وسأله : «كيف للمهذب أن يرضى قائده الأمير ، فأجابه : «بأن يبذل له الاخلاص ، فلا يخدعه ، ويبذل له النصح الأمين ، ولو كان كوخز الشوك - فلا يمالئه ولا يتملقه» .

١٤-٢٣ قال كونفوشيوس : «لايعز المرء إلا إذا اشتغل قلبه بمبادئ العدل والإنسانية والمثل العليا ، ولايذل إلا إذا جعل المنفعة والتربح والثراء الفاحش جلّ همّه» .

١٤-٢٥ قال كونفوشيوس : «ماأقبل القدماء على أبواب المعرفة إلا طلبا للحكمة وسعيا لأجل مكارم الأخلاق وإشراق الهداية فى مكامن الوجدان ، أما أهل زماننا فيتخذون مظاهر العلم زينة وزخرف حياة ، تشد إليهم إعجاب الناظرين» .

١٤-٢٦ كان «شوبوى» - مسئول عظيم بمملكة «لوكو» - أرسل رسولا إلى كونفوشيوس يبلغه تحياته ، فاستقبله المعلم بترحاب شديد وأجلسه إلى جواره ، ثم سأله عن سيده ، وماذا يفعل ، فأجابه

المبعوث قائلا : «هو بخير ، ومايزال يراقب أخطاءه ويحصيها على نفسه متمنيا أن يعصم نفسه من الزلل ، فهذا هو حاله فى كل أوان» . ثم إن الرجل قام ومضى ، وكونفوشيوس يرنو إليه بإعجاب ، قائلا : «أكرم به من مبعوث ذكى ، فطن ، فهكذا ينبغى أن تكون أخلاق الرجال نحو سادتهم الأجلاء» .

١٤-٢٧ قال كونفوشيوس : «لاينبغى للعاقل أن يتورط فى شئون حكومية متخصصة ، لايملك مسوغ البت فيها ، ولا مسئولية القيام بأعبائها» .

١٤-٢٨ قال كونفوشيوس : «ليس فى الدنيا خصلة تأباها أخلاق الرجل الفاضل الشريف، مثل أن تكون أقواله أكثر من أفعاله» .

قال كونفوشيوس : «ثلاث خصال كريمة ، فشلت فى أن أتخلق بها ، وهى : سماحة الكريم ، ثقة العارف الخبير ، جرأة الشجاع ذى البأس» . ثم إن «تسيكون» علق على ذلك ، قائلا : «لئن قال أستاذنا ذلك ، فإنما كان على سبيل التواضع ، وكسر أنفة النفس المباهية الجموح» .

١٤-٢٩ اعتاد «تسيكون» أن يسخر من زملائه وأن يلغو بسيرتهم ، فقال له كونفوشيوس : «أراك تسخر من الناس ، وكأنك ولدت بغير عيوب ، أما وأنى لاأجد متعة فى ملاحقة نقائص الناس ، فلست مستعدا لإضاعة وقتى فى هذا العبث الدنئ» .

١٤-٣٠ قال كونفوشيوس: «لاعليك بمن لايقدر كفاءتك حق قدرها ، فالعبرة بما تملكه من مهارة حقيقية ومعرفة واعية» .

١٤-٣١ قال كونفوشيوس : «ليست الفطنة أن تنظر بعين الشك إلى

الآخرين طوال الوقت،ولا أن ترميهم جزافا ، بالغدر والنفاق ، وإنما الفطنة والكياسة فى أن تتحقق من نواياهم الخبيثة - إن وجدت - فى الوقت المناسب (قبل أن يطالك أذاهم!)» .

١٤-٣٢ جاء «ويشن مو» (٨٤) إلى كونفوشيوس ، وقال له : «ماالذى يدعوك إلى التنقل فى أنحاء الأرض هكذا ، لاتقر بمكان ، ولاتهدأ لك حال ، ففيم كل هذا التعب ؟ لعلى بك تبغى أن تمد شهرتك وتتباهى بفصاحتك فى الآفاق!» فأجابه المعلم : «لاهذا ولاذاك ، فما ظننت قط أنى جدير بشهرة أو كفء لفصاحة ، وإنما هو سعى دائم وجهد مقيم ، أملا فى رقى الفكر ، ودرءا لضلالات الجمود والتعصب» .

١٤-٣٤ قال كونفوشيوس : «ليست الخيل بقوة أجسادها أو متانة سيقانها وإنما بطيب عنصرها وأصالة منبتها» .

١٤-٣٥ جاء رجل إلى كونفوشيوس ، وسأله : «مارأيك فيمن يرد على الإساءة بالإحسان؟» فقال المعلم : «فكيف ينبغى إذن أن نرد على الإحسان نفسه (ماالذى يتبقى للرّد على المعاملة الحسنة!!) فاعلم أنه لاراد للإساءة إلا بتمكين من نزاهة العدل (لرد الاعتبار) وشرف الاستقامة ، ولايكون جزاء الإحسان إلا الإحسان نفسه!» .

١٤-٣٦ قال كونفوشيوس : «لم أجد أحدا من الناس يفهمنى!» فسأله تسيكون : «لماذا تقول ذلك ياسيدى؟» فأجابه : «لست أقصد أن ألقى اللوم على أحد ، وإنما أقصد أنى تعمقت فى علوم أهل الأرض (فى دنيا البشر!) وحلقت فى علوم السماء ، فبلغت

جذر الحق وأصل الحقيقة ، فلست أجد طريقا موصولا بالفهم إلا بالسموات العلى» .

١٤-٣٧ كان «كوتبـوليـاو» قد تحدث بما يسيىء إلى «زيلو» فى حضور السيد «جيسون» ، ثم إن الأمـر كله بلغ أسماع «زيفو جينبو» – مسئول عظيم بمملكة «لـوكو» – فذهب إلى كـونفوشـيوس ، وأخبره بذلك ، قائلا : «يبدو أن السيد «جيسون» قد صدق كل مازعمـه له «كونبولياو» ، لكنى أؤكد لـك أنى أستطيع أن أقتل هذا الأخيـر وأمثل بجثـته وأجعلـه عبرة لمن يعـتبر» . فـأجابه كونفوشيوس ، قال : «مهما أبديت من آراء واقتراحات فى هذا الموضوع ، فـسيكون للقـدر اليد الطولى دائمـا ، فلست أملك مقالة تفيده أو تضرّه بشئ إلا إذا كـان القدر سابقا من قبل ومن بعد ، فأين يفر المرء مما هو مقدّر وكائن!» .

١٤-٣٨ قال كونفوشيوس : «هناك البعض من أهل المروءة والفضل ، من الدرجة العـالية الشريفة ، يعـتكفون فى بيوتهم ، يعـتزلون الدنيا كلهـا ، اتقاء لشر النـاس . وهناك من هم أدنى درجة : الذين يهاجرون إلى ديار فى جوار الخـير والصلاح . أما الأدنى درجة ، فهـم أولئك الذين يضربون صفحـا عن النظر فى وجه الناس ، ويليهم الأقل منهم ؛ أولئك الذين يعرضون عن سماع المسبّـة الفاحـشة وبذئ القول» . ثم إن كـونفوشـيوس زاد على ذلك بقوله : «. . . ولقـد عرفت (٨٥) سبعـة رجال فقط على هذه الشاكلة» .

١٤-٣٩ كان «زيلو» قد بات ليلة عند البوابة الحجـرية الضخمة ، فلما

أصبح اليوم التالى ، قام وقصد الدخول إلى المدينة ، فأوقفه رجال الحرس ، وسألوه عن مبتدأ سفره وخاتمته ، فقال بأنه جاء من البلد الذى يقطن به كونفوشيوس ، فقال له الحارس : «أأنت من عند ذلك الرجل الذى ينطح رأس أفكاره . . . بجلمود الصمت وصخر المستحيل؟!» .

١٤-٤٠ لما كان كونفوشيوس مقيما بمملكة «ويقو» ، فقد ذهب ذات يوم لأداء الشعائر وإنشاد التراتيل فى أحد المعابد ، وتصادف أن مر به رجل يحمل سلالا خشبية ، فرآه وهو يرتل ، فتوقف وأخذ ينصت ، ثم إن الرجل قال لكونفوشيوس : «أنت تنشد وكأنك تفكر بعمق ، ويبدو أن ماتفكر فيه لايستحق هذا التأمل ، لكأنى بك تتألم فى صمت ، تشكو عزلة أفكارك لنفسك ، فلو كنت مكانك ، لاخترت اعتزالا عاقلا شريفا ، فأنت كسابح فى بحر ، يصانع إذا عصف التيار ، ويسابق والريح مواتية» . فلما انتهى من قوله ، التفت نحوه كونفوشيوس ، وقال : «هاهو ذا رجل حنكته أيام عمره ، فكيف لى بمجادلته؟!» .

١٤-٤١ جاء زيجانغ إلى كونفوشيوس ، وسأله ، قال : «ورد فى كتاب «التاريخ» مانصه : «إن الأمير «كوزون» أقام فى الحداد على سلفه مدة ثلاث سنوات ، بقى أثناءها ساكنا بقصر «شون لو» ، فلم يقرب ديوان المملكة ، ولم ينظر فى شئون الحكم ، حتى انقضت تلك المدة» . فهل هذا صحيح؟» وأجابه المعلم قائلا : «لم يكن «كوزون» وحده يتبع هذا التقليد ، وإنما كان

القدماء كلهم كذلك ؛ إذا مات بينهم الحاكم ، وانتقل الصولجان إلى خلفه ، أقاموا فى الحداد ثلاث سنوات ، تحت إمرة رئيس وزرائهم ، بينما يظل الملك الجديد - احتراما لذكرى سلفه - بعيدا عن مباشرة مهام الحكم الرسمية» .

١٤-٤٢ قال كونفوشيوس : «يصير الشعب أسلس قياداً ، وأخلص طاعة ، مادام أولى الأمر يراعون الحقوق ، ويصونون القواعد الرسمية المقررة» .

١٤-٤٣ ذهب «زيلو» إلى كونفوشيوس ، وسأله : «كيف يكون الحاكم مهيبا عادلا؟» فأجابه : «بعظيم فضائله ، وجليل أعماله» . ثم إن «زيلو» سأله ثانية : «أفى ذلك كفاية؟!» فقال له : «من عظمت فضائله وجلت أعماله ، استضاءت أركان مملكته بالعدل والسلام» . فسأله السائل : «أفى ذلك الكفاية؟» فأجابه المعلم : «أليس تحقيق الأمن والسلام هو غاية المنى ؟ أما تعلم بأن الأباطرة العظام أمثال : «ياو» و «شون» (بكل مثاليتهما!) لم يبلغا هذه الدرجة» .

١٤-٤٤ دخل كونفوشيوس أحد القاعات ، فوجد «يوان ران» (٨٦) - أحد شيعته -جالساً بغير تأدب؛ واضعاً ساقاً على ساق! فنهره ، قال : «ياجرأتك ، أما آن لك أن تتبصر وترعوى؟! قد كنت فى صباك غراً ، لاتراعى حق الكبير ولاتلن قناتك للصغير ، وأراك هرمت دون أن تعى من أصول المعاملات شيئاً ، فلا أنت حى تفقه مبادئ استقرت من الأزل ، ولا أنت ميّت لتدرك قدرا محتما فتريح وتستريح إلى الأبد» .

١٤-٤٥ قدم على كونفوشيوس فتى من إحدى القرى المجاورة ، يرجو لقاءه بصفته مبعوثا يحمل خطابا رسميا ، فلما انتهت المقابلة ، وغادر الفتى عـائدا ، جاء واحد إلى كونفوشـيوس ، وسأله : «مارأيك فى ذلك الفتى ، أتراه ذكـياً ، طموحاً ذا مستـقبل يعد بالمجد؟» فأجابه المعلم : «قد رأيتـه يجلس إلى الأريكة الرسمية العالية ، ويزورّ عن الكـرسى الخشبى البسيط ، ثم لمحـته يتودد كثـيراً إلى أصـحاب النفـوذ والسطوة ، فهـو إذن ، وبالقطع ، لايطمح إلى المجد والتـفوق ، لكنه يسعى - وبأقـصر الطرق - إلى بريق النفوذ ، مفتوناً بمظاهر السبق والسطوة والسيطرة» .

الباب الخامس عشر

« ويلينغ »

وجملته اثنان وأربعون فصلا

١٥-١ ذهب الأمير « لينكون » أمير دولة « ويقو » إلى كونفوشيوس ، وسأله عن أمور تتعلّق بالخطط القتالية والتجهيزات العسكرية . فأجابه المعلم ، قال : « أستطيع أن أبحث معك أى مسألة تختص بقواعد الأخلاق وأصول المعاملات ، فذلك هو الموضوع الذى أفقهه وأدرّسه ، أما الحرب وشئونها ، فذلك ما لا قبل لى به » . ثم إن كونفوشيوس قام فى اليوم التالى ورحل عن المملكة . »

١٥-٢ بينما كان كونفوشيوس فى إحدى جولاته البعيدة مع مريديه ، فى أنحاء الممالك المختلفة ، نفدت منه أجولة القمح ، وأشرف على المجاعة والهلاك - وذلك عند حدود مملكة « تشنكو » - وتساقط تلاميذه بين مريض ومحتضر . وحدث أن تقابل مع « زيلو » فشكا إليه ، هذا الأخير ، سوء الحال ، سأله : « قل لى ياسيدى ، أترى الماجد الشريف يجرب فى حياته مثل هذا الضنك وقلة الحيلة ؟ » فأجابه المعلم : « نعم ، لكن الماجد الشريف يثابر ويصبر فى وقت المحنة ، أما الدنىء فيقترف الآثام والمفاسد ، وينكص على عقبيه (متراجعا عن مبادىء الأخلاق) باسم الضائقة شديدة الوطء ، متعللاً بالظروف بالغة القسوة » .

١٥-٣ كان كونفوشيوس يتحاور ذات مرة مع « تسيكون » ، فقال له : « أوتظن أنى أعتمد على ذاكرتى للأحداث أو مذكراتى وحفظى لقواعد العلوم ؟ » فاستغرب « تسيكون » ونظر إليه دهشاً ، مستنكراً ، فراح كونفوشيوس يفسر له الأمر ، بقوله : «المسالة عندى لاذكراة ولا مذاكرة ، وإنما فقط فكرة أساسية ، ومبدأ أصيل ثابت ، أقيم عليه تصوراتى وأنظم به شتات الأفكار» .

١٥-٤ تحدث كونفوشيوس إلى أحد أتباعه ، قال : « ماأقل الناس الطيبين فى هذه الدنيا ، ياجونيو » .

١٥-٥ قال كونفوشيوس : « لم نعرف ، فيما نعهد - حاكما استتب له الأمر ، ورضخت له الممالك طائعة راضية ، إلا الامبراطور « شون » هو وحده الذى كان يستطيع أن يجلس إلى عرش امبراطورية عظمى ، وهو هادىء البال ، مطمئن النفس ، تاركا للمقادير أعنتها » .

١٥-٦ جاء زيجانغ إلى كونفوشيوس ، وسأله : « كيف للمرء أن يصير مسموع الكلمة ، نافذ الرأى ، فأجابه ، قال : « يصير المرء كذلك بأن يخلص فى القول والعمل ، فهى مفتاح الصدق فى كل مكان وزمان ، مهما تناءت الاصقاع أو قدمت العهود ، وإياك والغش أو التهور الأخرق ، فإنها تسد عليك أبواب بيتك ، وتُذهِب عنك الجار والصديق ، فاحفظ تلك الكلمات (واحفرها) فى قلبك ، فى عقلك ، فى مخيلتك وأمام ناظريك طوال الوقت : « مخلصا صادقا ، يستقيم مسعاك ويفوز رجاؤك » . ثم إن زيجانغ أخذ يكتب هذه الكلمات على قميصه (فى الأصل : على حزامه !) ليقع عليها بصره فى كل حين » .

١٥-٧ قال كونفوشيوس : « ماأعظم استقامة « شيو » (مسئول ومؤرخ بمملكة « ويقو ») ؛ فقد ظل ثابتاً على مبادئه ، مستقيماً ، نزيه اليد والذمة ، إبان ازدهار المملكة وانتكاستها ، وماأنبل الكريم الأمثل « تشيبوى » ؛ فقد كان فارساً وشهماً وكريماً سواء وهو يؤدى عمله باقتدار أيام مجد الامبراطورية ، أو وهو يعتزل ويتوارى بلباقة ، عندما دالت دولة الجاه وعمت الفوضى فى كل مكان » .

١٥-٨ قال كونفوشيوس : « أن تدع الحديث مع عاقل متفتح الذهن ، فتلك هى الفرصة الضائعة ، أما أن تطول حواراتك مع سفيه ، سقيم الفكر ، فتلك هى الأوقات الضائعة . والعاقل لايضيع الفرص ولا الأوقات » .

١٥-٩ قال كونفوشيوس : « إن النبيل ، صاحب المبادىء والمثل لايضحى بالفضائل حرصاً على حياته ، وإنما يضحى بحياته نفسها لأجل الخير والفضيلة . »

١٥-١٠ ذهب تسيكون إلى كونفوشيوس ، وسأله عن كيفية تحقيق المبادىء الفاضلة ، فأجابه : « تأمل الصانع وهو يشحذ عدته ويجهز أدواته ، قبل أن يشرع فى عملية إنتاج معقدة وطويلة لكنها ناجحة ، واتخذ لك أصدقاء من أكرم الناس وأفاضلهم ، إذا استقربك المقام فى أرض بعيدة (تجد ماأردت !) » .

١٥-١١ جاء « يان يوان » إلى كونفوشيوس ، وسأله عن أفضل كيفية لحكم البلاد ، فأجابه ، قال : « إذا أردت أن توطد أركان سلطانك ، فعليك بتعميم استخدام التقويم الزراعى الذى وضعته أسرة « شيا » الملكية ، وأن تستعمل العربات المصممة إبان حكم أسرة « إينشو » ، فتلك أبسط الطراز وأمتنها . وأن

تأمر الناس بارتداء الزى الرسمى لأسرة « جوشاو » الملكية بفخامته وجاذبيته ، وأن تعزف فى دور الموسيقى مقطوعات من مؤلفات الـ« يو » والـ « شاو » الراقصة ، وأن تنأى بمواطنيك عن مهارل موسيقى مملكة « تشنكو » ورجالها المنافقين ، فموسيقاها مبتذلة خليعة، ومنافقوها أخطر الكوارث الداهمة ».

١٥-١٢ قال كونفوشيوس : « من لم يمد بصره ، بالتأمل الواعى والتخطيط الذكى على المدى الطويل ، وجد عند كل خطوة عثرة ، وعند كل مفترق عقبة كأداء » .

١٥-١٣ قال كونفوشيوس : « لقد بحثت عبثا بلاطائل ، بحثت ولم أجد أحداً يفضل حب الخير على عشق الجمال . »

١٥-١٤ قال كونفوشيوس : « دلائل كثيرة تشير إلى أن زانوشون (٨٧) كان يستغل منصبه أبشع استغلال ، من ذلك مثلاً أنه أحجم عن تعيين السيد « هويليوشيا » - موظف عظيم بمملكة « لوكو » -برغم علمه بكفاءته وجدارته لشغل منصب رسمى » .

١٥-١٥ قال كونفوشيوس : « من أراد أن يتقى كيد الكائدين ، فليكن متسامحا لينا مع الناس ، متشدداً قاسياً مع نفسه . »

١٥-١٦ قال كونفوشيوس : «وأنا أيضا لاأملك أن أفعل شيئا لمن لايقدرون على كيفية التصرف الواعى فى الطوارىء والأزمات » .

١٥-١٧ قال كونفوشيوس : « لافلاح لمن كان جلّ همه طوال يومه أن يثرثر فيما لايفيد ، ولانجاح لمن لم يقل حسنا و (ينبذ) الحكمة من فمه » .

١٥-١٨ قال كونفوشيوس : « الماجد المهذب ، من اتخذ الاستقامة سلوكاً أصيلاً ، وسار على مبادىء الأخلاق الكريمة ، فسلك بين الناس بالتواضع والاخلاص » .

١٥-١٩ قال كونفوشيوس : « لايضير العاقل أن يصير مجهولاً وسط الناس ، وإنما يضيره بالغ الضرر أن يجهل قدراته الذاتية ومواضع كفاءته ، فيفقد ثقته بنفسه » .

١٥-٢٠ قال كونفوشيوس : «ينبغى للعاقل أن يخلف على الأرض اسماً طيباً بعد موته (أن يتدبر سيرة صالحة يتداولها الناس بعد موته) ! »

١٥-٢١ قال كونفوشيوس : « العاقل المهذب ، يفرض على ذاته التزامات قاسية ، ويطالب نفسه بالكثير ، بينما الجاهل الدنىء يفرض على الآخرين مالايمكن تبريره ، ثم يجأر بالشكوى والتذمر فى كل مكان ! »

١٥-٢٢ قال كونفوشيوس : « العاقل ثابت الجنان ، مهيب الجانب ، مع لين طبع وسماحة صدر ، يخالط الناس ، كل الناس ، لاينعزل ولايتخذ عصبة أو جماعة ولايتحزّب مع نفر دون آخرين » .

١٥-٢٣ قال كونفوشيوس : « المهذب ، العاقل ، لايحابى منافقاً ذرب اللسان ، فيبذل له المال والجاه بغير حق ، كما أنه لايذل رجلاً تكلم بالحق ، حتى لو كانت الكلمات ثقيلة ، غليظة » .

١٥-٢٤ جاء « تسيكون » إلى كونفوشيوس : ، وسأله : « ألا تدلنى ياسيدى على كلمة تهدينى على مدى الأيام ؟» فأجابه المعلم ، قال : « إنها كلمة « الرحمة » بمعناها الواسع ! إذ لاينبغى أن نضع عل كاهل الآخرين ، مالانحتمله نحن من أعباء » .

١٥-٢٥ قال كونفوشيوس : « ليس من عادتى أن أذم أحداً من الناس أو أمدحه بغير داع ، فما مدحت أحداً إلا إذا كان تفوقه ومثابرته جديرين بذلك ، فهناك دائما الاختبارات والقواعد المحايدة التى تحدد درجة استحقاق التفوق ، ولست وحدى المبتكر لهذه (المعايير !) وإنما كان الحكام السابقون فى الأسر الامبراطورية الثلاث : « شيا ، شانغ ، چو » ، هم الذين ساروا على هذا المبدأ فدانت لهم الشعوب بالطاعة ، وحسنت سيرتهم فى الناس » .

١٥-٢٦ قال كونفوشيوس : « كثيراً ماصادفت فى كتب التاريخ مسائل تثير التشكك أكثر مما تقود إلى التسليم بصدق المرويات ، من ذلك مثلا : (تقرأ مامفاده :) أن « الرجل الذى كانت عنده خيول كثيرة ، لم يكن يبخل ببعض منها على (٨٨) جاره الذى لايملك منها شيئا . . » (وهو الأمر الذى ماعاد قائما اليوم !) » .

١٥-٢٧ قال كونفوشيوس : « إن كلمة مدح بسيطة (مجاملة أو نفاقا) قد تفسد صرحا هائلا من الأخلاق ، ولربما لحظة تهوّر عابرة تخرّب ماعمّره الزمان بطوله » .

١- ٢٨ قال كونفوشيوس : « مسألتان تستحقان المزيد من البحث والاستبصار : أن يكون المرء محبوبا جدا أو أن يكون مكروها للغاية بين الناس » .

١٥-٢٩ قال كونفوشيوس : « إنها إرادة الانسان هى التى تدعم الحق والايمان (مبدأ « الطاو») وليس العكس » .

١٥-٣٠ قال كونفوشيوس : « إن أفحش الخطأ هو مالم يزل يقع فيه المرء بالتكرار دون محاولة جادة لتجاوزه أو تصحيحه .

١٥-٣١ قال كونفوشيوس : « هناك الكثير من الأمور والقضايا لاتجديها نفعا كثرة السهر وعذاب التفكير المتواصل والتأمل المستمر ليل نهار ، إذ ليس مثل التعلم والتحصيل والدرس وسيلة وهداية لكل مااستغلق فهمه أو تعذر الوصول إلي منطق أحكامه » .

١٥-٣٢ قال كونفوشيوس : « العاقل من شغل نفسه بالعلم والتحصيل ، وتناءى قدر الامكان عن مشاغل المأكل والملبس وزخرف الحياة ،ولئن كان الزارع يملك الأرض والثمر ، إلا أن الفيض والقحط ، قدران مسلطان على الأعناق ، أما طالب العلم فيرتقى مكانته اللائقة ، ووظيفته الرسمية (التى هى راتبه ومكافأته الدائمة ! (فلايليق أن يلهيه فقر أو غنى عن آفاق الغاية العالية الشريفة » .

١٥-٣٣ قال كونفوشيوس : « إعلم أن الحكمة وحدها لن تمهد لخطوط طريق أو تحكم قبضتك على زمام الحقيقة ، مالم تجعل معها ، الرحمة والإحسان . واعلم أن الحكمة والرحمة فى يد صاحب السلطة الرسمية ، لن يغنيا عن الشدة والحزم ليسلس له قياد رعيته ، ثم إن الحكمة والرحمة والحزم والاستقامة بغير قواعد المعاملات الإنسانية يمكن أن تصبح جميعاً حكماً بغير حكمة وشرعاً غير مشروع ! » .

١٥-٣٤ قال كونفوشيوس : « لايعُرف معدنُ الرجال إلا فى النازلات ، فهى التى تسبر غورهم وتشد عزمهم » .

١٥-٣٥ قال كونفوشيوس : « هناك من يظنون أن الأخلاق والفضائل لون من الترف الفكرى ، والحق أن الشعوب تحتاج إلى الفضائل كحاجتها إلى الماء والنار ، أو ربما أشد قليلاً ، وقد رأيت بعينى كوارث رهيبة بسبب فيضانات عاتية وحرائق متأججة ، لشدة

مافـاض من ماء أو لهب ، ولكنى لم أر قط كـوارث مفـزعة نجمت عن مغالاة فى التمسك بالفضائل » .

١٥-٣٦ قـال كونفـوشـيوس : « ليس هـناك مقـام أعـلي من مقـام الفضيلة . ، ولاحتي المعلم نفسه » .

١٥-٣٧ قال كـونفوشـيوس : « العاقل من يصـرف جل اهتمـامه إلى الإخلاص للمبادىء ، ويترفع عن الصغائر كلما أمكن » .

١٥-٣٨ قال كونفوشيوس : « على من يعمل فى البلاط الملكى ، تحت قيـادة صاحـب الجلالة ، أن يضع الأولوية المطلقـة للمسئولـية الرسمـية قبل أى اعتـبار آخر ، بما فى ذلك حق الحـصول على الراتب النقدى المعّين له » .

١٥-٣٩ قال كونفوشيوس : « الكل فى حق التعلم ، سواء » .

١٥-٤٠ قال كونفـوشيوس : « لاينبغى على من ينتهجـون انتماءات سياسية مـتباينة مذهبياً أن يتبادلوا التـشاور والأفكار فى شئونهم المختلفة » .

١٥-٤١ قال كـونفوشيـوس : « الأساس الصحيـح للغة فى كل مكان وزمان هو قدرتها على نقل المعانى بسلامة ووضوح » .

١٥-٤٢ ذهب « شيميـان » (أحد كبار الموسيقيين) إلى كـونفوشيوس فى زيارة ودية ، فاستقبله ، وأخذ بيده وقـّربه إلى عتبات السلم (وكـان شيمـيان كفيـفا مثل معظـم الموسيـقين قديما !) وهو ينـبهّـه إلى موضـع الدرجـات ليرتقيـها ، فلمـا وصـل به إلى مقعـده ، أجلسه ، فلما استقر جميع الحاضرين جلوساً ، أخذ كونفوشيوس يقترب من أذن ضيفه ويبلغ بأسماء الحضور وأماكن جلوسـهم واتجاهاتهـا ، ثم لما انتهت الزيارة ، وغـادر الجميـع خارجـين ، راح زيجانغ يسـأل كونفـوشيـوس : » لم تكلمت هكذا مع الموسـيـقى الضـرير هذه الليلة ؟ (كـيف تهـمس له وتناجيـه منفرداً هكذا ؟ ! فأجابه : « تلك هى الطريقـة الملائمة التى تناسب فناناً عظيماً مثله ! » .

الباب السادس عشر

« چيشى »

وجملته أربعة عشر فصلا

١٦-١ كان « جيسون » (مسئول عظيم بمملكة « لوكو ») يجهز إحدى الفرق لتشن حملة تأديبية على مقاطعة توانيو (٨٩) ، فذهب كل من « رانيو » « وزيلو » للقاء كونفوشيوس ، والتشاور معه بهذا الخصوص ، فأجابهما بقوله : « وأين كنتما عندما اتخذ هذا القرار ؟ ألم تشجعاه على هذه الخطوة ؟ ! وإنى لأحذركما من مغبة ذلك الطيش ؛ فقد ظلت مقاطعة «توانيو» أرضا مباركة منذ الأزل تحرس المعابد وتحمل على عنق هضبتها وصدر سفحها قرابين الشعائر . . إنها قطعة لاتتجزأ من أرض « لوكو » من قلب سادتها ومواطنيها فلماذا تهاجمونها اليوم ؟ فأجابه رانيو : « ليس سوى الأمير جيسون هو وحده الذى يريد قتالها ، أما نحن الاثنان فلا نوافقه على رأيه . » فقال له المعلم : « اسمع ياهذا ، لقد قيل قديما : اعط يدك وقلبك لسيدك واخلص لمسئوليتك ، فإن لم تقدر فأجدر بك أن تستقيل . »

فما قولكما فى رجل ضرير أوشك على السقوط من أعلي الدرج ، ومساعده المبصر ، يراه ولايمنعه ، فما الفائدة إذن من صحبته ؟ ! وغدا عندما تدب الفوضى وتتحطم الجدران ،

وينفلت عـقال الثيـران الهائجـة ، فتنطلق فى الطرقـات تدهس وتروع ، غدا عندما ينكسر فص الجوهر الثمين وتبهت الأصداف ودروع السـلاحف ، فـمن ياترى يتـحـمـل الأخطاء ، ويعلن مسئوليـته عما حدث ؟ ! » فأجابـه رانيو ، قال : (« توانيو » منطقة حصينة ، ثم إنها لاتقع بعيدا عن إقطاعيات آل جيسون ، فإن لم يأخذوها اليوم ، صارت قذى فى عين أحفادهم على مر الزمن .) فـقال له المعلم : « اعلـم يارانيو أنه خـير للمـرء أن يصرح بأطماعه ، ولو بلغت عنان السماء من أن يداريها بالحجج الواهية ، وقد بلـغنى أن العبرة ليست بشخـص الحاكم ، أميـراً كان أو وزيـراً ، خصـوصا إذا مـادلهم الخطب واشتد الخطر ، وإنما العبرة ومدار الأمـر بمن حكم فعدل ، ووزع فأوفى كل ذى حق حقه . وليس يعيب مديـنة سواء أراد ساكنوها أم نقصوا ، وإنما يعـول على مقـدار حظـهم من الأمن والاستـقـرار ورغـد العيش ، واعلم أنه لافقر مع قسمة عادلة بين الجميع ولاهـوان مع سلام غامر ، ولاكرب مع نعـيم مقيم ، فإن تحقق ذلـك فى وطن ، عـاد إليـه مفارقـوه ، واجتـمع إليه الحـشد الحـاشد ، يريدون به الخيـر والاستقرار ، أما وأنكمـا الآن تدبران أمرا مع جيـسون تفـوح منه رائحـة الخطر ، فلن يؤوب إليكم آمن ولن يستظـل ببلدكم مهاجر ، فقد دقـقتم ساعة الهلاك والتخريب . وأكبر الظن أن هجـومكم على « توانيو » ليس إلا حسابا قـصير النظر ، ورؤية مضللة ،إذ إن مكمن الشر والخطر يأتى من قلب أميركم ، من أعماق ضميره ، وليس من أى شىء آخر . »

١٦-٢ قال كونفوشـيـوس : « عنـدما تدار أمور الحكم ـ بإخـلاص ونزاهة ، تصبح صناعة القرار الفعليـة فى يد الامبراطور ، فهو الذى يملك أن يقـرر كـل مـايتـصل بـ الإدارة ، الإجـراءات ،

الشعائر ، والفنون ، والجيش وكل الأمور المصيرية الكبرى ، أما إذا اضطربت السياسة الداخلية ، ولعبت الأهواء ، ودبت الفوضى ، ، أصبح القرار الفعلى فى يد الأمراء وحكام المقاطعات ، وحينئذ ، تسقط سيادة الامبراطورية فى غضون عشرة أجيال ، فإذا تحولت سلطة القرار إلى كبار المسئولين سقطت مؤسسة الحكم بعد خمسة أجيال فإذا انتقلت سلطة القرار إلى الولاة والمحافظين ورؤساء المدن ، تدهورت حال البلاد فى أقل من ثلاثة أجيال . إن سياسة واعية نزيهة ، لن تتدنى أبداً لتقع فى يد كبار المسئولين ، وسيكون فى استطاعتها حينئذ ، أن تخرس ألسنة الفتنة ، ويصبح فى مقدور الناس أن ينظروا إلى حكوماتهم بالمهانة والاحترام الواجبين . »

١٦-٣ قال كونفوشيوس : « لقد مرت خمسة أجيال كاملة منذ أن زال عرش دولة « لوكو » من قبضة الأباطرة العظام ، ولئن كانت أسرة « جيسون » قد ورثت صولجان الحكم على مدى أربعة حقب ، إلا أن تفشى سلطة كبار الموظفين ، لم تدع فائضا من المجد والهيبة والنفوذ للأمراء الثلاثة خلفاء الامبراطور « هوان » (٩٠) .

١٦-٤ قال كونفوشيوس : « خالط ثلاثة ينفعوك ، واجتنب ثلاثة يضروك ، خالط المستقيم الخلق ، الشريف النفس ، واسع العلم والمعرفة ، واجتنب الخبيث ، والمنافق ذى الألف وجه ، والثرثار ذى المئة لسان (الكذوب المتحدث بما لايفقه !) . »

١٦-٥ قال كونفوشيوس : « يستحب فى السعادة ثلاث : لذة الفن والموسيقى ، متعة ذكر فضائل الناس ، ورضا العيش فى جوار أهل الخير . وثلاث مكروهة فى باب السعادة ، ألا وهى :

الفخر الذى يدرك الكبر ، والترف الذى يذهل العقل ، والمعدة المتخمة ثراء ونعمة . »

١٦-٦ قال كونفوشيوس : « ثلاثة أمور لاينبغى لعاقل أن يقع فيها ، عند الحديث : التسرع فى قول بغير تبصر ، فذلك طيش اللسان . والتوانى عن كلمة حق ، فذلك عين التخاذل ، وتجاهل وجه المتحدث وسيماه ، فذلك هو التعامى بصرا وبصيرة . »

١٦-٧ قال كونفوشيوس : « ثلاثة يلزم للعاقل أن يضعها نصب عينيه ويطوى عليها أجفان الحذر البالغ وهى : الافتتان بالنساء عند ريعان الشباب وأول الصبا ، والاعتزاز بتمام القوة عند اكتمال النضج ، ونهمة الجشع وجمع المال عند فناء الهمة فى سنى الشيخوخة . »

١٦-٨ قال كونفوشيوس : « لايكترث العاقل لشىء قدر اكتراثه لثلاثة أمور : ألا وهى : القدر ، وصاحب النفوذ ، وموعظة قديس . أما البليد الجهول فلايخشى القدر إذ يجهله ، ولايهاب أميرا إذ لايدرك قدر الماجد ومكانته ، ولايبالى بموعظة لأنها لاتردعه الكلمات . »

١٦-٩ قال كونفوشيوس : « الناس على أربع درجات ، أولهم ، مولود بالحكمة ، وثانيهم لايبلغها إلا بالبحث والدراسة ، وثالثهم يقع فى المحنة ، فيجتهد فى العلم ، فيبلغ ذرى المعرفة ، ومنهم من تعصف به المحن ، فلا يزجره علم ولاتعظه تجربة ،قد ختم على قلبه ، فلا يبلغن مثقال حكمة ، فأولئك هم أسفل درجة من الناس . »

١٦-١٠ قال كونفوشيوس : « ينبغى للعاقل أن يتدبر أمره فى تسع مسائل : أن ينظر فينفذ إلى الأمور بعينى بصيرته ، لابمجرد ناظريه ، وأن يستمع إلى القول بوعى الفاهم وليس بإنصات الأذن ، وأن يتخذ للامحه مظهر الود ، ويتحلى بسمت الوقارغير مبتذل ، وأن يخلص فى قوله إذا حدث ، وأن يتقن عمله ، إذا ماشمر عن سواعده ، فإذا صادف محنة فليطلب النصح فهو أذكى له ، وليتدبر العواقب إذا غضب ، فربّ هفوة حنق جلبت بغضاء للأبد ، ولينتبه إلى مايشتهى فلايمددن يدا إلى مالايحق له أن يمسسه . »

١٦-١١ قال كونفوشيوس : « يقولون أن هناك من يسعون إلى الكمال ، ويتسابقون إلى المجد ، فينفرون من الجهل والتخلف ويفرون منه فرارهم من خطر محدق أو هلاك وشيك .. نعم .. قد رأيت أناسا كهؤلاء وسمعت أقوالا كتلك ، ويقولون أيضا بأن هناك من يعتزلون الدنيا والناس حفاظا على مبادئهم وآمالهم ، وبأن بعض الناس يسلكون أشرف وأنبل السبل لبلوغ غاياتهم فى مجال السياسة ، وفى الحق ، فى أقوال تتردد كثيرا، ولكنى لم أر أحدا يسلك بها على أرض الواقع . »

١٦-١٢ كان الأمير « جين » بمملكة « تشيقو » يملك أربعة آلاف رأساً من الجياد المطهمة ، فاق بها حدود الجاه والثراء فى زمانه ، فلما مات انقضى أمره ، كأنه لم يعش يوماً ، أما الأميران « بواى » « وشوتشى » فقد ماتا جوعا بكهف جبلى مهجور ، تفضيلا للموت بشرف على حياة ذليلة ، فبقى ذكرهما خالداً فى الاسماع من الأزل . » (٩١)

١٦-١٣ ذهب «شنكانغ» إلى « بوييى » - ابن كونفوشيوس - وسأله ، قال : « ترى ماالذى يخصك به سيدى من علم ، وأنت تراه وتجلس إليه طوال اليوم ؟ » فأجابه « بوييى » : لايخصنى بشىء ذى قيمة ، فمثلا .. كنت أمر ذات يوم فى طريقى إلى بعض شئونى ، فنادانى وسألنى إن كنت أحفظ شيئا من الشعر فلما أجبته بالنفى قال : « من لم يحفظ شيئا من الشعر ، خاصمته معانى الكلمات » . فما برحت حتى حفظت منه الكثير ، وكنت فى يوم آخر، أجلس قريباً منه ، فسألنى إن كنت تعلمت آداب المجاملة ، فلما أجبته بالنفى ، قال لى : « من لم يتعلم شيئا من ذلك ، ضل سبيل النجاة . » فما تركت شيئا من الآداب حتى تفقهت فيه ، ثم إنى لم أتميز عن أحد إلا بهاتين الموعظتين من المعلم ، فما خصنى بشىء غيرهما . » وعاد « شنكانغ » إلى بيته سعيدا ، يقول لنفسه : « سألت سؤالا واحداً ، ففزت بثلاث إجابات تحوى معارف شتى ، وعيت بها مغزى القصائد ، وفائدة تعلم آداب المجاملات ، وعلمت أن الفقيه الحكيم لايحابى ولده أو يخصه وحده بشىء دون الناس . »

١٦-١٤ على الحاكم أن ينادى زوجته بلقب « فُورن » (: السيدة الفاضلة) وعلى السيدة زوجة الحاكم (أو الامبراطور !) أن تدعو نفسها : « البنت الصغيرة (تواضعا .. يعنى !) وعلى العامة والأفراد العاديين أن ينادوها بلقب « جونفورن » (فخامة السيدة الكبرى !) فإذا كانت فى زيارة رسمية خارج البلاد ، فعليها أن تدعوا نفسها بلقب « كواشياوجون » (التابع الصغير!) أما مواطنو الدول الأجنبية فيلقبونها بـ«جونفورن » (فخامة السيدة الأولى) ».

الباب السابع عشر

« يانهوا »

وجملته ستة وعشرون فصلا

١٧-١ بذل « يانهو » كل جهده لمقابلة كونفوشيوس ، إلا أن هذا كان يعرض عن لقائه ، ثم إنه انتهز فرصة ذهاب كونفوشيوس فى بعض شئونه خارج المنزل ، فأرسل من حمل إلى بيته هدايا وولائم ، فلما عاد المعلم وعرف بالأمر ، وأدرك أنه مطالب بتقديم الشكر إلى « يانهو » عزم على الذهاب إليه ، ثم أرسل من يراقب منزله ، ليعلم بالأوقات التى يكون فيها « يانهو » خارج المنزل ، وذلك لأن المعلم لم يكن راغبا فى مقابلته وجها لوجه ، فلما قام وقصد إلى داره ، فإذا هو أمام « يانهو » ، فكانت مصادفة الطريق هى التى جمعت بين الرجلين ، ثم إنهما سارا معاً يتحدثان ، وسأله يانهو : « أيكون الرجل عاقلا فاضلا إذا آثر الأمن والسلامة وبلاده تضطرم بالفوضى ؟ » وسكت كونفوشيوس ولم يرد بشىء ، إلا أن السائل أجاب بنفسه، قال : « كلا . . فمثل هذا الرجل لايمكن أن يعد عاقلا أبدا . » ثم سأل ثانية : » أيكون الرجل ذكيا فطنا وهو يضيع الفرص المواتية التى تمكنه من الوصول إلى منصب رسمى عالى المستوى ؟ « وسكت للمرة الثانية ، فأجاب يانهو بنفسه ، قال : « ولاهذا أيضا ، فالأيام تنقضى سراعا ، والزمن لاينتظر أحدا ، وهنا لم يملك كونفوشيوس إلا أن يرد عليه بقوله: « لابأس ، فأنا مستعد الآن للعمل بوظيفة رسمية (٩٢) . »

١٧-٢ قال كونفوشيوس : « الطبيعة البشرية مشتركة ومتشابهة من حيث الأصل و ليس سوى العادات والتقاليد البيئية المختلفة ، هى التى شقت من جذورها أصولاً وفروعا وألوانا متباعدة . »

١٧-٣ قال كونفوشيوس : « إن من السمات الغريزية ، والطبائع الفطرية ، بما فيها الذكاء الخارق أو الغباء المفرط ، تلزم حد التمكن والثبات ، بما يستحيل معه تغييرها أو تعديلها ، مهما كانت الوسائل . »

١٧-٤ ذهب كونفوشيوس بصحبة مريديه إلى مدينة « أوتشن » ، فلما دخل المدينة ، وإذا بموسيقى التراتيل تصرح فى الأجواء ، فتهلل المعلم ، وقال لمن حوله : « منذ متى كانت المدن الصغيرة ، مثل مدينتكم هذه تحتاج إلى تعلم الفنون والشعائر ، فتلك أمور لاتهم إلا الممالك الكبرى ! (حرفيا : . مالداعى إلى استخدام سكين مذبح الابقار لذبح دجاجة هزيلة !) فبلغ ذلك « زايو » ، فقال له : » يحضرنى ياسيدى قولك ذات مرة من أن تعلم الفنون ، يلين جانب الملوك ، ويشيع روح الطاعة بين المحكومين » فليس هنالك عيب إذن فى تعلم الفنون . كما ترى ، فعندئذ ، التفت كونفوشيوس إلى تلاميذه وقال : « أيها السادة ، اشهدوا أن ماقاله « زايو » هو عين الصواب ، فما قلت قولى الأول إلا على سبيل الدعابة . »

١٧-٥ اتخذ « كونشان فوراو » من مدينة « فاى » قلعة العصيان والتمرد على نظام حكم أسرة « جيسون » الملكية ، وأرسل إلى كونفوشيوس يرجو لقاءه فى أمر مهم ، فأعد المعلم للسفر إليه فبينما هو يتأهب للمضى ، إذا قابله « زيلو » وصرح بما يساوره من شك فى هذا الموضوع ، وقد أظهر له الاستياء البالغ ،

ونصح لكونفوشيوس بعدم الذهاب ، وقال له : « ماالذى يحملك على مشقة كهذه ، ومالذى تجنيه من ذهابك إلى واحد مثل « كونشان ؟ » . فأجابه المعلم قائلا : « ومايدريك أنه يحتاج إلى من يمد له يد العون ، فلعله يقصد إصلاح الأمور ، وإلا ماكان أرسل فى طلبى ، ومن جانبى ، فلاأريد أن أتقاعس عن الالتزام باحياء المبادىء العظيمة المتمثلة فى جملة الفضائل والآداب الموروثة عن دولة « جوكو » الغربية » .

١٧-٦ قصد ريجانغ إلى كونفوشيوس ، وسأله عن الإحسان ، كيف يكون ، فأجابه : « هو أن يتحلى المرء بخمس خصال طيبة فى آن واحد . » فعاد السائل يسأل : « فما هى تلك الخصال ؟ » فذكرها له قائلا : « التواضع ، والكرم ، والإخلاص ، والعزم ، والرأفة ، إذا لايهان من تواضع ، ولايستغنى عن الكريم ، وأما المخلص فدائما أهل للثقة ، وصاحب العزم يسلك بالنجاح فى كل طريق ، والعاقل الحليم يأمر فيطاع ، وتنقاد له السواعد والقلوب ثقة وعرفانا . »

١٧-٧ أرسل « بيشى» (٩٣) يستدعى كونفوشيوس ، فلما تجهز للذهاب إليه جاءه زيلو ، وقال له : « ألست أنت القائل بأنه ليس من الحكمة الذهاب إلى موطن يموج بالفوضى والمؤامرات ؟ فكيف يستقيم ذلك مع ذهابك إلى بيشى وهو ضالع فى مؤامرات ضد « جونمو » ؟ فأجابه ، قائلا : « أما المقولة فأنا صاحبها ، وأما عن الأمر الثانى فكنت أنا أيضا القائل بأن الصلب لايثنيه دأب المطارق والنقاء الأصيل لاتكدره الشوائب ، فكيف تخالنى أقع فى مكيدة ليس لمثلى أن يغفل عن أحابيلها ! أتراك تصدق أن أجعل من نفسى أضحوكة بكل هذه السهولة ؟ ! »

١٧-٨ تحدث كونفوشيوس إلى « جونيو » فقال له : « أما سمعت عما بين الخصال السبعة وقرائنها من علاقة وثيقة ؟ » فلما أجاب بالنفى ، قال له : « اجلس ، واسمع ، فالإحسان بغير هداية من العلم يوقع بالمرء صيداً سهلاً فى أحقر المكائد ، والذكاء بغير علم ، رعونة وطيش أخرق والإخلاص بغير علم تهلكة للنفس بالانقياد السهل لمزاعم النوايا النبيلة . والخلق القويم بغير علم ، يضع فى فم الرجل المهذب لساناً كذنب الحيات ، يريد أن ينصح فيلدغ (يؤذى حيث يريد النفع !) والشجاعة بغير علم ، طريق قصير إلى التمرد والعصيان . أما العزم الراسخ بالثقة الصلبة فى غيبة أضواء واعية بهدى من العلم والتنوير ، فليس إلا الضمان المؤكد والمقدمة المعهودة للوقوع فى مخاطر النزق المتهور والتخريب الدامى . »

١٧-٩ قال كونفوشيوس : « لمريديه : « لم لاتقرأون كتاب « الشعر القديم ؟ » (كتاب القصائد !) أما علمتم أن الشعر حافز الخيال ومنبت الوعى الأصيل ، ورباط الود الحميم ! ثم إنه مرعى البلاغة والعبارة النافذة ، فكتاب الشعر منهل رائق بالعرفان والمودة لكل ذى رحم ، وقطف دان بالولاء فى شريعة الحاكم والمحكوم ، ومعجم ماستعجم من أسماء الطيور ونادر الاعشاب والنبات . »

١٧-١٠ قال كونفوشيوس : ل « بوياى » : « هل قرأت الفصل الأول والثانى من « كتاب القصائد » ؟ أما علمت أن من جهلها انغلقت عليه : أبواب الفهم كلها وغمضت عليع أوضح الدروب والمسالك . »

١٧-١١ قال كونفوشيوس : « إن الدلائل الحقيقية للطقوس والعبادات الدينية لاتقتصر على القرابين والنذور المقدسة ، ولاينحصر معنى

الموسيقى فى ظاهر الأداء المجرد للايقاعات اللحنية ونغمات الأصوات . . (فتأمل باطن الدلائل فى كل ذلك !) »

١٧-١٢ قال كونفوشيوس : « مثل الرجل جبار الوجه ، جبان القلب، لو استعملنا التشبيه اللائق من دنيا الجريمة واللصوصية ، كمثل السارق المتسلل خفية من الطيقان والنوافذ . »

١٧-١٣ قال كونفوشيوس : « ليس أخطر على الفضيلة من امرىء لايفرق بين الحق والباطل . »

١٧-١٤ قال كونفوشيوس : « ليس من كرم الأخلاق ، ترويج الشائعات واللهج بالقيل والقال . »

١٧-١٥ قال كونفوشيوس : « إياك ومحاباة الأوغاد (فى أمور العمل الرسمية) ؛ فأعينهم تلمع بالحرص على أرفع المناصب ، وهم خارجها ، وقلوبهم تشتعل لهفة على مكاسب أيديهم ، خشية فقدانها فلذلك كله ، لن يتورعوا عن اقتراف كل أنواع الدنايا لتحقيق أغراضهم . »

١٧-١٦ قال كونفوشيوس : « (متهكماً) : لكل زمان أهله وخصاله ، فلئن كان يعيب الحمقى ، فيما مضى ألسنتهم الفاحشة ، فقد صاروا فى أيامنا فجار اليد واللسان ، وكأن الأشراف الأماجد قبلنا تيجان من الرفعة المهابة والإجلال ، فأصبحوا اليوم عتاة جرم ، سود أكباد ، تجمعهم مكيدة وتفرقهم فتنة (ناهيك عن ذلك كله !) بل وحتى البلهاء ، كانوا بالأمس سراويل ممزقة وأفواه تسيل بالمخاط ، وهاهم فى أيامنا ، سادة فنون الدهاء والخديعة والاحتيال . »

١٧-١٧ قال كونفوشيوس : « من يتظاهر بملامح العطف ، وهو ينثر من معسول الكلام ، لايمكن ، بأى حال ، أن يكون شريف الأخلاق ، صادق المودة . »

١٧-١٨ قال كونفوشيوس : « ماأبغضت شيئا قط ، قدر استبدال اللون البنفسجى باللون الأحمر (٩٤) (المجيد !) ولاكرهت شيئا مثل إفساد الموسيقى (الكلاسيكية) الملكية ، بصخب الموسيقى الفلكلورية (الهادرة بغير ذوق !) ولشد ماعافت نفسى التحايل بسحر البيان وسر البلاغة لقلب منطق الحقائق . »

١٧-١٩ قال كونفوشيوس : « ماعدت أريد أن أقول شيئا بعد اليوم ! » فرد عليه تسيكون قال : « وإذن ، فكيف لنا نحن تلاميذك أن نحدّث عنك ؟ ! » فأجابه المعلم : » وهل تحدثت السماء بشىء (منذ متى كان للأقوال قيمة !) فدورات الفصول الأربع تترى فصلا فصلا بحسب قانون أزلى ، والوجود كله بالحياة والحركة المنتظمة والدائبة ، فالأفعال إرادة من السماء ، أبلغ من أى قول . »

١٧-٢٠ جاء روباى (٩٥) يريد لقاء كونفوشيوس ، فقيل له إن المعلم مريض يلازم الفراش ، فلما سار الرجل مبتعدا وإذا بالمعلم ينهض قائما ويعود إلى قيثارته ، ثم أخذ يعزف ويغنى بصوت جهورى ، متعمدا أن يسمعه « روباى » ويدرك أنه بصحة جيدة . أما لماذا تصنع كونفوشيوس المرض ، فلأنه لم يكن يرغب فى لقاء رجل يجهل مبادىء المعاملات وأصول الزيارة المنزلية اللائقة (قيل بأن « روباى » كان يسيىء الأدب مع رؤسائه ، ويغلظ فى القول مع كبار السن !) .

١٧-٢١ جاء زايو إلى كونفوشيوس وتحدث إليه فى موضوع طقوس الحداد على الوالدين المتوفين ، قال : « تنص المبادىء العامة على أن تستمر فترة الحداد على من مات من الوالدين أحدهما أو كليهما مدة ثلاث سنوات ، وفى رأيى فهى مدة

طويلة جدا (لها تأثيراتها السلبية) فإذا انقطع الطالب عن دراسته ثلاث سنوات ، وكان ذلك كفيلا بتعطيله عن تطبيقاته المعرفية المفيدة ، وإذا توقف العارف عن ضرب الأوتار ثلاث سنوات ، تباعد عن حسه النغمى المرهف ، واختنقت النغمات فى عنق قيثارته ، ثم إن مدة طويلة كهذه ، يمكن أن تأتى على أطنان القمح فى المخازن ، بينما يذبل العود وتجف السنابل تحت حصاد البيادر (فلا مخزون عندئذ ولاحصاد) أفلا يكون من الأنسب أن تقتصر مدة الحداد على عام واحد فقط ؟ » فأجابه كونفوشيوس : « أيطاوعك قلبك ويهنأ عيشك إذا شبعت أرزا وقمحا وتنعمت فى الديباج الملون قبل أن تكتمل ثلاث سنوات على وفاة والديك ؟ « فأجابه : » نعم ، لاأجد غضاضة فى ذلك . « فقال له المعلم : » إذن فافعل مابدا لك ، والحق ، إن الماجد المهذب لايجد فى العسل (أثناء الحداد) إلا مرارة العلقم ، ولايسمع فى الموسيقى إلا الشجن ، ولايرى فى نعيم الحياة إلا لهوا وضلالا بعيدا ، فلذلك (يطوى نفسه فى إزار حداده) طوال ثلاث سنوات . أما وأنك لاتجد من تلك الحال شيئا فى نفسك فلابأس عليك أن تقتصر على عام واحد فقط . » فلما قام زايو وخرج، نظر المعلم إلى الحاضرين ، وقال : « ماأقسى قلب الرجل المدعو زايو ! يستكثر حداد ثلاث سنوات على الوالدين ، ألا يعرف أن المولود يبقى لصيقا بصدر والديه ثلاث سنين كاملة من حياتهم ! أيعز عليه أن يبذل سنوات ثلاث من الوفاء ، مقابل ثلاثا أخرى أعظم وأكبر من الشقاء والحب والتفانى » .

١٧-٢٢ قال كونفوشيوس : « بعض من يجلسون طوال اليوم ، كسالى لايقومون إلا إلى الطعام ، شأنهم الوحيد هو أن يملأوا بطونهم ، فهؤلاء والعدم سواء . أفلا يبحثون عن شيء يفعلونه ؟ ! إن تزجية الوقت بلعب الشطرنج أحيانا ، وإلقاء النرد ، أحسن كثيرا من القعود بلا عمل . »

١٧-٢٣ جاء زيلو إلى كونفوشيوس ، وسأله : « هل الشجاعة من الفضيلة ؟ ! » فأجابه قائلا : « العاقل المهذب يجد الأخلاق أسمى الفضائل وأعظمها جميعا ، فالشجاعة بغير أخلاق ، تحث الماجد الشريف على التمرد والعصيان ، وتدفع الدنيء الحقير إلى السرقة والاغتصاب . »

١٧-٢٤ جاء « تسيكون » إلى كونفوشيوس ، وسأله : « هل يعرف المهذب مشاعر الكراهية ، وهل يدخل البغض قلبه ؟ » فأجابه : « نعم ، فهو يكره من يشهرون بأخطاء الناس على قارعة طريق ويبغض من ينسبون التهم إلى رؤسائهم زورا وبهتانا ، وكذلك كل من لاتردعهم المبادئ ، كما أنه لاينفر من صلف متغطرس يباهي بالعند والتعالى فوق ماسواه . » وسكت كونفوشيوس ثم دار بالسؤال على سائله ، قائلا : « فأنت ياتسيكون ، فماذا تكره ؟ » فأجابه : « ماكرهت في حياتي مثل الأعيان ، ينسبون إلى أنفسهم فضلا ليسوا أهله ، وكرامة ليسوا أربابها ، ولاأبغضت مثل الحمقى الذين يخلطون بين الشجاعة والطغيان ، وأيضا السفلة الحريصين على فضح أسرار الناس بغير وازع من خلق أو ضمير . »

١٧-٢٥ قال كونفوشيوس « أصعب من يمكن التعامل معهم في الدنيا هم : النساء وأرذل الرجال ، لأنك إذا اقتربت منهم

شتموك وإذا ابتعدت عنهم ، اتهموك بالظلم والقسوة والتعالى . »

قال كونفوشيوس : « إذا بقى الرجل مكروها وسط الناس ، حتى بعد بلوغه الأربعين من عمره ، فلن يستطيع أن يكسب مودة أى إنسان ، حتى لو عاش آلاف السنين بعدها » .

١٧-٢٦


محمد خطاب

الباب الثامن عشر

« ويتس »

وجملته أحد عشر فصلا

١٨-١ كان الملك « تشو » أحد حكام أسرة « يين » - قد سار بالظلم والطغيان فى أواخر سنى حكمه ، ففارقه أخوه « ويتس » وصار شقيقه الآخر « جيتس » مرذولا محتقرا حتى نزل إلى درجة العبيد ، وقتل عمه « بيكان » فى ظروف غامضة - وكان هذا الأخير شديد المعارضة له والتذمر على سياسته ، ثم إن كونفوشيوس ، قال: « ماأعظم الرجال الثلاثة الذين عاشوا فى السنوات القلائل الأخيرة من عهد أسرة « يين . » (٩٦)

١٨-٢ لطالما أقصى القاضى « هويليوشيا » (٩٧) عن منصبه ، برغم أنه كان جواداً ممدحا ، عادلا ، لايظلم فى أحكامه ، ولايحابى ذى سطوة أو نفوذ ، فلما جاءه من نصحه بالرحيل عن مملكة « لوكو » استغرب وأجاب قائلاً : « لاينال العادل إلا سخطا أينما حل بمكان ، فمن سلك بالحق غرم ، ولئن سهلت على المرء المداراة وهانت عليه المبادىء ، فلا معسر له فى أرضه (فلا يلجئه شىء إلى الهجرة وعذاب الترحال . »

١٨-٣ تحدث الأمير « جينغ » - بمملكة تشيفو عن الكيفية التى سيعامل بها كونفوشيوس إذا ماولاه منصبا بالبلاط الملكى ،

فقـال : « سنحتفى به ونحيطه بـبالغ الاحترام والتـقدير ، لكنا لانستطيع أن نعامله بالطريقة التى حظى بها « جيسون جيونشى » على يد أمـير « لوكـو » ، فـتلك ذروة الشرف وسنام المجـد العالى العظيم « الذى لايبلغه أحد سواه ، وبالطبع فلا نضمن له أن يتساوى بمن هم فى مرتبة أدنى ، مثل منغسون شى فقصارى مانجود به عليه ، أن نجعله فى منزلة بين المنزلتين . ثم إنه أضاف قائلا : « أمـا وقد بلغت بى الشـيخـوخة ماترون ، فـلا أظننى بحاجة إليه . » فـلما بلغ كونفوشيوس هذا القـول ، قام فغادر مملكة « تشيقو » علي الفور . »

١٨-٤ أهدت مملكة « تشيقـو » جـوقـة من المغنيات والراقصـات إلى « جيـسون شـى » رئيس وزراء مملكة « لوكو » فـقبل الهـدية ، وصار لايفـارقهن أيامـا ، وهن يغنين له حتى أزغن عـقله عن شئون الحكم وسائر مسئولياته الرسمية ، فلما وجد كونفوشيوس الأمر على هذا النحو ، قَدَّم استقالته وغادر المملكة . »

١٨-٥ كان « جيو » واحداً من أولئك المثـقفين (الفّوضويين) الذين امتلأت بهم مملكة « تشيقـو » ، وتصادف أن رفع عقيرته بالغناء ذات يوم بينما كونفـوشيوس يمر بمركبته حذاء الطوار ، فـسمعه وهو يتغنى بهذه الابيات : « حدثينى . .

عنقاء الزمن الردىء
لماذا امحت الأقمار ؟
لماذا . . صوت الفضيلة
ماعاد يشجينى ؟
والماضى . . لايعود
لماذا ؟

والغد الآتى
هل يدركنى قبل أن . .
لكن . .
كيف يجىء النهار ،
والسادة الموظفون المغفلون . .
يغتالون . .
الصبح الباكر . . .بأيديهم ؟ ! »

ثم إن المعلم نزل من المركبة ، وقصد إليه ليكلمه ، إلا أن « جيو » فى تلك الأثناء ، كان قد مشى بعيدا واختفى وسط الزحام . »

١٠-٦ كان الرجلان « شانجيو » « وجينى » يحرثان أرضهما ، إذ مرّ بهما كونفوشيوس ، وأرسل « زيلو » يسألهما عن الطريق المؤدى إلى معبر النهر ، فلما قدم « زيلو » منهما ، سأله « شانجيو » قائلا : « من ذلك الرجل الجالس فى المركبة ؟ (مشيرا تجاه المعلم) فأجابه : « هو كونفوشيوس . » فسأله الرجل ثانية : « أهو كونفوشيوس القادم من مملكة لوكو ؟ ؟ فقال : « نعم هو بعينه . » فقال له : « إذن ، فلابد أن يعرف الطريق بنفسه إلى معبر النهر . » فلم يجد « زيلو » إلا أن يجرب مع الآخر ، لكن هذا سأله بدوره : « من أنت ؟ » فعرفه زيلو بنفسه ، فسأله الرجل ثانية : « أأنت تلميذ كونفوشيوس ؟ » ورد « زيلو » بالايجاب ، فقال له « جينى » : « وماتقول فى الفوضى التى عمت الدنيا كفيضان جارف ؟ هل تقدر أنت وأستاذك على تغييرها (إصلاح الأحوال المضطربة فى البلاد !) فما أراكما تسعيان فى البلاد إلا هرباً من عسف حاكم جائر ،

أليس من الحكمة أن تأتيا وتفلحا الأرض معنا ، هربا من وجه الحقائق الموجعة ؟ » وعاد « زيلو » مسرعا إلى أستاذه ، فأخبره بمادار ، فأطرق المعلم حزيناً ، وقال: « ليس أمامنا إلا هضاب وعرة ، وسهول مغرقة ، فإما وخز العشب الوحشى ، أو مستنقع الجهل البشرى ، فأين المفر ؟ ! أما كان جديرا بحكومة مسئولة أن تسلك بالحكمة وتنشر بهاءها فى أرجاء الممالك تحت الشمس ، فنمسك عن دعاوى التغيير والإصلاح ! »

١٨-٧ كان « زيلو » يطوف البلاد بصحبة كونفوشيوس ، ثم إن المسير تأخر به عن ملاحقة أستاذه فى بعض الأحيان ، فبينما هو يجد فى أثره إذ صادف شيخا يعرج على عصاه وهو يحمل منجل الحصاد ، فسأله زيلو : « هل صادفت أستاذى الجليل فى طريقك ؟ : فأجابه الشيخ : » كيف يستحق أن يكون أستاذا جليلا من وهنت أطرافه وانسحقت عظامه دون أن يعرف شيئا عن الأرض ، زرعها وحصادها ، عشبها وأشواكها ؟ » ثم اعتمد على عصاه وهو يميل ليقتطف بمنجله أعناق الأوراق ، فانتحى زيلو جانبا إكباراً وتحية له . ودعاه الشيخ ليقيم فى ضيافته أياما ، فذبح وأولم له واحتفى به للغاية ونادى على أبنائه ليسلموا عليه ، وفى اليوم التالى لحق زيلو بـ كونفوشيوس ، وحكى له ماحدث فعقب عليه المعلم قائلا : « هو رجل طيّب من الزهّاد الأبرار . » وطلب إلى زيلو أن يرجع إليه ، ليتأمل بأحواله ، وذهب زيلو ويحث عنه فلم يجده ، فعاد وقال لأستاذه : « ليس من البر أن يسلك المرء طريق الزهد فينقطع عن ديوان العمل ليقبع فى صومعة النسك والاعتزال ، فليس من الحكمة أن نتجاهل أصول المعاملات

التى استقرت بين السابقين واللاحقين ، بين الشيوخ والشباب أو بين الحكام والمحكومين ، فهى شرائع ونظم (مواريث حياة طبيعية !) ثم إن الاعتزال الشريف المتوسّل بالكرامة والطهر والنقاء ليس فى حقيقته إلا هدما لأصول المعاملات الإنسانية التى تستحق تدعيم أواصر الحب والاحترام والتفانى المتبادل بين أطرافها ، وليس شغل المناصب الحكومية - فى جوهره · إلا تقرير وتنفيذ لتكافؤات مبادىء الحقوق والواجبات المستقرة بين كبار المسئولين ، وصغار العاملين ، ولطالما كنت أقول بأن مثاليتنا السياسية لن تجد طريقها إلى أرض الواقع أبدا ! ».

١٨-٨ من بين الذين اختاروا العيش فى عزله تامة عن المجتمع ، عدد لابأس به من الرجال ، منهم : « بوياى » « وشوتشى » و « يوجون »و « آيبى » و « جوجان » و « ليوشياهوى » و « شاوليان » ، ولقد قال كونفوشيوس : « اثنان فقط من بين هؤلاء جميعا . لم يبدلوا عزمهم فلم يهنوا ولم تمسس سيرتهم أية شائبة ، هما « بوياى » « وشوتشى » ثم تكلم عن « ليو شياهوى » « وشاوليان » قائلا أنهما : « نكصا عن مبادئهما وأساءا أبشع إساءة لسمعتهما مع أنهما لم يتجاوزا فى قول ولم يفرطا فى سلوك . « ثم تكلم عن « يوجون » « آيبى » فقال بأنهما: « أقاما فى العزلة طاهري اليد واللسان ، زاهدين فى متاع الدنيا ! وأضاف قائلا : » أما عن نفسى فأنا أختلف عن هؤلاء جميعا (وأختلف معهم ،) ، فليس هناك شيء مقبول تماما أو مرفوض كلية (صيغة التطرف ليست من الحكمة فى شيء ، فهناك دائما الوسط المثالى والاعتدال المقبول !) . »

١٨-٩ أتى على مملكة « لوكو » زمان ردىء ، فسدت فيه الطبائع وانهدمت أركان الأخلاق والمبادىء كما تراجعت الأذواق الراقية

(الفنيـة) حتى إن كبـار الموسيـقيين هربوا من البـلاد ؛ إذ لجأ الموسيقـار الكبير « تشى» إلى مملكة « تشـيقو »وهرب موسـيقار القـصر الامبـراطورى الثانى « جـان » إلى دولة « تشـوقو » ، وقصـد موسيقـار القصر الثالث « ليـاو » إلى دولة « تساى » ، بينما هرع الموسـيقار الرابع « تشـيوى » إلى مملكة « تشين » هذا وقد لجـأ كثيـر منهم إلى العزلة والمنفى الاخـتيارى ، إذ قـصد العارف البارع « فانشو » إلى وادى النهـر الأصفر وأقام فى عزلة أبدية ، ذهب ضـــارب الدف « أوو » (WU) إلى وادى نهـر الهان فاعتـزل فيه ، ثم إن كلا من يانغ - ثانى أكبـر الموسيقيين فى المملكة ، « وشيـان » - عـارف الايقاع الشـهـير - ذهبـا كلاهما وأقامـا بأحد الأكواخ الخشبية القـديمة عند حافة النهر ، إمعانا فى العزلة . (٩٨)

١٨-١٠ قـال « جـوكـونغ » لولده وهو يقـدم لـه النصـائح : « إياك ومخاصمة ذوى رحمك ، وحذار أن تهمل شأن وزرائك ورجال دولتك وتوغر صدورهم ضدك ، ولاينبغى لك أن تستصغر هيبة أصدقـائك ووزرائك القدامى ، إلا من اقـترف آثامـا مـهولة ، ولاتحـاسب عـمـالـك بمعـيار الكمـال التـام (لاتحـمـلهم مالايطيـقون !)

١٨-١١ شهـدت أسرة « تشو » الملكيـة ظهور ثمـانية من أبرع رجـال العلـم ، وهـم ، علـى الـتـوالى : « بـوداى » ، « بـوكـو » ، « جونتـو » ، « وجوانهـو » ، « وشـويـا » ، « وشـيشيا » ، « وجى سوى » ، و« جيكوا » . (٩٩) .

الباب التاسع عشر

« زيجانغ »

وجملته خمسة وعشرون فصلا

١٩-١ قال زيجانغ : « ينبغى على المثقف الحقيقى ألا يتوانى عن أن يبذل حياته فداء لبلاده فى وقت محنة وساعة أزمة ، كما يتوجب عليه أن يترفع عن مغنم دنئ رخيص ، وأن يتفانى فى التضحية بأعز ما يملك (يظهر الخشوع عند تقديم القرابين إلى المعابد) وأن تأتى أحزانه صادقة ، نبيلة ومواسية ، إذا ما ألّم خطب أو نزلت نائبة . »

١٩-٢ قال زيجانغ : « كثير جدا من الناس يمرون عرضا بطريق الفضائل والأخلاق - لكن قليل جدا من يثابرون على المسير قدما ، وهناك آلاف مؤلفة تدخل فى الأديان والعقائد ، لكن نفراً معدودا منهم هو الذى يثبت عند حدود الايمان » .

١٩-٣ ذهب أحد تلاميذ « زيشيا » إلى زيجانغ وسأله عن الصداقة بين الناس ، كيف تكون وما الطريق إليها ، فقال له زيجانغ : « فما قول معلمك فى هذا ؟ » فأجابه : « قال لى أستاذى : صادق من يستحق صداقتك ، وأعرض عمن لا يستحقها ».
فقال زيجانغ : « لكن ما بلغنى عن أستاذك يناقض ما تنقله

عنه الآن ، وعلى أيه حـال ، فالعاقل من بذل الاحـترام للكريم وللئيم ، للماجد والـفاسد معًا ، فهو يمجـد العباقرة النابهين ، ويتبـسط مع الأميين الجهلاء (حـرفيا = يعطف على العـاجزين والبسطاء) .

وقد يتساءل المرء أحـيانا بين نفسه : « هل أنا امرؤ تجـتمع فيه خصال الفضيلة وحسن البصيرة ؟ وإذا كان الأمركذلك ، فكيف أعجز عن احـتمال الآخرين وفهـمهم ؟! أما إذا افتـقد إلى كرم الأخلاق وصفاء الذهن ، فمن الطبيعى أن ينفر الناس منى . . » فنحن لانملك ترف الابتعاد عـن الآخرين ، لكنهم هم الآخرون الذين يقـدرون على وضـع الحـدود الفـاصلة بينـنا وبينهم إذا شاءوا . » .

١٩-٤ قال « ريشـيا» : « لكل حـرفة منافـع وفوائد ، حتـى الحرف متـواضعة القـيمة لهـا ، هى الأخرى ، مهـاراتها وتقنـيـاتها الفريدة ، وبرغم ذلك ، فالطموحون والأذكياء لايسعون إليها ، فهـى لا تساعـدهم على الاقتـراب من قلب القضـايا المصيـرية الكبرى » .

١٩-٥ قال « ريشيا» : لايقال أن المرء كثير الاطلاع، وواسع المعرفة ، إلا إذا اسـتطاع أن يحـصل مـعارف جـديدة يومـا بعـد يوم ، ويستبقـيها نشطة حية في ذاكرة قوية ، ثم يراجـعها مرة فى كل شهر . »

١٩-٦ قال ريشيا : « ادرس بـعمق ، وثابر على تطلعاتك ، وانصت وفكرّ واسأل عن كل ما يستعصى على الفهم ، وناقش مشاكلك ثم ابحث لها عن حلول تـناسب طاقتك ، لتأتى بنتـائج تطولها يدك ، فـفى ذلك تكمن قيـمة الفـضيلة والأخـلاق والإنسانـية جميعا . »

١٩-٧ قال زيشيا : « العمّال فى كل أنواع الحرف ، يبذلون جهدهم لإتقان أدائهم وإنتاجهم فى الورش الفنية ومواقع العمل ، أما السادة المهذبون (هكذا فى المتن ، حرفيا !) فيطوفون بين شواطئ المعرفة يجمعون الحقائق (ثم يصبونها فى أنساق) طرائق بحث وقوانين ومناهج . » (١٠٠)

١٩-٨ قال زيشيا: « الدنئ ، الخطَّاء ، يجوب الأرض حتى أقصى أطرافها وربما يقضى عمره كله بحثا عن أستار يدارى بها أخطاءه . »

١٩-٩ قال زيشيا : « أى رجل مهذب ، يترك لدى الناس ثلاثة انطباعات : مهابة ووقار (لمن يرونه عن بعد) ومشاعر رقيقة وطابع كريم (لمن يعاملونه عن قرب) ، وجدية والتزام (فى كلامه ، إذا تحّدث) . »

١٩-١٠ قال زيشيا : « الفيلسوف العاقل هو الذى يعمل على التأكد من ثقة أتباعه به قبل أن يعرض عليهم المطالب والواجبات ، وإلا تسرّبت إليهم مشاعر الظلم والغبن ، كما ينبغى على الحكيم المهذب أن يضمن - بادئ ذى بدء - سعة صدر صاحب الجلالة ، وحسن بصيرته ، قبل أن يتوّجه إليه بالرأى والنصيحة ، وإلا عدت النوايا الحسنة فى الصدور مكائد شرور تتربص فى طىّ الكتمان . »

١٩-١١ قال زيشيا : « لايضير المرء أن يقع فى هنّات من التجاور ، وهامش ضئيل من الخطأ الانسانى المعهود ، مادام حريصاً على الالتزام بالإطار العام الصحيح للمبادئ الأخلاقية . »

١٩-١٢ قال زايو : « قد بلغني أن تلاميذ « زيشيا » يجيدون تنظيف قاعات المطالعة وترتيب الأثاث وتزيين الجدران واستقبال وتوديع كبار الزوار ، لكنها كلها أعمال تافهة يسيرة ، فأين هم من دراسة الآداب والموسيقى والفنون الراقية . وسمعه زيشيا نفسه ، وردّ عليه قائلا : « لقد جانبك الصواب ياسيدى ، فالطريقة التعليمية المثلى يجب أن تراعى مبدأ الترتيب فى أساسيات التعّلم : المقدمة العامة التى يجب أن يبدأ بها الدارس ، ثم ما يلى ذلك من مراحل متتالية بالتدريج ، وهو أشبه شئ (بدرجات اختلاف أصناف النباتات) فهنالك نظام ثابت لاينبغى المساس به ! ولعّلى أقول بأن الأمر كله يحتاج إلى عبقرى أو حكيم زمان يقدر على وضع نظام تعليمى سليم ومتطور يتدرج فيه الطلاب من المقدمات الأولى إلى مصاف النتائج . »

١٩-١٣ قال زيشيا : « على العامل الذى يجد وقت فراغ أن يدرس ويتعلم أشياء جديدة ، وعلى الدارس الذى يجد متسعًا من الوقت أن يستغل طاقته فى أداء وظيفة ملائمة . »(١٠١)

١٩-١٤ قال زايو : « الجانب الأساسى فى إقامة طقوس الحداد على الميّت هو التعبير الكامل والصادق عن الأسى والأحزان . »

١٩-١٥ قال زايو : « أستطيع القول بأن صاحبى وزميلى « زيجانغ » رجل عظيم نادر المثال ، لكن ، بإنصاف ، لايمكننى القول بأنه ملاك رحيم ! » .

١٩-١٦ قال سنغزى : « لقد أخذ « زيجانغ » من ظاهر العلوم بحظ وافر ، لذلك فقد بدا فى عين الناس مهيبًا جليلا ، لكن كثيرين يعجزون عن تقدير نصيبه من المشاعر والخصال الأنسانية . »

١٩-١٧ قال سنغزى : « لقد سمعت أستاذنا ذات مرة يقول : « يظل المرء رقيبا مالكا زمام مشاعره يضبطها بمعيار ويحررها بحساب معلوم ، فلا تفلت منه أحاسيسه كاملة ، ظاهرة (عارية) فياضة إلا إذا مات أحد والديه . »

١٩-١٨ قال سنغزى : « سمعت أستاذنا يقول : « كان « منجوانزى » - أحد أمراء مملكة «لوكو» - شديد البّر بأبيه ، وهى خصلة يستطيع الكثيرون منافسته فيها ، لكن الشئ الذى يعجز الآخرون عن أن يجارونه فيه هو إبقاؤه على النظام الذى أرساه والده وعلى الوزراء والرجال والمسئولين الذين عينهم فى مناصبهم أثناء تولّيه عرش البلاد . »

١٩-١٩ كان « منغشى » قد عّين « يانفو» - أحد تلاميذ سنغزى - قاضيا للقسم الجنائى ، فذهب هذا الأخير إلى أستاذه « سنغزى » ليسأله النصح والارشاد ، فأجابه المعلم قائلا : « قد تسلّط علينا حكام أضلوا الرعية وتقاعسوا عن توجيه الناس لما فيه الخير والحق والعدل ، فكان من جراء ذلك أن مال قلب الشعب إلى الرذيلة ووقع فى حمأة الجريمة والفساد ، فعليك ، لو قصدت إلى إظهار وجه الحق فى الاتهام ، أو إذا أردت النفاذ إلى جوهر حقيقة الحال فى اقتراف الجرائم ، فلابد أن تتفهم

دوافع المذنب وترّق لـه ، وتتـعطف بحـاله ، ودع عنك زهو الفخر والخيلاء (متعللاً بالتـوفيق فى إنقاذ الجدية والحزم بتطبيق الأحكام الواجبة والمستحقة !) . »

١٩-٢٠ قال تسيكون : « تناقلت كتب التاريخ سيرة الملك « جو » من أسرة « شانغ» الأمبراطورية ، وقيل أنه كان طاغية جباراً ، ولعل الرواية قـد بالغـت بعض الشئ ، أو لعلهـا تجنّـت على الرجل وعلى الواقع معًا ، والحق ، أن الحاكم العاقل هو الذى يحرص على أن يورث التاريخ سـجلاً طاهرا نقـيا ، وإلا فالسـقوط من حافـة التاريخ احتـمال دائم ، ومصـيـر بشـع ينتظر كل ملك راحل ، يلّطخ الأسماء الزائلة بالعار ، ويصم السير الماضية بكل الصفات الرديئة التى عرفها بنو الانسان . » (١٠٢)

١٩-٢١ قال تسيكون: « أخطاء العظيم وهفواته تبدو للناظرين فادحة، طاغـيـة مثـل خسـوف شـمسى هائل ، وبالمثل أيضـا تظهـر الاصـلاحات ، ويلمـسهـا الجمـيع ، وعندئذ تتكافأ مـساحـة الإحترام والتقدير مع حجم المراجعة والتصحيح . »

١٩-٢٢ ذهب « كـونسن جاو » – مـوظف عظيم بدولة ويقـو – إلى تسيـكون وسأله : « من أين لأسـتاذك كونـفوشيـوس بكل هذا العلم الغزير ؟ » فأجابه ، قائلا : « أما عرفت أن ذخائر التراث التى خلفهـا الأباطرة « أون» ، و «أوانغ» من عهد أسـرة «جو» مازالت باقـية خالـدة على مرّ الزمان يتناقلهـا الناس جيـلا بعد جيل، فـمنهم من يدرك مغزى الحقـيقة فيـها بما أوتى من روية

فكر وذكاء بصيرة ، ومنهم من يقف عند ظاهر المعانى (إيثارا للدعة والراحة !) وطلبا للسهولة ، فلئن كان ذلك التراث رائجا فى كل آن ومكان ، فما الذى يجعل الوصول إليه عسيراً على المعلم (يقصد كونفوشيوس) ولماذا ينبغى أن يقتصر طريق التعلم على أستاذ يلقن وإملاء تعليمى موجّه ! »

١٩-٢٣ حدث أن التقى « شوسونو » - موظف كبير بمملكة «لوكو» ، اسمه الأصلى «جوشيو» - بكبار المسئولين فى القصر الامبراطورى ، وقال لهم : « لقد وجدت « تسيكون» أغزر علما وأصدق حكمة من أستاذه كونفوشيوس » ثم إن « تسيفوجينبو» - موظف عظيم بالمملكة - ذهب وأبلغ تسيكون بذلك القول ، فرد عليه هذا الأخير ، قائلا له : « لو ضربت مثلا للعلم والحكمة ، بالسور الجدارى المحيط بقصر إمبراطورى مهيب ، لقلت بأن ذخائر حكمتى وعلومى ثماثل جدارا لايزيد ارتفاعه عن مستوى الكتف قليلا ، لذلك تستطيع عيون المارة وأبناء الطريق أن تلمح ، من بعيد ، بعضا من أثاث القصر الداخلى وتصميم الغرف بمعمارها الهندسى الرائع ، وزخارفها الفنية الجميلة ، ومثل حكمة أستاذنا (كونفوشيوس) كمثل جدار هائل عظيم الارتفاع يحيط بقصر شاهق الذرى ، أعناقه فى السحاب ، فلا يكاد يبين للمارة فى الطرقات شيئا من الغرف والأسقف والواجهات والردهات الداخلية بمكنون ذخائرها المتنوعة ، فليس لمعرفة ذلك

سبيل إلا عبر المداخل والبوابات المهيبة ، التى لا يتسّنى الولوج منها فى الغـالب ، إلا للقليل جداً من الزوار ، فـلا تعجب مما قال « شوسونو » (فاعلم هذا الأمر وتأمله جيداً !) . »

١٩-٢٤ قـيل إن السـيـد « شـوسونـو » افتـرى وشـاية كـاذبة ضـد كونفوشـيوس ، فلما علم تسيكون بذلـك ، قال : « هى فرية كاذبة وتضليل لاطائل تحته ، فليس كـونفوشيوس بالرجل الذى تنال منه هذه (الأمور) فلو كان واحـداً من الرجال العاديين ، لكان من الجائز أن يناله الأمـر بسوء (فمثل هؤلاء كـمثل وهدة يرتقيهـا كل عابر طريق !) لكنه قمر وّضاء وشـمس غامرة ، ولن يضيـر الأقمـار والشمـوس ، ولن يفيدها كـذلك ، نسك الزاهد أو لهو العابث . »

١٩-٢٥ جاء « شـانزى تشين » إلى « تسيكـون » ، وقال له : « أراك تتـواضع كـثيـرا مع أستـاذك (كونفـوشيـوس) فى أدب جم واحترام ظاهر ، أتـراه يستأهل كل ذلك (أتراه أقوى منك علماً وفـضلاً !) ، فـأجابه : « لايُعـرف الرجل إن كـان عاقـلا أو جـاهلاً إلا من كلمـة تبـدر عنه أو لفظة تشى بمكنون صـدره ، فالعاقل المهذب من أمسك لسانه ، أما عن المعلم ، فلا أظن أن أحد بيننا يسـتطيع أن يكون نّدا له ، ولا أظن أن من الحكمة أن يفكر أحد فى أن يبـلغ حد منازعتـه مكانته السامـية الرفيـعة ، فليس لعاقل أن يجرب ارتقاء أعـناق السحاب بسلّم ، وأحسب أن لو كانت مـقاليـد الأمور بيـده (شئون الحكـم) لحقق أمل

الناس ، وأصلح أحوالهـم ، وسلك بهم نحو الخيـر والسلام ، فما يدع لهم نفعاً إلا اجتلبه ، حتى يأتوه من كل صوب يأتمرون بأمـره ويتـآلفـون صفـاً ويدا وقلبـا واحـداً ، ثم إنه الآن ملء عـيوننا يشـرف بحياة مجـيدة ، وغدا تزهر ذكـراه بعدنا على طـول المدى ، فـأيـن أنا منـه ، وأنى لى بمثل هذا (الـشـرف العالى الجليل !) . »


محمد خطاب

الباب العشرين

« يويا »

وجملته ثلاثة فصول

٢٠-١ قال الشيخ « ياو » للامبراطور « شون » وهو يسلمه مقاليد الحكم فى البلاد : « . . المقدور كائن ياصاحب الجلالة ، وهاأنت تخلفنى على العرش بإرادة السماء ، فاحكم بالحق والعدل ، واعلم أن وراءك رعية مغلوبة على أمرها ، فارفع عنها البؤس والشقاء ، وإلا زال عنك الملك والجاه الأفخم . » ثم إن الامبراطور شون ، لما انفضت أيام حكمه أوصى خلفه الملك « يو » بالوصية نفسها . وكان الملك « دان » - أحد ولاة أسرة « شانغ » الملكية - يتقرب إلى السماء بصلواته ودعائه المأثور الذى يقول فيه : « لك (أيتها السماء) أزكى صلاة وأعظم قربان ، وللربّ ذى الملكوت أرفع عهدى وميثاقى ، ربّ قد نذرت ألا أسامح ظالما (من العامة !) وألا أدارى سوأة جبّار (من الوزراء والمسئولين) ربّ أدعوك ألا تؤاخذ الناس بذنبى ، ولاتضرّهم بما فرط منّى سهواً وغفلة ، ربّ فإن أخطأ أحد من شعبى ، فعلّى وزره ، وفى عنقى ذنبه ، فأنا المذنب والملوم . »

وفى عهد أسرة « تشو » الامبراطورية ، كان الزمان رخاء وحظا وفيراً لأهل التقوى والفضل والعلم من الناس ، فنالوا مالم ينله قبلهم أحد من الاقطاعات والألقاب والمناصب الرسمية الكبرى ، وكان الملك « أوانغ » يردد على سامعيه القول : « لقد حرمت أهلى وعشيرتى الأقربين وفضّلت عليهم أهل التقوى والفضل والأخلاق ، فأيما واحد من الناس اقترف إثما أو ارتكب فاحشة أو جريمة فأنا إذن المسئول . »

ولئن كان توحيد المقاييس والموازين ضمانا لمعيار العدل ، فإن تعميم النظم القانونية (المساواة فى الحقوق والواجبات) وإعادة الحقوق إلى أصحابها ، ورد الاعتبار إلى المبعدين والنابهين (كل ذلك) لجدير بأن يقود الناس إلى الاقتناع والرضا والتأييد الطوعى بإرادة حرة ، وينبغى أن يراعى مسئولو السلطة التنفيذية أربع نقاط أساسية ويضعوها نصب أعينهم ، وهى : الشعب (عامة الناس) ، والغذاء (توفير الغذاء) و الدين (تقديم القرابين)، والتقاليد (إقامة طقوس الدفن).

إن المعاملة الكريمة هى المصدر الأساسى للقبول والدعم الجماهيرى ، والجد مع الدقة والمهارة هما أساس النجاح ، كما أن العدل والعدالة أساس رضا الشعب وصادق إحساسه ببهجة (الكريمة) . »[١٠٣]

٢٠-٢ جاء « زيجانغ » الى كونفوشيوس ، وسأله ، قال : « ماهى الوسيلة المثالية الناجحة للقيام على شئون الحكم ؟ » فأجابه : « بأن تسلك الخمس النافعات وتنبذ أربعا فاسدات . » فسأله السائل عن الخمس الطيبات ، ماهى ؟ فأجابه المعلم : « اعلم أن العاقل من نفع الناس ومنع عن نفسه ، واذا ساقهم إلى الكد احترز أن يحملهم ما لا يطيقون وإذا عنّ له مغنم أخذه بغير ظلم أو بطش» فإذا خرج للناس أبدى ثقة فى غير تكبرّ أو رياء وتعرفه الناس بسيماء الاجلال والمهابة دون غلظة ، فهو يشمخ بأنف العزة كريما أبيّا ولايحدق شزراً بعين القسوة متجبرا شقيا ، وسأله زيجانغ : « كيف للمرء أن ينفع الناس ويمنع عن نفسه ؟ » فأجابه كونفوشيوس : « إذا وجّهت الناس نحو أمور نافعة بطبيعتها وطلبت إليهم أن يبذلوا جهدا مخلصا واعدا بنتيجة (نافعة) محققة ،أفلا يعود ذلك بتمام النفع خالصا من أية غاية ذاتية ! ثم إنك إذا فرضت عليهم أداء الأعمال فى أوقاتها (مواسمها) الطبيعية بغير ظلم أو إكراه فأنّى لهم بالشكوى والتذمر ؟! ولئن ألزمت نفسك بكريم الأخلاق واجتهدت بشرف المسعى ونبل الوسيلة ، فبلغت غاية أملك فمن ذا يجسر على اتهامك بالأنانية ؟

وإنى ناصح لك ، فاعلم بأن المساواة بين الناس من خير الفطن ، فلا تفّرق فى المعاملة بين قوى وضعيف أو بين عزيز ووضيع ، فتلك هى سبيلك إلى العزة والمنعة بغير رياء ثم إن حسن المظهر والتألق فى الملبس يضفيان على صاحب النفوذ لمسة

من الإجلال ، أفليس ذلك داعيا الى إشاعة روح التقدير فى نفوس العامة بغير داع للجوء إلى الغلظة والقسوة ؟ » وراح زيجانغ يسأله مرة أخرى : « فما هى الأربع الفاسدات إذن ؟ » فرد عليه المعلم ، قائلا : « إن الحكم (على الناس) بالإعدام ، بغير سابق جهد فى توعيتهم وتنوير وجدانهم ، يعد خسة ونذالة ، والمطالبة بعاجل الإنتاج بغير سابق نصح وإنذار ، لهو الطغيان بعينه ، ثم إن التساهل فى تحديد المهام إلى حد التراخى ، إذا أعقبه تعسف فى تحديد زمن وكم الانجاز يعد غدراً قبيحا ، وأخيرا ، فإغداق الوعود الكريمة مع التقاعس عن الوفاء بها ، هو شر البخل والتقتير ، فتأمل ذلك ! »

٢٠ -٣ قال كونفرشيوس : « لايصير المرء رجلا فاضلا إلا إذا وعى مغزى القدر ، ولايصبح مواطناً صالحا فى مجتمع إلا إذا فهم أصول الأعراف والتقاليد ، ولن يقدر الانسان ، أى أنسان أن يفهم الناس ، إلا إذا عرف كيف يميز الحق من الباطل ، الذى يقولونه بأفواههم . »

(تم الكتاب)

(*) المصدر الأصلى المترجم عنه الكتاب :
سيشوتشواتى « الكتب الأربعة »
تحقيق ومراجعة : ليوجونتيان ، ولين سونغ
درار نشر قويتشورنمين . مطبعة جيانغشى - الصين الشعبية
بتاريخ ١٩٨٨ (بالصينية)
ISBN 7-221-00196-0/G.53

(*) المترجم : محسن فرجانى ، بكلية الألسن

(*) الترجمة عن الصينية مباشرة ، وهى للتوثيق أول ترجمة كاملة يقوم بها عربى عن النص الأصلى مباشرة ، إذ سبق ترجمتها إلى العربية بواسطة بعض الدارسين الصينيين ، منهم الشيخ محمد مكين المبعوث الصينى إلى الأزهر الشريف فى عشرينيات هذا القرن .

الهوامش

١ - يحتوى كتاب « المحاورات » على عشرين باباً ، تتركّب أوائل عناوينها من النطق الصوتى المجرّد لأول كلمتين بالمتن الأصلى ، أى على الطريقة التوارتية القديمة فى تسمية أوائل الأسفار بمفتتح آياتها .

٢ - سنغ زى : أحد تلاميذ الفيلسوف (٥٠٥ق.م - ٤٣٦ ق.م) اسمه الأصلى سنشن ، ولقبه « زايو » ، اشتهر بفضائله وحسن أخلاقه ، وينسب إليه تأليف كتاب « العلم الكبير » أحد الكتب الأربعة التراثية فى تاريخ الفكر الصينى القديم .

٣ - زيشيا : أحد التلاميذ (٥٠٧ ق.م - ؟) اسمه الأصلى بوشانغ . وقد عمل لفترة ما حاكماً عاما لأقليم « جوفو » بدولة « جين » القديمة . اشتهر ببراعته فى الدراسات الأدبية ، وأشيع أنه أول من دوّن مخطوطة « كتاب الأغانى » و « حوليات الربيع والخريف » وكلاهما من أهم كتب التراث الصينى .

٤ - زيشين : اسمه الأصلى شن كانغ ، لقبه « زيكانغ » ، لايكاد يُعلم عنه شئ أكثر من ذلك فى ملفات التراث القديم .

٥ - تسيكون : أحد التلاميذ (٥٢٠ ق.م - ؟) اسمه الأصلى « دوانموسى » ، اشتهر بفصاحته وبراعة بيانه ، حتي قيل « إن السماء منحته لساناً ذهبيا يقطر لؤلؤاً وياقوتا .

٦ - يوزى : أحد التلاميذ (٥١٨ ق.م - ؟ اسمه الأصلى يوروا .

٧ - ربما شاع فى زمن كونفوشيوس اتجاه نقدى يرى الشعر بوصفه إبداعا سلبيا منافيا للذوق والأخلاق ، ثم جاء كونفوشيوس فدعا الشعراء إلى الالتزام بالصدق والجمال وسلامة التعبير والأداء مقابل النظم المبتذل الرخيص والمتنحي عن القيمة ، من هنا كان التأكيد على « الطهر » فى كتاب الشعر القديم ، وكونفوشيوس بجانب هذا كله يرى قيمة الشعر بوصفه أساسًا للتربية الوجدانيه والأخلاقية ، وفى تحليل تراثى للعباره هنا ، يخلص تأكيد الفيلسوف على صياغة فنية مؤجزه ترتكز على : المحتوى - الواقعية - الموقف الإبداعى . ويقال بأن تعليق كونفوشيوس هذا كان أول ماقيل فى تاريخ النقد الأدبى الصينى .

٨ - مينيتز : من أشهر رجال البلاط فى دولة « لوغو » ، كان يتردد على كونفوشيوس ، ويستمع إلى محاضراته .

٩ - زايو : (٥٠٦ق.م - ؟) أحد تلاميذ كونفوشيوس ، اسمه الأصلى يانفان ، اشتهر بعبقريته الأدبية وعمل لفترة حاكما عاما لأقليم « أوتشن » فى دولة « أوغو » القديمة .

١٠ - « يو » (٥٤٢ ق.م - ٤٨٠ ق.م) أحد تلاميذ الفيلسوف ، اسمه الأصلى « زيلو » ، اشتهر ببسالته وفروسيته ، أصيب بطعنه نافذة ، مات على إثرها ، وذلك أثناء أحد الأنقلابات الدموية بين صفوف النبلاء .

١١ - « زيجانغ » . . أحد التلاميذ (٥٣٠ ق.م - ؟) اسمه الأصلى توانسون شى .

١٢ - « جيكانزى » . . من رجال البلاط الحاكم ، فى عهد مملكة « لوكو » ، اسمه الأصلى ، جيسون فاى .

١٣ - هذه العبارة ، فى حقيقتها ، تكرار للعبارة رقم « إحدى عشر » الواردة فى الباب الأول « شيوآر » .

١٤ - كونغ ايشانغ ، أحد تلاميذ كونفوشيوس ، لقبه زيشانغ ، وهو من مواطنى دولة « لوكو » القديمة ، كان يمت بصلة مصاهرة للفيسلوف ، فهو زوج ابنته ، وقد زعمت كتب التاريخ أنه كان غزير العلوم ، حتى أنه أجاد لغة الطير .

١٥ - زيجيان (٥٢١ ق.م - ؟) اسمه الأصلى بوتشى . من مواطنى دولة « لوكو » القديمة .

١٦ - شيدياو كاى (٥٤٠ ق.م - ؟) اسمه الأصلى تسيكاى ، من مواطنى « لوكو » ، اشتهر بأدبه الجم وأخلاقه الفاضلة .

١٧ - منغ أويو : أحد أمراء مملكة « لوكو »، اسمة الأصلى جونسوين تشى .

١٨ - رانشيو (٥٢٢ ق.م - ٤٨٩ ق.م) اسمه الأصلى « زايو » ، عمل لفترة وزيرا فى مملكة « لوكو » القديمة .

١٩ - كونفشى تشى : اسمه الأصلى « زيهوا » من مواطني مملكة « لوكو » القديمة . اشتهر بإجادته شئون المراسيم والطقوس .

٢٠ - **يان هوى** : (٥٢١ ق.م - ٤٩٠ ق.م) اسمه الأصلى « ريهوى » ، من مواطنى « لوكو » ، اشتهر بغزارة علمه وحسن أخلاقه ، فلما مات ، فجع كونفرشيوس بوفاته ، وحزن عليه حزنًا شديدا .

٢١ - **شن جان** : اسمه الأصلى « زيجو » ، ولم يرد عنه الشئ الكثير فى كتب التراث القديم .

٢٢ - **ريشان** : (؟ - ٥٢٢ ق.م) هذا هو اسمه الأصلى ، ويدعي أيضا كونسون شياو ، تولى أحد المناصب الرسمية فى بلاط مملكة « تشيغو » .

٢٣ - **يان بين جونغ** : (؟ - ٥٠٠ ق.م) اسمه الأصلى « يانينغ » ، تولى منصبا رفيعا فى مملكة « تشيغو » .

٢٤ - **سان أونجون** (؟ - ٦١٧ ق.م) اسمه الأصلى أونجون ، تولى منصبا وزاريا فى حكومة مملكة « لوكو » .

٢٥ - **نينغ أوتسى** : اسمه الأصلى « نينغ يو » ، مسئول عظيم بدولة « ويغو » .

٢٦ - **بويبى** ، **وشوتسى** : كان شقيقين ، أبوهما هو الأمير كوجو ، أدرك أواخر سنوات حكم أسرة « شانغ » ، وقد نصب الولد الأكبر « شوتسى » خلفا له ، فلما قضى أجله ، وافق شوتسى أن يتنازل لأخيه الأصغر عن العرش ، لكن هذا الأخير رفض بشدة ، ثم إنهما ، ذهبا فيما بعد ليحتميا بقصر « آل جو » وقد اتخذا موقفا معارضا إزاء الحملات التأديبية التى كان يشنها صاحب القصر .. الملك « جو » ضد أسرة « شانغ» ، فلما قضى الملك على دابر تلك الأسرة ، هرب الشقيقان إلى كهف بجبل « شويان » ، حيث امتنعا عن الأكل احتجاجًا .. وفضّلا الموت جوعًا على أن يقربا الطعام الذى كان يأتيهما من القصر الملكى .

٢٧ - **ويشنكاو** : رجل اشتهر بالكرم ، دون وجه حق يوجب ذلك .

٢٨ - **ران يونغ** : (٥٢٢ ق.م - ؟) اسمه الأصلى « جونكون » ، من مواطنى « لوكو » ، من أسرة اشتهرت بالتواضع الجم .

٢٩ - **كون شيهوا** : اسمه الأصلى « ريهوا » من مواطنى « لوكو » ، اشتهر باجادته لقواعد الأخلاق ، ومعرفته التامة بشئون المراسم وأصول المعاملات الاجتماعية .

٣٠ - **يوانس** : (٥١٥ ق.م - ؟) يدعى أيضا يوان شيان ، اعتزل المجتمع بعد وفاة كونفرشيوس ، وظل بقية حياته معتكفا وحده فى بيته .

٣١ - **متيزيشيان** : (٥٣٦ ق.م - ٤٨٧ ق.م) اسمه الأصلى مينسون ، لقبه ريشيان ، أحد تلاميذ كونفوشيوس .

٣٢ - **بونيو** : (٥٤٤ ق.م - ؟) اسمه الأصلى رانكنغ ، اشتهر بين تلاميذ كونفوشيوس بالأخلاق الكريمة والأدب الجم .

٣٣ - **دانتاى مينينغ** : (٥١٢ ق.م - ؟) من مواطنى دولة « لوكو » - مقاطعة شانتونغ ، بحسب التقسيم الادارى لجمهورية الصين الشعبية حاليًا - ١٩٩٨ م - وكان برغم قبح منظره ، طيب الخلق ، مهذب السلوك .

٣٤ - ورد فى أحد فصول كتاب « سجلات تاريخية » راوية أخرى لتلك الحادثة ، نصها : كان رجل يقيم بولاية أوتشنغ ، وكان دميم الوجه ، بشع المنظر ، ثم إنه قصد إلى كونفوشيوس وصار واحدًا من تلاميذه ، وكان المعلم يزدريه ، ولايحسن النية به ، فلما أتم زمنا على يد أستاذه ، تفقه فى العلم ، وعاده إلى بلده ، واجتمعت له صفات حسنة للغاية ، فصار يترقى فى التحصيل والأخلاق ، حتى قصدت إليه مواكب الطلاب ، تسأله وتستفتيه ، فذاعت شهرته وشهدت الناس له بمكارم الأخلاق ، وبلغ كونفوشيوس شيئا من هذه الأخبار ، فقال : « إنها قد غلبت علىّ جهالتى ، فمن الخطأ أن يؤاخذ الناس بسيماهم . » وحسب سياق النص الأصلى المروىّ فى متن « المحاورات » وباستقراء ما توحى به عبارة « زايو » هنا ، فالمرجّح أن زمن الخطاب كان سابقا على مرحلة اتمام « دانتاى » لدروسه ، والعودة إلى موطنه .

٣٥ - **جاو** : أمير فى مملكة « سونغ » ، اشتهر بمكارم الأخلاق .

٣٦ - **جوتو** : كان مسئولا عن إقامة طقوس العبادة فى قاعة المعبد الامبراطورى إبان حكم دولة (ويغو) .

٣٧ - فكرة « السوقية » هنا تحتمل مداخل فكرية وسياقات تأويل متعددة ، خاصة عندما يتعلق الطرح هنا بظلال تكتنف فى قليل أو كثير مجهود الابداع الأدبى / أو النقدى ، ولابد أن القارئ - ببداهة - سيعيد مقولات كونفوشيوس إلى منطق زمانها وارتباطاتها بظروف التراتب الطبقى الاجتماعى السائد فى زمانها . ولايخفى على القارئ الكريم أن هذه النصوص وغيرها من عيون التراث الصينى القديم ، تعرضت - وربما ماتزال - لتقييم نقدى - تجاوز حد التطرف أحيانا - على مدى سنوات شهدت ايديولوجيات استهدفت تأسيسات اجتماعية شاملة وجديدة ، بطرح بديل فكرى أكثر انطلاقا وتطوراً .

٣٨ - القاعدة الأساسية فى الفكر التربوى الكونفوشى ، هى أن يكون التعليم بحسب الاستعداد الذهنى الطبيعى للدارسين ، وكان المعيار الأساسى فى التقسيم يعتمد على ثلاث درجات أصلية ، هى : النابغون ، فالمتوسطون ، فالمتخلفون ، وفى أحد التأويلات ، ورد معيار آخر يعتمد الاستعداد الفطرى لدى الدارسين ، ينقسم إلى تسع درجات ، كالتالى : -

« أول الأول - متوسط الأول - آخر الأول .

أول الأوسط - متوسط الأوسط - آخر الأوسط .

أخير متقدم - متوسط الأخير - آخر الأخير » .

وأول الأول هو العبقري الأشد ذكاء بالفطرة ، وآخر الأخير هو النقيض لذلك ، وعلى أساس هذا التقسيم يصير من الممكن تدريس العلوم المركبة شديدة التعقيد فقط للأنواع الأربعة قبل « متوسط الأوسط » .

٣٩ - فانش : (٥١٥ ق.م - ؟) أحد تلاميذ كونفوشيوس ، اسمه الأصلى ريشى ، من مواطنى دولة « تشيغو » .

٤٠ - نانزى : هى السيدة « لى » ، إحدى أميرات أسرة سونغ الملكية ، تزوجت من الدوق « لينغ » أمير مقاطعة « واى » ، وقد اشتهرت السيدة نانزى بشبقها الجنسى الزائد ، وعلاقاتها المشينة وفضائحها مع رجال القصر .

٤١ - « ياو » ، « شون » ، « يوى » : ثلاثة أباطرة فى الصين القديمة ، اشتهروا بالحكمة ، وتروى سجلات التاريخ أن الامبراطور « ياو » قضى ثلاث سنوات وهو يراقب الأمير « شون » ويفحص أحواله ، قبل أن يختاره خلفاً له ، وفعل « شون » الشئ نفسه مع خلفه « يوى » ، وظلت تلك القاعدة تتوارث باعتبارها تقليدا أساسيا فى ترشيح وتنصيب الأباطرة لخلفائهم على العرش ، وهو التقليد الذى ذاع فيما بعد ، تحت اسم : « مراسم تسليم التاج » .

٤٢ - لاوتسى : مفكر صينى ، عاش فى نهاية فترة « الربيع والخريف » (٧٧٠ ق.م - ٤٧٦ ق.م) وهو « مؤسس المدرسة الطاوية » .

٤٣ - « بنغ زو » : شخصية خرافية .

٤٤ - جوكونغ : ابن الملك « أون » حاكم دولة « تشوغو » ، ويعد المؤسس الأول لملكة « لوكو » ، ويقال بأنه هو الذى وضع نظام الطقوس والشعائر لدولة « تشو » الغربية ، كان كونفوشيوس يعده من أفضل حكماء الزمان .

٤٥ - فى المتن الأصلى ، فإن كلمة « سوشيو » تقبل تأويلات كثيرة فى الصينية الكلاسيكية ، منها : « ضفيرة شعر مزينة بقطعة من الحرير » أو القماش الملون ، للدلاله على بلوغ سن النضج . وكان من المعتاد لمن بلغ الخامسة عشرة من الذكور أن يعقد هذه الضفيرة فوق راسه . هذا ، وهناك دلالة أخرى ، مفادها : « قطعة كبيرة من اللحم المجفف » . . تُقدم للمعلم نظير حصص درس خاص .

٤٦ - **هوان كوى** : ضابط عظيم بدولة « سون » كان يدبّر لاغتيال كونفوشيوس ، أثناء اقامة طقوس العبادات ، وانكشفت المكيدة ، ووراح التلاميذ يستحثون كونفوشيوس على مغادرة المكان خشية تكرار المحاولة ، فهدأ من روعهم وقال هذه العبارة .

٤٧ - كان مفروضا - حسب التقاليد - أن تلقب السيدة « أو منغسى » ، وهى السيدة الأولى فى مملكة « لوكو » حينئذ ، بلقب « أوجى » ، ومن ثم ، فقد كان احتفاظها بهذه التسمية (أومنغسى) محاولة لحجب حقيقة اشتراكها فى اسم العائلة مع زوجها الأمير ، والمقرر آنئذ هو أن يبطل مثل هذا الزواج ، وإلا عد انتهاكاً فاحشا لأعراف مستقرة وضوابط معلومة بالاتفاق الجمعى ، فمن هنا كانت ملحوظة شن سباى » التى أمّن عليها كونفوشيوس متحملا اللوم - بلباقة - ومفضلا إياه على الخوض فى أمور شخصية تمس هيبة الأسرة الحاكمة .

٤٨ - **تايبو** : الابن الأكبر للأمير « دانفو » وهو الجد الأكبر للأسرة الأمبراطورية ، المعروفة باسم : أسرة « جوكو » وكان للأمير ثلاثة أولاد : « تايبو » ، « جوينونغ » ، « جيلى » ، ثم إنه أوصى بالعرش لهذا الأخير ، متخطيا بذلك أخيه الأكبر « تايبو » ، ورغم ذلك فقد وقف الأخ الأكبر إلى جوار الملك الجديد ، أخيه الأصغر ، احتراما لوصية الوالد ، وولاء لقواعد السلوك «شائج القربى ، مظهرا بالغ الود والاحترام ، فمن ثم كان تعليق كونفوشيوس فى هذا الفصل .

٤٩ - **تسنغ زى** : (٥٠٥ ق.م - ٤٣٦ ق.م) من مواطنى أو تشنغ - مقاطعة شاندونغ حاليا - اشتهر بولائه واحترامه للتقاليد الأسرية ، ويعزى إليه تأليف كتاب « العلم الكبير » .

٥٠ - السيد « يو » : المؤسس الأول لأسرة « شيا » الحاكمة ، اشتهر باصلاحاته الكبرى في مجال الرى ، ومشروعات مواجهة الفيضان .

٥١ - تظهر العنقاء ، بحسب ما ترويه الأساطير الصينية ، فى أزمنة تسودها ملامح النهضة والتطور الحافل ، مثلما يظهر أيضا حصان مجنّح على هيئة تنين عظيم يحمل على ظهره لوحة النبوءات الكبرى . »

٥٢ - **يان يوان** : هو نفسه « يان هوى » . . . راجع هامش رقم (٢٠) .

٥٣ - كان المتبع حينئذ أن يقتصر اتخاذ الخدم والحشم على الوزراء وكبار رجال الحكم ، وفى مناسبات كبرى ، كجنازة أو غير ذلك كان ينصرف الاهتمام الى إبراز الواجهة الاجتماعية للمتوفى ، وبرغم شغل كونفوشيوس منصب « الوزير » فى فتره ما ، إلا أنه اعتزل المنصب ورفض فكرة مرافقة الخدم والأتباع له ، وهنا يعود ليرفض القيود الشكلية مرة أخرى .

٥٤ - المجار هنا يشير إلى « المثقف الذكي العاقل » الذى يساوى قيمة « جوهرة كريمة » ، والمفاضلة تقوم بين أن يعتزل بكرامة أو ينخرط فى العمل العام ، ويصبح طرفا فى معادلة المثقف / السلطة . . . تلك القضية القائمة أزلاً . . . وكونفوشيوس يفضل الخيار الثانى ، على أن عنصر الحسم هنا ، أو شرط المفاضلة ، بوضوح هو معيار التقدير العادل ، حيث تنتهى المبادلة بجوهرة ثمينة فى يد خبير عارف وبثمن مكافئ . . . وتستقيم أطراف المعادلة كلها : بالرجل المناسب فى مكانه المناسب وبالتقدير الملائم تماما .

٥٥ - تنقسم القصائد فى كتاب « الشعر القديم » إلى هذين القسمين وكتاب الشعر هو أقدم مجموعة من القصائد الصينية ، وجمعها كونفوشيوس فحققها وصنفها ، وأعدها بالشكل الذى صارت تطبع به وتوزع من بعده .

٥٦ - جرت العادة فى الصين قديما ، أن يصحب الوزراء ملوكهم أثناء حفلات تقديم القرابين « لروح الموتى » ، فكان ينال الواحد منهم قطعة من اللحم المقدس ، من باب المجاملة ، ولما كانت الأعياد تستمر مدة يومين كاملين ، فقد اضطر بعضهم إلى تناول حصته فى اليوم الثالث . وكان رأى المعلم أن اللحم يتلف ولايصلح طعاما آدميا فوق ثلاث ليال .

٥٧ - هذا الفصل تكرار لما جاء فى متن الفصل الخامس عشر من الباب الثالث .

٥٨ -تتفق بعض التحليلات التراثية الصينية على صعوبة تقديم اجتهاد تأويلى واضح لهذا الفصل ، لذلك فقد بقى ، بألفاظه الحالية ، متعصيا على الفهم والشرح والتفسير لدى مختلف المدارس الكونفوشية ، والسبب فى ذلك يرجع - تقريبا - إلى الأخطاء اللغوية الكامنة فى بنية المتن الأصلى ، أو لتسرب بعض الألفاظ الى هذا المتن ، سواء : بالنقد - أو الحذف - أو الإضافة ، أثناء عملية الاملاء

٥٩ - « تشين » ، « ساى » مدينتان ، كان كونفوشيوس أثناء تجواله بهما ، فقد الأثر وضل الطريق ، وكان تلامذته معه ، ثم إن طعامهم نفد ، وقاسوا أهوالا ، فلما اهتدوا إلى مملكة « لوكو » ذهب كل إلى وجهته ، وشغلتهم الحياة ، فمن ثم كان التلميح مشحونا بـ (نوستالجا) الحنين والتذكار .

٦٠ - القصيدة التى كان يرددها « نان رونغ » كثيرا هى قصيدة « باكوى » أو « الجوهر الكريم » وقد وردت فى كتاب القصائد ، ومن أشهر أبياتها (التى تغنى بها نان رونغ) :

« لاعليك من حبة رمل
علقت بوجه ياقوتة زهراء
تلك . . أمور بسيطة
تلك كذبة بيضاء
قلها . . ولكن . .
حذار من كلمة قاسية
مدبية . . . قاتلة . .
فليس أقتل من حروف الكلمات . . »

٦١ - توانسو شى (٥٣٠ ق.م - ؟) اسمه الأصلى « زيشانغ » ، تلميذ كونفوشيوس ، من دولة « تشنكو » .

٦٢ - بوشانغ (٥٠٧ ق.م - ؟) اسمه الأصلى زيشيا ، من مواطنى « جينكو » ، عمل محافظا لمقاطعة « جوفو » ، ويعتقد بأنه نقل وحقّق الكثير من روائع التراث الصينى القديم عن كونفوشيوس مباشرة ، من هذه الروائع : « كتاب الشعر القديم » ، و « حوليات الربيع والخريف » .

٦٣ - كان « رانشيو » وكيلا لأعمال « جيسون » ، وقد أراد هذا الأخير أن يزيد مقدار الضريبة المفروضة على الاقطاعيات ، وأرسل « رانشيو » يسأل كونفوشيوس « النصيحة ، فأجابه ، ونصحه صراحة بزن يعدل عن الفكرة ، إلا أن رانشيو اتبع أهواء جيسون ، ونفذ قرارات فرض الضريبة ، فساءت أحوال الناس نتيجة لتفاقم الاستغلال ، فمن هنا ، نبذه كونفوشيوس ، وطالب تلاميذه بأن يطاردوه ليكشفوا أمره .

٦٤ - **كونشاى** : أحد التلاميذ ، كان قصيراً ، ربعة ، وبرغم غبائه الشديد ، فقد اشتهر باخلاصه ووفائه لأسرته .

٦٥ - **تسيكاو** : هذا هو اسمه الأصلى ، وقد عمل حاكما لأحد الأقاليم التابعة لدولة « تشوكو » فى الصين القديمة . أحيانا يلقب بـ « شن جولين » .

٦٦ - **سيمانيو** : من دولة « شونغ » ، كان خطيبا مفوّها ، صاحب بلاغة وبيان وفصاحة . .

٦٧ - تعليق كونفوشيوس هنا يتعلق على نحو خاص بسلوك « سيمانيو » المشين فى أحاديثه ، باندفاعه الزائد فى القول دون التبصّر بالعواقب ، فلما ذهب ثلاثة من التلاميذ وسألو كونفوشيوس عن التسامح ، قام « سيمانيو » وسأله مثلهم ، وبالطبع فقد أعطى الفيلسوف لكل واحد إجابه تتجادل بطرافة وملائمة مع طباع السائل .

٦٨ - **يورو** : هو نفسه . . « يوزى » - أحد التلاميذ - . . راجع رقم (٦) من الهامش .

٦٩ - جاء فى نهاية المتن الأصلى لهذا الفصل ، اقتباس شعرى من « كتاب القصائد » عبارة عن أبيات شعرية قليلة ، تقص حكاية فتاة تزوجت وأقامت بمنطقة نائية مع زوج يحب التغيير ، لمجرد الولع بالمظاهر وحب الاستعراض ، مما أوعز صدر الزوجة ضده ، الأبيات تقول :

كل ألوان الطيف بقلبك . .
قلب مطاطىّ ،
لايثبت ، لايفزع
لايعرف إلا البغض لماضى السنوات
ينذ أحلى الذكريات
ويلهث ضراعة لليال وهمية
شعائر طقوس حجرية . . . (الخ . . . الخ) .

وقد ظلت هذه الأبيات لغزا محيرا أمام المفسّرين ، وتميل معظم آراء النقد الكلاسيكى إلى اعتبارها نقلاً مشوها ، أو خطأً فى ترتيب فصول المتن - القديم ، إذا لاتلتحم عضويا بنص السّرد السابق عليها . (المترجم) .

٧٠ - هناك جملة أخرى ملحقة فى نهاية النص الأصلى ، ترجمتها : « لقد عرفت « ريلو » زمنا ، فهو الرجل الذى لايحنث أبدا بوعوده . » وكما هو واضح ، فليست هناك رابطة منطقية بينها وبين جذر المعنى فى السرد الأصلى للنص ، لذلك ، يعدها بعض النقاد حشواً ارتجاليًا ناتجا عن خطأ في التبويب القديم
(المترجم) .

٧١ - سنشن : هو نفسه « سنغ زى ، راجع الهامش رقم (٢) .

٧٢ - كانت دولة « ويقو » تمر بأزمة صراع حاد على السلطة بين أفراد العائلة الملكية فى زمانها ، وفى أجواء تغلى بالأزمات ، سقطت معايير وتقاليد ومواضعات اجتماعية مرتبطة بحدود الدور الاجتماعى والطبقى لكل من : الوالد - الابن - الأمبراطور - الوزير ، لذلك رأى كونفوشيوس ضرورة الرجوع الى المعيار الأهم وهو تصحيح نظام « الترابت الاسمى » الذى يمكن أن يحفظ الكيان كله من الفوضى والاضطراب .

٧٣ - كانت دولة « لوكو » فى الأصل إقطاعية تتبع « جيدان » أمير مملكة « جو » ، بينما كانت دولة « ويقو » تخص الأمير « كانشو » شقيق « جيدان » ، وكانت العلاقات بين الدولتين طيبة للغاية ، تماما كنظم حكمهما المتماثل ، فمن ثم كانت مقولة كونفوشيوس تتضمن تورية خفية
(المترجم)

٧٤ - كان الأمير « جينغ » يشغل منصبا بارزا فى دولة « ويقو » وكانت مظاهر الثراء فى عهد الممالك القديمة تقليدا شائعا بين أمراء الاقطاع ؛ فمن ثم كانت ملحوظة كونفوشيوس حول بساطة الأمير وسلوكة المقتصد المتقشف ، . . مفارقة استلزمت الانتباه والتقدير .

٧٥ - لاحظ أن جذر فلسفة الأخلاق عند كونفوشيوس يتمثل فى مبدأى : « عطف الآباء » « والبر بالوالدين » .

٧٦ - كتاب التغيرات : أحد أهم كتب التراث الصينى القديم ، يجمع بين علوم : الفلك ، والسحر والتنجيم .

٧٧ - يوانشيان : (٥١٥ ق.م - ؟) أحد تلاميذ كونفوشيوس ، وقد اعتزل المجتمع بعد وفاة أستاذه ،ولزم بيته فيما بقى من عمره .

٧٨ - **الملك « يوانغ »** : تروى السير أنه كان حاكم إقليم « يوشونغ » فى عـهد أسرة « شيا » الحاكـمة ، وكان بارعًا فى الرماية ، وقد قـيل أنه بعـد استيـلائه على الحكم بالقـوة من يد الملك « تايكانغ » ، جـري اغـتيـاله هو الآخـر - بالغـدر - على يد الوزير « هانجو » .

٧٩ - **الحاكم « ياو»** : تروى السير الشعبيـة أنه ابن « هانجو » - المتقدم ذكره - وكان مقداما جريئا بارعـا فى فنـون القتـال البحـرى ، وقـد قـتـل على يد الأمـبراطـور « شاوكان » .

٨٠ - **الأمبراطور « يو »** : كان - حسب النصوص التراثيـة - امبراطورا حكيما فى زمانه ، حـقق انجازات ضـخمة فى إقـامة الخـزانات والسدود المائيـة ، وفى الاصلاح الزراعى بصورة عامة .

٨١ - **السلطان « چى »** : المؤسس الأول (المزعوم !) لأسـرة « تشو » الحاكـمة ، وهو الذى علم الصينيين كيفية زراعة الحبوب ، حتى اتخذه القدماء إلها للمزارع .

٨ ٢ - كان « رانوشون » مسئولا عظيما بمملكة « لوكو » ، كان قد توقع ، بتصوراته الدقيـقة النافذة ، سقـوط أمير أقطاعيـة « شوانغ » ، فقد اسـتقالته ، واقتـرح سحب اختصاصات الاقطاعـية منه ، فما انقضت مدة من الزمن ، حتي سقط الأمـير مضرجًا فى دمائه إثر عملية اغتيال ، فاشتهر برؤيته الثاقبة :

٨٣ - كان الأمير « أونكون » واحدا من أشهر القادة فى الفترة التاريخية المعروفة بـ « حقبة الربيع والخريف » فى التاريخ الصينى القديم ، وقد أجبر كل الأمراء على تقديس ملك دولة (جوكو) ، لذلك أعتبره كونفوشيوس منافقاً ، أما الأمير « هوانكون » فهو أيضا من أبرز رجـال الفترة التاريخـية نفسهـا ، وقد قام بحمـلات تأديبـية فى المناطق النائية ، وضمها تحت سيادة ملك دولة « جوكو » فى شجاعة وتفان ، لذلك تحدث عنه المعلم بإعجاب .

٨٤ - **« ويشن مو »** : شخص غيـر معروف ، يرجح - حسب السـياق - أنه رجل كبير السن .

٨٥ - الرجـال السبـعـة ، هم : بواى - شـوتشن - آيجـون - آيبى - جوجـان - ليوشياوى - شاوليان . »

٨٦ - **يوان وان** : واحـد من المقربين إلى كونفوشيـوس ، وكـان مـشايعا للفلـسفة « اللاوية » ؛ ومن ثم فقد كان أكثر تحرراً وانبساطا فى سلوكه !

٨٧ - زانوشون : (؟ - ٦١٧ ق.م) وزير شئون الدولة فى « لوكو » .

٨٨ - تتفق مـعظم اتجاهات التـفسير التراثى الصينى على صعـوبة ايجاد التـخريج الترجمي المناسب لدلالة هذا الفصل الذى يحمل فى تركـيبه الظاهر (جزئيًا) قدراً من الخلل ، يفصل المقدمـة عن متنها ، فيحـرمها الرابط السببى المناسب ، وبعـد ، فهذه محاولة متواضعة للتفسير فى طيات الترجمة العربية التى بين يديك

(المترجم)

٨٩ - **توانيو** : دويلة تابعة لمملكة « لوكو » الخاضعـة لحكم « آل جيسون » ، لكنها لم تكن على وفاق مع المملكة الأم ، فمن ثم خشى الأمير « جيسون » أن تستطيع هذه الدويلة أن تتآمر على الأسرة الحاكمة - خصـوصا عندما أوت أحد ألد خصومها . . - فانعقدت فوق سمائها سحب الحرب .

٩٠ - **الأجيال الخمسة** : فى زمن ذلك السرد ، كانت السيادة الحـقيـقية فى مملـكة « لوكو » قد انتقلت - بالتوالى - إلى الأجيال الخـمسة التالية : الأمير شوان ، شنغ ، شيان ، جاو ، دينغ ، أما الحقب الأربع ، فهى فـترات الحكم التى احتكرت فيها أسرة جيسون السلطة النافذة فى المملـكة ، وهى الفترات التالية : أونزى - اوزى - بينزى ، هوانزى .

٩١ - وردت فى نهاية هذا النص عبـارة ، ترجمتها : « وجاء فى كتـاب القصائد ما يلى : لم يكن ميراثا من ذهب

لم تكن تلك يواقيت . .

وشقائق نعمان ،

بل كان زمان

والضيلة يومئذ

عروس وتيجان . »

وليست هناك رابطه منطقية بين هذا الجـزء وما قبله ، ولعله خطأ فى ترتيب نصوص المتن الأصلى . (المترجم) .

٩٢ - « يانهو » : كان وزيرا لدى أسرة جيسون الملكية ، اشتهر بنفاذ السطوة ، وكان جليلا مهابا ، وبحسب سياق المتن الذى بين ايدينا ، فهو يحرض كونفوشيوس على قبول العمل لدى البلاط الحاكم ، بينما المعروف تاريخيا أن كونفوشيوس لم يتول أى منصب رسمى خلال الفترة الى شغل فيها « يانهو » منصب الوزارة المسئولة . »

٩٣ - كان « بيشى » وكيلاً فى إدارة « فالجوتشين » - أحد وزراء دولة « جينكو» - ولما كان « جاوجيانز » يتحرش بهذا الوزير ، مستظلاً بحماية أحد الأمراء فقد لجأ « بيشى » إلى « جونمو » واتخذها قاعدة للتمرد والعصيان ، فمن هنا أرسل فى طلب كونفوشيوس ليستشيره فى أمور كثيرة ، خصوصا وأن المعلم ، كان يرى فى هزيمة « فالجو تشين » نهاية مؤكدة - ومريرة - للدولة « جينكو » ، فلهذا وقف إلى جانب « بيشى » بالدعم والتأييد . »

٩٤ - كان اللون الأحمر - فى الصين القديمة - من الألوان المفضلة ، رسميًا وشعبيًا ثم حدث تحول جذرى فى تفضيل الألوان أثناء فترة الربيع والخريف التاريخية عندما ارتدى بعض الأمراء ملابس بنفسيجية اللون ، وكنتيجة ، حلّ البنفسجى محل الأحمر ، فمن ثم كان تعليق كونفوشيوس . »

٩٥ - « روباى » : أحد صغار الموظفين بملكية « لوكو » ، يقال بأنه تفقه على كونفوشيوس فى أصول مراسم الدفن والجنازات الملكية .

٩٦ - « ويتس » : الجد الأول لدولة « سوننغ » من أسرة « تشو » الأمبراطورية ، أقطعه أخوه الملك « جو » بعض الأراضى الواقعة بدويلة « ويقو » ، فلما دبت الاضطرابات فى أنحاء المملكة ، راح يقدم نصائحه للملك الذى تعصب كثيرا لرأيه ، وصم أذنيه عن الآراء الاصلاحية ، فقام « ويتس » وحمل استياءه ورحل عن البلاد ، أما « جيتس » ، فكان أحد نبلاء دويلة « شانغ » (وهو عم الملك تشو) وكثيرا ما تقدم بالشكاوى إلى جلالته ، وكانت التقاليد تقضى بأن من رفضت شكاواه المقدمة إلى القصر عدة مرات ، يجبر على ارتداء أسمال بالية ويتصنع الجنون ، فاضطر الى التجوال على غير هدى وهو يهذى فى الطرقات ، أما « بيكان » فكان أحد أعضاء النبالة الملكية أيضا (وهو عم الملك تشو) وكان يشغل منصب كبير مساعدى صاحب الجلالة وقد تم الحكم باعدامه والتمثيل بجثته (اخراج القلب من وسط القفص الصدرى بعد تمزيقه) وذلك ، بسبب تقديمه شكاوى كيدية ضد الملك .

٩٧ - هويليوشيا : اسمه الأصلى « جانهو » ، موظف عظيم بمملكة « لوكو » .

٩٨ - كانت مآدب الغذاء الامبراطورية الفاخرة تقام بمصاحبة العزف الموسيقى فى زمن الأباطرة الصينيين ، فمن ثم جاءت تسمية موسيقار القصر الأول (قائد العزف على مأدبة الأفطار) ، وموسيقار القصر الثانى (قائد العزف على مأدبة الغداء) . . . الخ .

٩٩ - لاتذكر المصادر القديمة شيئا بالمرة ، عن هؤلاء الأشخاص الثمانية .

١٠٠ - لابد أن القارئ سيراجع مقولة « زيشيا » - بل المحتوى الفلسفى لكتاب « المحاورات » كله نقديا ، ليضع الانتاج النظرى هنا أمام خلفيته التاريخية ، بظلالها الاقتصادية والاجتماعية والفكرية - محتواها الحضارى والثقافى . . يعنى - قبل استعجال أى مقارنة أو علاقة تأويلية بين حدود النص - بظاهر دلالته ، كما هى منقولة الى العربية ، ومساحة الاستعارة الفلسفية الممكنة لهذه الدلالة إقليميا .(المترجم) .

١٠١ - تلك هى الترجمة الذائعة لهذا الفصل ، لكن - وأنا أنقل عن نسخ صينية مختلفة ، تتبنى آراء واتجاهات تأويلية متباينة - متضادة أحيانا ! - صادفت تأويلا حديثا ، صدر عن دار « هوايو جياوشوى » بالحروف الصوتية الصينية = Hua yu jiao xue chuban she ، ومضمون هذا التفسير : « على الموظف الذى لايجد فى نفسه مقدرة الحسم واتخاذ القرار ، أن يدرس ويحصل المعرفة ، فمن برع فى العلم ،صار أهلاً لتقلد الوظائف . »

١٠٢ - الملك « جو » آخر أباطرة أسرة شانغ . انتحر حرقا إثر هزيمته على يد الملك « أوانغ » ، وقد وصف بأنه أكبر طاغية فى التاريخ .

١٠٣ - ليس ثمة روابط منطقية واضحة ومقبولة بين الفقرات ، التعليق على النص الأصلى يذكر فى هامشه أن السبب فى ذلك يعود الى أحد احتمالين : -

(أ) إما أن تكون المدونات الأصلية قد أسقطت بعض الألفاظ والعبارات الرابطة عن طريق السهو أو الخطأ .

(ب) أو أن يكون هذا الفصل ، فى حقيقته ، عدة فصول متمايزة ، ضمت جميعها فى كتلة مدونة من مجموع نص واحد .

المحتويات


محمد خطاب

المشروع القومى للترجمة

العنوان	المؤلف	المترجم
١ – اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ – الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣ – التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
٤ – كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
٥ – ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ – اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ – العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
٨ – مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ – التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠ – خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت: محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١ – مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ – طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ – ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤ – التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥ – الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
١٦ – أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عتمان
١٧ – مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨ – الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ – الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ – قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١ – خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
٢٢ – مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣ – تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ – ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥ – مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦ – دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ – التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ – رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ – الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ – الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣١ – مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه – كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢ – الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣ – التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤ – الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥ – الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

٣٦ – نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧ – واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨ – نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩ – الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ – قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١ – ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد
٤٢ – عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
٤٣ – اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	ت : المهدى أخريف
٤٤ – بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت : مارلين تادرس
٤٥ – التراث المغدور	روبرت ج دنيا – جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦ – عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
٤٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ – حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
٤٩ – الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠ – ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١ – مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانوبيا وخ. م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
٥٢ – العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣ – الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤ – المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
٥٥ – ما وراء العلم	جون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦ – الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧ – الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨ – مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩ – المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠ – التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
٦١ – موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور – سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
٦٢ – لذّة النّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣ – تاريخ النقد الأدبى الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ – برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥ – فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦ – خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ – مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
٦٨ – نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩ – العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠ – ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ – السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود

العنوان	المؤلف	المترجم
٧٢ – السياسي العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلي
٧٣ – نقد استجابة القارئ	جين . ب . توميكنز	ت : حسن ناظم وعلي حاكم
٧٤ – صلاح الدين والمماليك في مصر	ل . ا . سيمينوڤا	ت : حسن بيومي
٧٥ – فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
٧٦ – چاك لاكان وإغواء التحليل النفسي	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
٧٧ – تاريخ النقد الأدبي الحديث ج ٣	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨ – العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩ – شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكي	ت : سعيد الغانمي وناصر حلاوي
٨٠ – بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمري
٨١ – الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوي
٨٢ – مسرح ميجيل	ميجيل دي أونامونو	ت : محمود السيد علي
٨٣ – مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالي
٨٤ – موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
٨٥ – منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكي أقطاي	ت : عبد الرازق بركات
٨٦ – طول الليل	جمال مير صادقي	ت : أحمد فتحي يوسف شتا
٨٧ – نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العناني
٨٨ – الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٨٩ – الطريق الثالث	أنتوني جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيي الدين
٩٠ – وسم السيف (قصص)	نخبة من كُتاب أمريكا اللاتينية	ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١ – المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢ – أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكي المعاصر	كارلوس ميجل	ت : نادية جمال الدين
٩٣ – محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤ – الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوي
٩٥ – مختارات من المسرح الإسباني	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سري محمد محمد عبد اللطيف
٩٦ – ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
٩٧ – هوية فرنسا (مج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعي
٩٨ – الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني	نماذج ومقالات	ت : أشرف الصباغ
٩٩ – تاريخ السينما العالمية	ديڤيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
١٠٠ – مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحي
١٠١ – النص الروائي (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
١٠٢ – السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبي	ت : عز الدين الكتاني الإدريسي
١٠٣ – قبر ابن عربي يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤ – أوبرا ماهوجني	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوي
١٠٥ – مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	ت : عبد العزيز شبيل
١٠٦ – الأدب الأندلسي	د. ماريا خيسوس روبييرامتي	ت : أشرف علي دعدور
١٠٧ – صورة الفدائي في الشعر الأمريكي المعاصر	نخبــة	ت : محمد عبد الله الجعيدي

١٠٨ – ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من النقاد	ت : محمود على مكى
١٠٩ – حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ – النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١ – المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢ – الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣ – راية التمرد	سادى پلانت	ت : أحمد حسان
١١٤ – مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت : نسيم مجلى
١١٥ – غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	ت : سمية رمضان
١١٦ – امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ – المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ – النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	ت : لميس النقاش
١١٩ – النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنبل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ – الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
١٢١ – الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
١٢٢ – نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣ – الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نيقولاى إيفانوف	ت : أنور محمد إبراهيم
١٢٤ – الفجر الكاذب	چون جراى	ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥ – التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديڤى	ت : سمحه الخولى
١٢٦ – فعل القراءة	ڤولڤانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧ – إرهاب	صفاء فتحى	ت : بشير السباعى
١٢٨ – الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩ – الرواية الاسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ – الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت : شوقى جلال
١٣١ – مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢ – ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣ – الخوف من المرايا	طارق على	ت : طلعت الشايب
١٣٤ – تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥ – المختار من نقد ت. س. إليوت (ثلاثة أجزاء)	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ – فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧ – مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية	جوزيف مارى مواريه	ت : كاميليا صبحى
١٣٨ – عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تارونى	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ – پارسيڤال	ريشارد ڤاچنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠ – حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبورى
١٤١ – اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢ – الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومى
١٤٣ – قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديريك لايدار	ت : عدلى السمرى
١٤٤ – صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدونى	ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥ – موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ – الورقة الحمراء	ميجيل دى ليبس	ت : علي عبد الرؤوف البمبي
١٤٧ – خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت : عبد الغفار مكاوى
١٤٨ – القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكى أندرسون إمبرت	ت : على إبراهيم على منوفى
١٤٩ – النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠ – التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت: منيرة كروان
١٥١ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٢ – عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكُتاب	ت : محمد محمد الخطابى
١٥٣ – غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ – مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥ – الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦ – المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو	ت : مي التلمساني
١٥٧ – خسرو وشيرين	النظامى الكنوجى	ت : عبد العزيز بقوش
١٥٨ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)	فرنان برودل	ت : بشير السباعي
١٥٩ – الإيديولوجية	ديفيد هوكس	ت : إبراهيم فتحى
١٦٠ – آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت : حسين بيومى
١٦١ – من المسرح الإسبانى	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت : زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ – تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسيوى	ت : صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٣ – موسوعة علم الاجتماع	جوردن مارشال	ت : مجموعة من المترجمين
١٦٤ – شامپوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	ت : نبيل سعد
١٦٥ – حكايات الثعلب	أ . ن أفانا سيفا	ت : سهير المصادفة
١٦٦ – العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ – فى عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت : شكرى محمد عياد
١٦٨ – دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكرى محمد عياد
١٦٩ – إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت : شكرى محمد عياد
١٧٠ – الطريق	ميغيل دليبيس	ت : بسام ياسين رشيد
١٧١ – وضع حد	فرانك بيجو	ت : هدى حسين
١٧٢ – حجر الشمس	مختارات	ت : محمد محمد الخطابى
١٧٣ – معنى الجمال	ولتر ت . ستيس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ – صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت : أحمد محمود
١٧٥ – التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ – نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
١٧٧ – أنطون تشيخوف	هنرى تروايا	ت : حصة إبراهيم المنيف
١٧٨ – مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	ت : محمد حمدى إبراهيم
١٧٩ – حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ – قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت : سليم عبدالأمير حمدان
١٨١ – النقد الأدبى الأمريكى	فنسنت . ب . ليتش	ت : محمد يحيى

(تحت الطبع)

الجانب الدينى للفلسفة
الولاية
تاريخ النقد الأدبى الحديث (الجزء الرابع)
الإسلام فى السودان
العربى فى الأدب الإسرائيلى
ضحايا التنمية
المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر
فن الرواية
ما بعد المعلومات
علم الجمالية وعلم اجتماع الفن
المهلة الأخيرة
الهيولية تصنع علمًا جديدًا
مختارات من النقد الانجلو – أمريكى
عن الذباب والفئران والبشر
العولمة والتحرير
علم اجتماع العلوم
الكلام رأسمال
رحلة إبراهيم بيك
قصص الأمير مرزبان على لسان الحيوان
شتاء ٨٤
الشعر والشاعرية
ديوان شمس
عامل المنجم
مصر أرض الوادى
الدرافيل أو الجيل الجديد
سحر مصر



طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٥٥٩٥ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولى (I. S. B. N. 977 - 305 - 202 - 8)


محمد خطاب


محمد خطاب



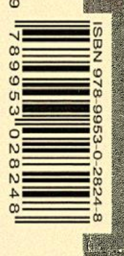


论语

刘俊田　林　松　禹克坤　译注

« محاورات كونفوشيوس » هى مجموعة من التسجيلات الكتابية لتعاليم كونفوشيوس وتعليقات تلاميذه ، وقد تم تدوينها بوصفها أقوالاً ومواعظ مناسبة لحلقات الفكر والدراسة ، وكان هذا هو السبب وراء اختيار عنوان الكتاب « المحاورات » ، وكان واحد من تلاميذه - تسنغ شن - هو الذي جمع الأقوال المتناثرة وضمها بين دفتي كتاب ، وذلك أثناء فترة مهمة فى التاريخ الصينى ، هى عصر الدول المتحاربة (٤٧٥ ق.م - ٢٢١ ق.م) وكانت القاعدة العامة فى المدارس والاتجاهات الفكرية والدراسية حينئذ تلجأ إلى تدوين الأفكار كتابيا ، إلا أن كونفوشيوس رفض التدوين الكتابى لأفكاره زاعمًا أنه مجرد « وسيط » وليس «مبدعًا» .

هذه - إذن - ترجمة الكونفوشية .. قلب الثقافة الصينية ، نواتها كما كانت قديما ، وهى أيضا الأساس لما عرف فى ملفات الحضارة الصينية بـ «المدرسة الكونفوشية» ، الـ « روجيا » العتيدة العريقة ، بلفظها الحىّ فى اللغة الصينية ، والتى انقسم .. أو انشطر مبحثها النقدى العام ، مع طول التجربة وعمق المجرى وثقل الوزن الحضارى ، إلى قسمين : أحدهما انتقادى ، يراجع بالبحث والدراسة ، موضوعيا ، مقولاتها منتقدا عنصرها الإقطاعى البارز ، والآخر ، مذهبى يعترف ويسلم بجوهرها الثقافى الأصيل ورمزها الباقى للتقاليد التاريخية الصينية .


ISBN 978-9953-0-2824-8

الغلاف : عماد حليم